ذخائر المغرب العربي

محمد بن ميمون الجزائري

التحفة المرضية في الدولة البكداشية
في
بلاد الجزائر المحمية

تقديم وتحقيق

الدكتور محمد بن عبد الكريم



http://albordj.blogspot.com

التحفة المرضية في الدولة البكداشية

ذخائر المغرب العربي

التحفة المرضية في الدولة البكداشية
في
بلاد الجزائر المحمية

تأليف

محمد بن ميمون الجزائري

تحقيق وتقديم

الدكتور محمد بن عبد الكريم

الطبعة الثانية

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
الجزائر

رقم النشر 1011/81

© الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

الجزائر : 1981

شكر وتقدير

أودّ أن أتوجه بخالص الشكر وأجل التقدير إلى أعضاء اللجنة الذين قد شرفتهم جامعة الجزائر بمناقشة هذه الرسالة التي نال صاحبها شهادة الدراسات العليا في التاريخ الحديث بدرجة « جيّد » ، وأخص بالذكر المشرف النصوح السيد الأستاذ مولاي بلحميسي الذي لم يبخل عليَّ بما منحه الله من علم غزير ، ورأي سديد ، وكل ذلك قد تبلور في توجيهاته المفيدة ونصائحه المثمرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

– أ –

توطئة

لا ارتياب في أن كل متخصص في أيّ فن من الفنون العلمية والأدبية – سواء منها النظرية أو الحسية – يحتاج إلى وثائق ضرورية يعتمد عليها في استخراج النتائج المطلوبة منه عند القيام بعمل البحث والتنقيب، أو التحرير والترتيب. والمؤرخ أشد احتياجاً إلى هذه الوثائق من غيره على الاطلاق . لأن بناء صرح فنه يتوقف على توفير لبنات تلك الوثائق وجمعها من مظانها. والوثائق التاريخية لها أهمية كبرى ودور فعال، بالنسبة إلى استخراج الحقائق النظرية المستنبطة من النتائج المنطقية والمتمخضة عن تقصي الحوادث المتسلسلة حسب الزمان والمكان .

ولا جدال في أن كل شعب لم يتخط المراحل الأولى من نهضته، لزمه – أولا – أن يجمع المواد الأساسية والوثائق الأمينة لبحثه. قبل أن يشرع في تحبير الأفكار ويسترسل في التعليل والتحليل. ليكون على بينة من حقائق بلاده وعلى بصيرة مما لها وما عليها .

وإذا كنا - نحن الجزائريين - لم نتجاوز هذه المرحلة، فينبغي لنا - إذن - أن نعمل على جمع تلك المواد والوثائق قبل أية محاولة أخرى، لتكون عوناً لنا وللمؤرخين بعدنا. ومن تلك المواد الأساسية والوثائق الضرورية، كتاب «التحفة المرضية ...» لمؤلفه محمد بن ميمون الجزائري .

وهذا الكتاب، يعد وثيقة أمينة من حيث الأخبار، ثمينة من حيث الاعتبار[١]، فقد احتوى على ثلاثة عناصر هامة من تاريخ الجزائر الاقليمي على عهد الأتراك، وهي ضرورية لمن يريد أن يؤرخ للجزائر أن يستقي منها، ولا يستغني عنها في بحثه المتعلق بحوادث هذا القطر المجهول لدى بعض المؤرخين، وتلك العناصر هي :

أولا - سيرة الداي محمد بكداش فاتح مدينة وهران عنوة .

ثانيا - وصف دقيق للمعارك التي دارت رحاها بين الاسبانيين وبين الجزائريين من أجل هذا الفتح المبين .

ثالثا - جلب عدة قصائد استصراخية، قد أنشدها منشدوها اثناء المعارك، ومنها ما أنشد قبلها وبعدها أيضاً .

وهذا ما دفع بنا إلى الاشتغال بتحقيق هذا المخطوط الذي سيكون - إن شاء الله ! - لبنة راسخة في بناء صرح تاريخ الجزائر المحبوبة، وابراز حقائقه المخبأة للعيان، كي يتناوله المؤرخون والعلماء النقاد، من حيث ما له وما عليه .

ولسنا بمجددين في تحقيقنا لهذا المخطوط، ولا بمقلدين تقليداً أعمى، قد يفضي بصاحبه إلى ترك التدبر ونبذ التفكير فيما كان وسيكون. وإنما سلكنا طريقا وسطا في عملنا، و «خير الأمور أوساطها» .

وقد أوجب علينا عمل التحقيق أن نصدر هذا المخطوط بـ «مدخل» يحتوي

---

١ انظر ص ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥ من «المدخل» .

على نسب المؤلف، وثقافته، وعصريه: السياسي، والثقافي، حتى يتبين لنا تأثير المؤلف في العصرين، أو تأثره بهما، ثم دراسات تحليلية لنفس المخطوط، من حيث مؤلفه وعنوانه، وموضوعه، وهدفه، ومنهاج التأليف فيه، وأسلوب نصوصه، وقيمتاه: التاريخية والأدبية، وتلخيص محتواه تلخيصا قد يغني المستعجل عن مطالعة المخطوط كله. ثم ذكرنا مزايا الكتاب، والباعث على تحقيقه، وبيّنا منهاجنا في هذا التحقيق، ثم ختمنا هذه الدراسات بوصف النسخ المعتمدة في تحقيق هذا المخطوط ..

وبعد: فان اصبنا المحز، فذلك ما كنا نبغي، وان كانت الأخرى، فنحن نازلون عند رغبة من يرشدنا إلى التراتيب المنطقية، ويأخذ بأيدينا صوب المقاييس العلمية والنظم الجامعية «وما لا يدرك كله لا يترك جله».

«والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

محمد بن عبد الكريم

الجزائر العاصمة: الخميس ١١ شعبان ١٣٨٩ هـ
الموافق لـ ٢٣ اكتوبر ١٩٦٩ م

- ب -

مقدّمة

المؤلف

أ - نسبه : هو أبو عبد الله محمد بن ميمون، الزواوي النّجار، الجزائري الدار[1] وقد صرح أبو زيد عبد الرحمن الجامعي[2] : بأنه حفيد أبي العباس أحمد بن عبد الله الزواوي، ثم الجزائري[3]. ونحن نعتبر الجامعي ثقة فيما يرويه لنا، لأنه كان رفيق ابن ميمون في الزمان والمكان، وزميلا له في المهنة والاتجاه. ولم نعثر - بعد البحث الدقيق - على أزيد مما ذكرناه، وقد أهملت جميع المظان والمصادر ترجمة هذه الشخصية كما سكتت عن تحديد زمان الولادة والوفاة، وضبط مكانهما[4]. وما

١ ولعله كان جزائرياً. من حيث المولد والنشأة والوفاة

٢ شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران . ص: ٢٧ . مخطوط خاص .

٣ هو صاحب منظومة التوحيد، المسماة بـ «الجزايرية»، وهي تربو أبياتها على أربعمائة بيت، كلها في العقائد. وقد شرحها الإمام محمد بن يوسف السنوسي بطلب من ناظمها. توفي أحمد بن عبد الله سنة ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م (الحفناوي (محمد)، تعريف الخلف برجال السلف. الجزائر: مطبعة فونتانا . ج : ١ ص: ٣٣) .

٤ ولم نشك في أنه لم يمت حتى بلغ سن الشيخوخة من عمره، بدليل قوله - في معرض اطرائه للداي محمد بكداش -: «.. لا أعلم أنّي لقيت - من سن الطفولة إلى ما فوق زمان الكهولة - أبرع منه في هذه الطريقة ...» (التحفة المرضية ....،....، المقامة السابعة)

أكثر سكوتها وأهمالها لكثير من الشخصيات الجزائرية التي تستوجب من المؤرخين التعريف بها والتنويه بنتاجها. فكان جزاؤها أن غابت في خبر كان وأصبحت نسيا منسيا. ولعل ذلك يعود إلى الاضطرابات السياسية في البلاد مثلما يعود - أيضاً - إلى الحزازات الدينية والمذهبية التي أخذت بتلابيب بعض فقهاء العصر ورمت بهم في لهيب الحسد الفتاك. وقد صرح ابن ميمون: بأنه كان محسوداً لدى معاصريه «على أن أبناء العصر ابتلوا بالحسد. ويطلقون ألسنتهم بالفحشاء في كل مرصد. ومن كانت له ملكة فليصنّف. والا فلينصف. ولكن كما قال المجنون :

وَكُلٌّ يَدَّعِي وَصْـلاً بِلَيْـــلَى وَلَيْلَى لا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَلِكْ[1]

ومهما يكن من أمر فإن شخصية ابن ميمون قد كانت معاصرة للداي «محمد بكداش» وصهره «أوزن حسن». ونحن نعلم بأن هذين الرجلين قد أمد الله في حياتهما حتى سنة ١١٢٢ هـ - ١٧١٠ م حيث قتلا على يد الدايّ دالي إبراهيم[2] . كما أننا نعلم - أيضاً - أن هذه الشخصية قد كانت تعاصرها زمرة من أدباء العصر والقطر وفقهائهما وقد ذكر ابن ميمون نفسه بعضاً من هذه الزمرة التي منها شيخه أبو عبد الله محمد الثُّغْيري الجزائري ولم نعثر على جُلّ تراجم تلك الزمرة. بعدما أمعنا النظر في مظان تراجم الشخصيات الجزائرية على قلتهـــا في هذه الفترة. ولعل الله يلهمنا - في المستقبل - إلى مصادر قد أستوفت التعريف بها واستكملت

---

١ ابن ميمون (محمد). التحفة المرضية. في الدولة البكداشية. في بلاد الجزائر المحمية (المقدمة) .

٢ وقد جاء دور قتل دالي إبراهيم أيضاً. فقتل في ١٤ أوت سنة ١٧١٠ م (١٨ جمادى الثانية ١١٢٢) .

تراجمها، فبذلك ينكشف الغطاء عن مخبآت القدر، ويتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، ويعود الماء إلى مجاريه .

ب – **ثقافته** : يبدو لنا – من خلال كتابه «التحفة المرضية ...» – أنه كان مشاركاً في جميع فنون عصره، بيد أنه يغلب عليه التصوف الداعي إلى التسليم بما كان وسيكون، وأنه كان من الفقهاء المقلدين مثلما كان عليه فقهاء العصر، وجميع متصوفة الوقت .

ونحن لا نرتاب في ميل ابن ميمون إلى رواق السياسة، بدليل أنه كان يمدح حاكماً ويذم آخر. فنجده يصف الداي مصطفى «أهجي» بالظلم والطغيان، والعتوّ والتجبر، والبغي والعدوان، وينعته بسوء المعاملة، ونهبه لأموال الرعية واهماله لشؤون الدولة[1] . وفي نفس الوقت يطري الداي حسين خوجة الشريف، الذي جاء بعد الداي مصطفى، فيصفه بأنه حليف الصواب، ملازم الطهارة، معجز ببيانه، موجز في كلامه[2] . وأكبر دليل على أنه ميال لرواق السياسة كتابه «التحفة المرضية ...،...» الذي نحن بصدد التقديم له، فقد تناول فيه رجل دولة وظروفاً سياسية .

أما أدبه فيظهر عليه مسحة حفظ الأشعار والاسجاع، كيفما كانت قيمتها من حيث المبنى والمعنى. ولعله يرى كون الأدب يتمثل في «صادق الخبر وصحيحه ... من ألفاظ لغوية، وأنواع بديعية، وأخبار مستلمحة، وكناية مستملحة[3] » .

---

١ التحفة المرضية ...،... (المقدمة) .
٢ المصدر السابق. (المقامة السادسة) .
٣ المصدر السابق. (المقامة الثانية) .

ويمتاز أسلوبه بصدق العاطفة. وأمانة الشعور. وحقيقة الاحساس. وتقصّي الأخبار. ونوادر الروايات والنزوح إلى تزويق الألفاظ وتكرار العبارات وسنزيد ذلك توضيحاً عند تحليلنا لنصوص الكتاب .

عصره السياسي

كانت حركة سياسة الجزائر يديرها الأتراك. الذين بدأت دولتهم - هناك - سنة ٩٢١ هـ - ١٥١٥ م واستمرت حتى سنة ١٢٤٦ هـ - ١٨٣٠ م وقد قسم بعض المؤرخين الاوروبيين فترة هذا العصر الرئيسي إلى أربعة عصور فرعية. منذ بداية التنظيم الاداري التركي في الجزائر .

أولها: عصر باي لارباي (باي البايات) ٩٤٠ - ٩٩٣ هـ (١٥٨٥ - ١٥٣٤ م) .

ثانيها: عصر الباشوات (ذوي ثلاث سنوات) ٩٩٣ - ١٠٦٩ هـ (١٦٥٩ - ١٥٨٥ م) .

ثالثها: عصر الآغوات ١٠٦٩ - ١٠٨٢ هـ (١٦٧١ - ١٦٥٩ م) .

رابعها: عصر الدايات ١٠٨٢ - ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ - ١٦٧١ م)[1] .

وعلى ضوء هذا التقسيم يتضح لنا أن المترجم له قد كان في قيد الحياة أثناء أواخر العصر الثالث حتى أواسط العصر الرابع من فترة حكم الأتراك للجزائر، وقد استنتجنا ذلك من خلال نصوص كتابه «التحفة

---

١ l'Encyclopédie Turque, Tome IO, P: 324.

المرضية ...»، الذي نحن بصدده .

وقد كان القطر الجزائري – في هذين العصرين يموج باضطراب مزعج، وقلق كبير ، وبلبلة عديمة النظير . فبينما نرى حكومتي تونس والمغرب تتمتعان باطمئنان تام في الداخل، وحكم رزين من حيث النظام المتين، فاننا نرى في نفس الوقت الحكومة الجزائرية التركية تموج في بحور من دماء الثورات الداخلية ، التي اندلع أوارها في أعراش القبائل، وانفجر بركانها في أحضان البدو ، وربما امتدّت ألسنة لهيبها إلى عواصم المدن[1] . ولعل السبب في ذلك سوء معاملة الحكام للرعية واغفالهم لشؤونهم الضرورية واشتغالهم بالركض وراء السلطة وحب الانفراد بالرئاسة . واهتمامهم بالكراسي والعروش. وقد أدى ذلك بهم لقتل جلهم في مناصبهم، شنقاً مرّةً، وخنقاً تارة وذبحاً تارة أخرى. ولعل السبب في قتل هؤلاء الباشوات والدايات يعود إلى سخط الرعية المظلومة ، وانتقام الجنود المرتزقة ، (الانكشارية)، أما سبب قتل البايات فيرجع إلى استحواذ الغيرة المقيتة على عقول أولئك الدايات ، واستيلاء الحسد الفتاك على قلوبهم، مخافة امتداد قوة البايات المعنوية ، وسريان نفوذهم في صفوف الرعية، فلم يجد أولئك الدايات بدأ من التنكيل بعمالهم البايات ، فراحوا يجازونهم بالسجن والتعذيب، والقتل، والتمثيل بهم ، ثم يصادرون أموالهم، مدعين أنها أموال مختلسة جمعت بطريقة لا تمت إلى الشرع بأدنى صلة .

---

١ G. FAURE-BIGUET, Histoire de l'Afrique septentrionale (Paris: Imprimerie militaire) P. 405-445.

وها هوذا التاريخ الصريح يعطينا أسوأ صورة على ذلك، تقشعر لها القلوب وتشمئز لها النفوس. تلك هي صورة قتل صالح باي[1] (باي قسنطية). وقد ترك هذا القتل الشنيع في نفوس الرعية الجزائرية بأجمعها صدمة رهيبة. تمخّض مفعولها في النفوس الحساسة عن أنشودة شعبية. محزنة النغمة ما زالت عالقة بألسنة الفنانين الجزائريين إلى يومنا هذا!

هجومان فرنسيان على الجزائر: أما الحروب الخارجية فقد كانت متوالية على الجزائر سنة تلو السنة. طيلة حكم الأتراك بالجزائر. وسنقتصر على ذكر بعضها خلال الفترة التي تتعلق بدراستنا.

ففي سنة ١٠٧٤ هـ - ١٦٦٤ م قرر ملك فرنسا «لويس الرابع عشر» «Louis XIV» أن يغزو الجزائر بأسطوله ليتمركز بأحد شطوطها فيكون عن كثب من تحركات أجفان الجزائريين ضد مراكب التجار الفرنسيين. وكان متردداً بين احتلال احدى المدينتين: جيجل أو بجاية. ثم قرر - نهائياً - أن يحتل مدينة جيجل، فجهز لغزوها أسطولا مؤلفاً من ثلاث وثمانين سفينة حربية تحمل خمسة آلاف ومئتي محارب. تحت

---

١ صالح باي: هو صالح باي ابن مصطفى. ولد سنة ١١٣٨ هـ - ١٧٢٥ م بمدينة «ازمير» وجاء من هناك إلى الجزائر بعد ست عشرة سنة من عمره. فانخرط في سلك «الانكشارية» وبقي هناك يرتقي حتى وصل إلى درجة «باي» سنة ١١٨٥ هـ - ١٧٧١ م واشتهر بالشجاعة والكرم والحلم والاخلاص، وبعد أن ذاع صيته. وشهدت له أعماله الخيرة أمر الداي حسن باشا بقتله شنقا بقصبة قسنطية في أوائل سنة ١٢٠٧ هـ - ١٧٩٢ م بعد اعتنائه لمنصب «باي» اثنتين وعشرين سنة - رحمه الله! وسقى ثراه!. (المبارك. أحمد. تاريخ حاضرة قسنطية. بتحقيق نور الدين عبد القادر. الجزائر: المطبعة الرسمية ١٩٥٢ م. ص: ٢٦).

قيادة القائد « بوفورت » (Beaufort) وتوجه بها صوب جيجل وفي ٢٣ من شهر جوييه سنة ١٦٦٤ م (٢ ذي الحجة ١٠٧٤ هـ) نزلت الجنود الفرنسية بشواطىء المدينة ومكثت بجيجل حوالي شهرين. ثم أجبرها حاكم الجزائر (شعبان آغا)[1] على مغادرة المدينة بعد قتال عنيف دار بينها وبين جنود الأتراك والجزائريين. وقد ترك انتصار الجزائريين في هذه المعركة الفشل في جنود الفرنسيين فيما بعد من المعارك، كما ترك نشاطاً في صفوف جنود الجزائريين[2] .

وفي الرابع والعشرين من شهر جوان سنة ١٦٦٥ م (٢١ محرم ١٠٧٦هـ) حاصر « بوفورت » (Beaufort) أجفان الأتراك بمضيق La Goulette بقرب تونس، فاستحوذ على ثلاثة وأضرم النار فيما تبقى منها. ثم عقد صلح بين الجزائر وفرنسا سنة ١٠٧٧ هـ - ١٦٦٦ م أيام الحاج علي آغا حاكم الجزائر[3] .

اضطرابات داخلية وهجومان انجليزيان على الجزائر وبجاية

وفي سنة ١٠٧٨ هـ - ١٦٦٨ م قام البدو المقيمون في ضواحي الجزائر مع القبائل بثورة ضد الأتراك. واستغل الانجليز هذه الثورة الداخلية، وحاول اسطولهم أن يهجم على الجزائر سنة ١٠٧٩ هـ - ١٦٦٩ م ، فتصدت

---

١ شعبان آغا: تولى سنة ١٠٧١ هـ - ١٦٦١ م وقتل سنة ١٠٧٥ هـ - ١٦٦٥ م .

٢ Léon galibert, l'Algerie ancienne et moderne (Paris: librairie furne jouvet et C^o, Editeurs 1884) P. 226.

٣ تولى سنة ١٠٧٥ هـ - ١٦٦٥ م . وقتل سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م .

له مدفعية الأتراك وردته على أعقابه. وفي سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م فاجأ هذا الاسطول ميناء بجاية وأضرم النار في اثني عشر مركباً كانت راسية هناك وفي نفس السنة أعاد الكرة على ميناء الجزائر وأحرق ثلاثة مراكب فيها، وفي نفس السنة قتل الحاج علي آغا. وبقتله انقرض عصر الآغوات الأربعة الذين قتلوا في مناصبهم[1] . وجاء عصر الدايات الذي بدأ بالحاج محمد داي سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م ، وكان هذا الداي كبير السن، أشرك في حكمه صهره بابا حسن وفي عهده بدأت عدة دول من الافرنج في المفاوضات مع الدولة التركية الجزائرية، من أجل ابرام عقد صلح طويل المدى. بيد أنه لم يحصل أي اتفاق بين المفاوضين[2] . وفي شهر جوان من سنة ١٦٧٥ م (١٠٨٦ هـ) هاجم الاسبان تلمسان على غرة . ودخلها بجيوشه بيد أنه لم يمكث بها إلا أياماً قلائل . ثم أخرج منها قهراً وعاد إلى وهران .

وبعد عشرة أعوام من حكم الحاج محمد داي، أحسّ بمكيدة قد دبّرت لاغتياله. فهرب إلى طرابلس الغرب حيث بقي إلى أن توفي هناك.

---

١ أول هؤلاء الاغوات الأربعة خليل آغا. تولى سنة ١٠٦٩ هـ ١٦٥٩ م وقتل سنة ١٠٧٠ هـ ١٦٦٠ م. وثانيهم رمضان آغا. تولى سنة ١٠٧٠ هـ - ١٦٦٠ م وقتل سنة ١٠٧١ هـ ١٦٦١ م وثالثهم شعبان آغا. تولى سنة ١٠٧١ هـ ١٦٦١ م وقتل سنة ١٠٧٥ هـ ١٦٦٥ م. ورابعهم الحاج علي آغا. تولى سنة ١٠٧٥ هـ ١٦٦٥ م وقتل سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م.

(l'Encyclopédie Turque, T: 10, P: 324).

٢ Léon Galibert, l'Algerie ancienne et moderne, P: 227.

وكان قد استخلفه صهره بابا حسن داي سنة ١٠٩٢ هـ - ١٦٨١ م[1] .

هجومان فرنسيان على الجزائر : ثم تعكر الجو بين فرنسا والجزائر سنة ١٠٩٣ هـ - ١٦٨٢ م وثارت ثائرة الديوان الجزائري وقرر اعلان الحرب ضد فرنسا. فاستولى الرياس الجزائريون على ٢٩ سفينة فرنسية بما فيها وأسروا ثلاثمائة نسمة. وقد انتهز الانجليز فرصة قيام الحرب بين فرنسا وبين الجزائر، فأبرموا معاهدة مع الجزائر، كادت تكون كلها في مصالح الجزائريين. وقد وصف «لوبير لوفاشي[2] Le Père le Vacher» هذا الصلح بأنه معرة للانجليز[3] .

وعلى أثر هذه المعاهدة أمر ملك فرنسا «لويس الرابع عشر» وزير البحرية الفرنسية بغزو الجزائر، فاستعد «دوكاسن» (Duquesne) وجهز أسطولا ضخماً وتوجه به صوب الجزائر وفي أواخر أوت من نفس السنة وصل إلى الشواطىء الجزائرية. ثم اقترب من المدينة وشرع في قنبلتها بدون انقطاع، وبقي هناك راسيا حوالي شهر وفي ١٢ سبتمبر من نفس السنة أقلع الاسطول عائداً إلى ميناء «طولون» (Toulon) بعد ما خلف وراءه أضراراً طفيفة في ميناء الجزائر وبنيان المدينة. وقد كلفت هذه الغزوة الفرنسيين ميزانية ضخمة دون أن يحوزوا على أية نتيجة وهذا ما دفع بـ «لويس الرابع عشر» (Louis XIV) أن يأمر بغزو الجزائر مرة أخرى

---

١ مات قتيلا سنة ١٠٩٤ هـ - ١٦٨٣ م .

٢ قنصل فرنسا بالجزائر - آنذاك -. وقد قتله أتراك الجزائر شر قتله سنة ١٠٩٤ هـ - ١٦٨٣ م ابان ولاية الحاج حسين باشا (ميرررو مورتو)، إذ لغموا به مدافعهم مع عشرين آخرين من أبناء ملته .

٣ المصدر السابق. الصفحة نفسها .

ليمحو عار الفشل، ويغسل لطخة الخسران. ففي أواخر جوان من سنة ١٦٨٣ م (رجب ١٠٩٥ هـ) فارق الأسطول الفرنسي «طولون» (Toulon) صوب ميناء الجزائر، وفي طريقة - على مقربة من ميناء الجزائر - انضمت إليه خمسة مراكب حربية تحت قيادة «لو ماركيز دامفريفيل» (Le marquis d'Amfreuille) وفي ٢٨ جوان (١٥ رجب) من نفس السنة وصل الاسطول إلى شواطىء الجزائر. ثم ما عتم أن شرع في قنبلة الميناء والمدينة، فأحدث بها أضراراً جسيمة. وكاد الداي بابا حسن يقبل جميع شروط القائد «دوكاسن» (Duquesne) في مقابلة الكف عن قنبلة المدينة، لولا أن قتله قائد البحرية الجزائرية (الحاج حسين مورزو مورتو) وتولى مكانه، وأعلنها حرباً شعواء على الاسطول الفرنسي، فرجع الاسطول إلى ميناء «طولون» (Toulon) بعد ما خلف وراءه خسائر جسيمة في ميناء الجزائر وبنيان المدينة وقد قتل أربعمائة نسمة جزائرية أثناء هذا الهجوم.

وفي ١٠٩٥ هـ - ١٦٨٤ م توسلت فرنسا بالسلطان العثماني[1] أن يتدخل بينها وبين الجزائر من أجل ابرام صلح، فتدخل السلطان، وأجرى صلح بين الطرفين لمدة مائة سنة.

محاربة بين الجزائر وتونس : ولم تكن الجزائر - في هذه المدة - تواجه هجومات فرنسا فحسب، بل تصدت لبعض التهويشات والقلاقل الداخلية. ولما علم الداي أن مصدرها من ايحاء باي تونس وأن له يداً في

---

١ هو السلطان محمد الرابع ابن ابراهيم، تولى سنة ١٠٥٨ هـ - ١٦٤٨ م وخلع سنة ١٠٩٨ هـ - ١٦٨٧ م.

ترويجها، وجه إليه جيشاً تحت قيادة إبراهيم خوجة مصحوباً بأخوين للباي التونسي قد كانا ينازعانه العرش. وفي أواخر سنة ١٠٩٩ هـ – ١٦٨٧ م وجه الداي قائد جيشه: إبراهيم خوجة إلى وهران، ليحاصرها بجيشه ومدافعه. ولما أخذ في حصارها وصله خبر الاسطول الفرنسي الذي يريد غزو الجزائر تحت قيادة المشير «ديستري» (d'Estrées) فكف عن الحصار وعاد إلى الجزائر بجيشه.

غزو الجزائريين لمدينة وهران: وبعد حصار طويل استولى إبراهيم خوجة على تونس وفي سنة ١٠٩٨ هـ – ١٦٨٦ م جهز الباي شعبان الزناقي ثلاثة آلاف فارس وألف راجل يريد بهم الهجوم على مدينة وهران التي ظلت في أيد الاسبان منذ سنة ٩١٥ هـ – ١٥٠٩ م. وخرج الاسبان للقائه بمثل هذا العدد والتقى الجمعان خارج وهران بمكان يقال له «كدية الخيار» ودارت رحى المعركة بين الفريقين وانتصر المسلمون على الاسبان وقتلوا منهم مائة وألف رجل، كما غنموا غنائم ثمينة، واستمرت المعركة، ورجع الاسبان القهقرى، والمسلمون خلفهم، إلى أن وصلوا إلى قبة «برج العيون» فاقتتلوا هناك قتالا شديداً، وكاد المسلمون ينتصرون، لولا استشهاد قائدهم الباي شعبان[1] في هذه المعركة الحامية الوطيس، وباستشهاده فشل

---

١ قال المزري: «ولما قتل بقيت جثته بأيديهم على وجه التراب، فحزوا رأسه وعلقوه بالباب، وقد أخذ المسلمون الجثة وتركوا الرأس لما لم يقدروا على الرجوع إليه، فرأى بعض النصارى بالليل النور يسطع عليه، فأخبر بطريقهم. وحينئذ بعثه للمسلمين، فجعلوه مع جسده في الحين، ودفنوه خارج وهران. وقبره للآن يعرف بقبر سيدي شعبان. وكان على ضريحه قبة عالية. ولما سكن بجواره بعض النصارى – الآن – وملك تلك الأرض هدمها لما صارت بالبيع إليه». (المزري، اسماعيل. طلوع سعد السعود، في أخبار وهران ومخزنها الأسود. ص: ١٦٧ – ١٦٨. مخطوط خاص).

المسلمون. وتشجع الاسبان[1] وتحصنوا بابراجهم. وعاد المسلمون إلى أمكنتهم التي نزحوا منها .

هجوم فرنسي على الجزائر : وفي نفس هذه السنة بدأت عرى الصلح تنحل بين فرنسا وبين الجزائر وأخذ كل منهما في مناوشة صاحبه عبر البحر الأبيض المتوسط. وقد خصّص وزير البحرية الفرنسية جوائز ثمينة لكل بحار فرنسي يأتي بأحد القراصنة من الجزائريين. وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر جوان سنة ١٦٨٨ م (٢ رمضان ١٠٩٩ هـ) فوجئت الجزائر بأسطول فرنسي بقيادة المشير «ديستري» (d'Estrées) وبقي بميناء الجزائر خمسة عشر يوماً أطلق أثناءها عشرة آلاف قنبلة على المدينة. فأحدثت خسائر جسيمة في البنيان والأرواح. وأصيب الداي نفسه باحدى الشظايا في أم رأسه، كما أغرقت خمسة مراكب حربية جزائرية. ولما أبى المشير أن يكف عن هذا العدوان المبين. أراد الجزائريون أن ينتقموا من جماعة الفرنسيين الذين كانوا تحت سلطتهم. فوضعوا حوالي أربعين شخصاً منهم في أفواه مدافعهم ورموا بهم الاسطول الفرنسي، ومن بين هؤلاء الأربعين القنصل الفرنسي «بيول» (Piolle) ، وقد فعل المشير الفرنسي مثلما فعل الداي، بل أشد منه قساوة، وذلك أنه ذبح سبعة عشر تركيا كانوا أسارى عنده. ووضع جثثهم على ظهر شقف ودفع بهم إلى ميناء الجزائر، ثم عاد بأسطوله إلى ميناء «طولون» (Toulon) .

---

١ - محمد أبو راس، عجائب الاسفار . ولطائف الاخبار. ص: ٩٩ .
- المزري. أبو اسماعيل ابن عودة. طلوع سعد السعود. ص: ١٦٨ .

محاربة بين الجزائريين وبين المغاربة

ثم وقع صلح بين فرنسا والجزائر سنة ١١٠٠ هـ - ١٦٨٩ م وبعد انعقاد هذا الصلح. أحسّ الحاج حسين داي بعدم القدرة على القيام بمهام الحكم، لأنه بلغ سن العجز، فاختفى من ولاية الجزائر، واستخلفه الحاج شعبان داي في شهر جانفي سنة ١٦٨٩ م (١١٠٠ هـ) وبمجرد جلوسه على الحكم أعلن لفرنسا أنه موافق على ما اتفقت عليه الجزائر وفرنسا عند انعقاد الصلح السابق وفي هذه الفترة وقعت اضطرابات بأوروبا فأرادت فرنسا أن تقف الدولة الجزائرية إلى جانبها. فطلبت من الداي أن يعلن الحرب ضد «انجلترا» و «هولاندا» بيد أن دهاء القنصل الانجليزي وقف حجر عثرة في طلب فرنسا، فاستطاع أن يؤثر في الداي حتى يرفض ذلك الطلب. ويكتفي بقطع علاقات الجزائر مع «هولاندا» وبينما الداي مشتغل مع ملوك الافرنج، إذ بجيوش سلطان المغرب الأقصى تغير المرة بعد الأخرى على الحدود الجزائرية فما كان من الداي شعبان إلا أن يعلنها حرباً ضد السلطان مولاي اسماعيل فجهز عشرة آلاف من الجنود المشاة وثلاثة آلاف من الفرسان ثم نزح بهم صوب المغرب الأقصى وبعد ما قطع شوطاً في أرض المغرب وجد السلطان في انتظاره مستعداً لمحاربته بأربعة عشر ألفاً من الجنود المشاة وثمانية آلاف من الفرسان، فدارت رحى الحرب بين الفريقين، وانتصر الجزائريون رغم قلتهم وقتلوا خمسة آلاف من جنود

المغاربة، بينما هم لم يقتل منهم سوى مائة جندي فقط[1] . ثم تقدم الداي شعبان بجنوده إلى فاس التي كانت محمية بأربعة وعشرين ألفاً من الجنود المشاة، وبعشرين ألفاً من الفرسان، ومع هذه القوة الهائلة فان السلطان وجنوده قد أوجسوا خيفة، وراح السلطان مولاي اسماعيل يلتمس من الداي شعبان ابرام صلح بينهما، فقبل الداي هذا الالتماس. ثم نصبت خيمة في مكان متوسط بين الجيش المغربي وبين الجيش الجزائري، فاجتمع فيها السلطان والداي وأمضيا عقد الصلح هناك. ويقول «ليون غاليبيرت» (Léon Galibert)

«ان السلطان مولاي اسماعيل، عندما كان ذاهباً إلى الخيمة التي نصبت من أجل ابرام عقد الصلح، كانت يداه مكتوفتين. وذلك إشعار باستسلامه وخضوعه، وعندما وصل أمام الخيمة قبّل الأرض ثلاث مرات. ثم دعا الله أن يستره وأردف قائلاً للداي: أنت خنجر وأنا لحم فإن شئت قطع، فلم ينله مكروه من الداي، بيد أنه شرط عليه شروطاً عجز عن تطبيقها فيما بعد ...[2] » .

استيلاء الجزائر على تونس وبعدها اضطرابات داخلية

وبعد ابرام هذا الصلح توجّه الداي شعبان بجيوشه إلى تونس سنة

---

١ Léon GALIBERT, l'Algerie ancienne et moderne. P: 234.
Général G. FAURE-BIGUET, Histoire de l'Afrique septentrisnale P: 352.

٢ Léon GALIBERT, L'Algerie ancienne et moderne, P: 234.

١١٠٥ هـ - ١٦٩٤ م فاستولى عليها. ثم عاد إلى الجزائر بغنائم كثيرة بعدما ألزم رعيتها بدفع ضريبة سنوية، وترك أحمد بن الشقير بايا هناك. وبمجرد خروج الداي شعبان من تونس خلعت الرعية الباي أحمد بن الشقير، كما ان الانكشارية اتفقت أن تمنع هذا الباي من الدخول إلى الجزائر، وهددت الداي، إذا عاد إلى محاربة تونس، بيد أن الداي شعبان - رغم هذا التهديد - صمّم على محاربة تونس والانتقام من المتمردين هناك وفي أثناء هذه القلاقل تمردت فرق الجنود التي كانت تحرس الحدود الشرقية الجزائرية ونزحت من هناك بقصد الهجوم على الجزائر، فبعث الداي بجماعة يثق بهم منهم القاضي والمفتي الحنفيان، لعلهم يعظونهم فيرجعون عمّا عزموا عليه قبل وصولهم إلى أبواب المدينة. ولكن الجماعة لم يستطيعوا أن يردوا هذه الفرق المتمردة أو يقفوا في طريقهم كحجر عثرة على الأقل، فعندئذ فما بقي على الداي إلا أن يفتح خزينة القصبة ويوزع جلها على الانكشارية ليساعدوه على محاربة الثائرين عليه، ولكن ذلك لم يجد الداي نفعاً، فقد قبض عليه وزج به في السجن، وشنق بعد مرور ثلاثة أيام، وبعد ما قاسى من العذاب ألوانا. وكان ذلك سنة ١١٠٦ هـ - ١٦٩٥ م. ثم انتخبت الانكشارية رجلا مسناً ومريضاً اسمه أحمد أعجي وكان يرقع الأحذية، ليكون بايا مؤقتا وأنه يمضي فقط. أما الكلمة العليا في الحكم فهي للانكشارية وكان هذا الداي لين الطبع، ولهذا أعيدت إليه بعض السلطة التي انتزعت من قبضة الدايات الذين كانوا قبله. ثم توفي أواخر سنة ١٦٩٨ م (١١١٠ هـ)[١] واستخلفه الحاج حسن شاوش

---

١ المزري، ابن عودة. طلوع سعد السعود ص: ١٨٩ - ١٩٠ .

وكان ذكياً نشيطاً، فأقنع الديوان بأن من فائدة الحكومة الجزائرية أن تحسن علاقتها مع الدولة الفرنسية، وبالفعل أعاد علاقة الصلح مع فرنسا التي أبرمت سنة ١١٠٠ هـ - ١٦٨٩ م ، كما جدد الصلح مع انجليترا أيضاً. ثم ان الباي مراد التونسي فاجأ قسنطينة بهجوم غير منتظر فذبح حراس الحصون وحاصر المدينة. وبهذا الخبر اضطربت الانكشارية في الجزائر ، وخاف الداي على نفسه فانتقل بعائلته إلى القصبة وأعلن للانكشارية بأنه سيسلم في منصبه، فانتخب الديوان بابا الحاج مصطفى أهجي في أوائل سنة ١٧٠٠ م (١١١١ هـ)، أما الداي السابق فقد طلب أن يذهب بعائلته إلى طرابلس الغرب فخصص له الداي الجديد مركباً وحياه بطلقات مدفعية عند مغادرته للجزائر .

محاربة بين الجزائريين وبين التونسيين والمغاربة :

ثم جمع الداي مصطفى الانكشارية ونزح بهم من الجزائر صوب الشرق القسنطيني لمحاربة الجيش التونسي الذي يقوده الباي مراد[1] ، وبعد معركة دارت بين الفريقين انتصرت الانكشارية الجزائرية على الجيش التونسي فذبحت منهم ألفين وشتتت شمل الباقين وعادت إلى الجزائر رافعة الرأس يتقدمها الداي مصطفى. ثم توجه الجميع إلى المغرب الأقصى لمحاربة سلطانها الذي امتنع أن يدفع الضريبة التي تعاهد بدفعها سنة ١١٠٥ هـ -

---

١ الباي مراد: قتله التونسيون بعد فشله في المعركة التي دارت رحاها بينه وبين الداي الحاج مصطفى واستخلفه الباي ابراهيم الشريف .

١٦٩٤ م وكان هذا السلطان قد اتفق مع مراد باي السابق على مهاجمة الجزائـر .

وكان جيش مصطفى داي يتألف من ستة آلاف من الجنود المشاة وألف فارس أما جيش السلطان مولاي اسماعيل فانه يضم خمسين ألفاً أكثرهم فرسان ورغم هذه القوات الهائلة من الجيوش المغربية، انتصر الجزائريون انتصاراً باهراً في مدة أربع ساعات، فقطعوا ثلاثة آلاف من رؤوس المغاربة وغنموا خمسة آلاف حصان، منها حصان مولاي اسماعيل، الذي أهدي – فيما بعد – إلى ملك فرنسا « لويس الرابع عشر »
وكانت خسارة الجزائريين عشرة جنود فحسب[1] ، ولكنّ فرحة الانتصار لم تدم طويلا، بل أصيب القطر الجزائري بداء الطاعون وذهب بخمسةٍ وأربعين ألفاً من النسمات .

ابرام صلح بين الجزائر وانجلترا وتونس

وفي سنة ١١١٤ هـ – ١٧٠٢ م وقع صلح بين الحاج مصطفى داي الجزائر وابراهيم الشريف باي تونس. ثم بدا للداي أن يخرج الاسبان من وهران، واستشار قنصل فرنسا في ذلك، فغيّر رأيه بقوله: ان من مصلحة الجزائر أن تبقى وهران بيد الاسبان، ولو أخرجتموه لخسرتم الأموال الكثيرة التي تقبضونها منه سنويا »[2] وفي سنة ١١١٥ هـ – ١٧٠٣ م بعثت ملكة

---

١ Léon GALIBERT, l'Algerie ancienne et moderne. P: 235.

٢ « ليون قاليبرت » . المصدر السابق. الصفحة نفسها .

«انجلترا» «آن» Anne القائد البحري «بينك» Binc) بهدايا ثمينة إلى داي الجزائر من أجل ابرام معاهدة خاصة تضمن لها تحسين العلاقات التجارية بين «انجلترا» وبين الجزائر، مثل تحسينها مع فرنسا والجزائر -آنذاك- فوافق الديوان على هذا الطلب، بسبب الهدايا الثمينة التي وزعت على افراده.

وفي هذه الظروف بدأت خزينة الجزائر تنفد، بسبب انقطاع الامدادات التي كانت تدرّ عليها من الداخل والخارج .

اضطرابات داخلية وتجدد الحرب مع تونس

ولما امتنعت تونس من أداء الضريبة التي في ذمتها، أعلن الداي مصطفى الحرب ضدها. وتوجه بجيشه صوب الحدود الشرقية فالتقى بالجيش التونسي بقيادة الباي ابراهيم الشريف قبل مرحلة من مدينة الكاف. ودارت رحى المعركة بينهما فانتصر الداي وقبض على الباي وسجنه، فطلبت الرعية التونسية من الداي أن يكف عن الحرب في مقابل مائة وخمسين «بياسترا» تدفعها له نقداً، ولكن الداي امتنع وأبى وقرر أن يدخل تونس ليغنم غنائم أكثر، فتقدم إلى الأمام وشرع في حصار البلاد، فصمّم التونسيون على الدفاع حتى آخر رمق، ودام الحصار أربعين يوما خسر - أثناءها - التونسيون خلقاً كثيراً، وقد ضاع من الجزائريين ٧٠٠ من الجنود. ثم أحسّ الداي بدبيب الفشل في صفوفه، فطلب الهدنة من التونسيين فطلبوا منه أن يعوضهم من خسارة الحرب. وفي النهاية قرر الداي أن يرفع الحصار عن البلاد. ثم غادرها عائداً إلى الجزائر بعدما ترك قسماً

كبيراً من عتاده الحربي، وفي أثناء عودته تعرض جيشه لمناوشة الاعراب زيادة على ما نال منه من الجوع والتعب. ولما وصل الجيش إلى مقربة من الجزائر حول الداي طريقه واتجه إلى منزل له بضواحي المدينة ليختبئ فيه ولكن رجال الديوان لم يخف عليهم شيء من أمر الداي وجيشه، فقد تسرّعوا إلى انتخاب حسين خوجة الشريف دايا للجزائر، بعدما خنقوا الداي مصطفى في منزله الريفي، وحجزوا أمواله وأملاكه. ثم أخرجوا باي تونس ابراهيم الشريف من السجن، بعدما أعطاهم عهداً بأن يبعث إليهم بمائة وخمسين «بياسترا» بمجرد وصوله إلى تونس وترك عائلته مرهونة في هذا المقدار. ولما وصل إلى تونس ثارت عليه الرعية التونسية فقبضت عليه وقتلته .

وأما الداي حسين خوجة الشريف فقد كان يعاني اضطرابا وقلقاً في صفوف الانكشارية من جراء تعطيل أجورهم، وذلك لأن ميزانية الدولة ينقصها الدخل الكافي، فأخذ يعزل من رجال الوجاق كل من يخالف رأيه، ويسعى في سياسة ضدّه ونفي من كانت له الكلمة العليا في صفوف الجند والرعية، ومن بين أولئك المنفيين محمد بكداش، الذي ألف له محمد بن ميمون كتابه: «التحفة المرضية ... ، ...». وفي أوائل سنة ١١١٨ هـ - ١٧٠٧ م رجع محمد بكداش مع جماعة من المنفى، ودخلوا مدينة الجزائر ليلا تحت ستار الظلام وبدخولهم عزل الداي حسين خوجة الشريف من منصبه، وانتخب محمد بكداش مكانه .

فتح مدينة وهران عنوة

وأول شيء بادر به هذا الداي الميمون ارسال جيش بقيادة صهره «أوزن حسن»، لفتح مدينة وهران التي بقيت تحت سلطة الاسبان مدة خمس ومائتي سنة وهكذا استرسل محمد بكداش يعزز الجيش الأول بامدادات ضخمة، من حيث العدة والعتاد والجند والسواد. حتى استفتحها عنوة على يدي صهره اوزن حسن والباي مصطفى أبي الشلاغم صبيحة يوم الجمعة، السادس والعشرين من شهر شوال سنة ١١١٩ هـ (٢٠ جانفي ١٧٠٨ م). ثم انتقل الباي مصطفى أبو الشلاغم من معسكر إلى مدينة وهران حيث جعلها مقراً لحكمه[1]. وعاد أوزن حسن إلى الجزائر محملاً بالغنائم الثمينة، والنصر المبين.

وبعد هذا الفتح بادر محمد بكداش بارسال هدية ثمينة إلى الباب العالي، منها ثلاثة مفاتيح ذهبية المعدن، وطلب من السلطان أن يتكرّم عليه بقفطان يلبسه صهره أوزن حسن كشعار لترقيته إلى رتبة باشا ولكن السلطان رفض هذا الطلب ولم يبعث بالقفطان.

---

١ كان مقر الباي للايالة الغربية - ابان احتلال الاسبان لمدينة وهران - ينتقل من مستغانم. إلى مازونة، إلى قلعة بني راشد، ثم معسكر. ولما فتحت وهران - للمرة الأولى وغادرها الاسبان - انتقل إليها مقر الباي مصطفى أبي الشلاغم، ولما استرجعها الاسبان -- بعدما مكث فيها المسلمون ٢٤ سنة -- انتقل مقر الباي إلى مدينة مستغانم. ثم فتحها الباي محمد الكبير ونقل إليها مقر الايالة نهائياً سنة ١٢٠٦ هـ - ١٧٩١ م.

ثم إن ادخال الضرائب المعتادة قد تأخر دخولها إلى خزانة الدولة، فصعب على الداي التعجيل بتأدية أجور الانكشارية، التي لم تطق صبراً على تأخير أجورها، - لا سيما حينما بلغها الخبر بأن باي الناحية الشرقية قد جمع الضرائب وهرب بها - فاستشاطت غضباً وثارت على الداي واغتالته في شهر مارس سنة ١١٢٢ هـ - ١٧١٠ م. ثم جعلت مكانه رجلا من أسرتها اسمه دالي ابراهيم وألبسته قفطان الداي السابق محمد بكداش، وكان القفطان ملطخاً دما. ولم يهدأ للداي الجديد بال حتى ثنّى بقتل الصهر أوزن حسن أثر قتل محمد بكداش[١]، وعند الله تجتمع الخصوم.

١ أ - محمد أبو راس، عجائب الاسفار ... (مخطوط خاص).

ب - تقاييد لبعض المؤرخين، مجهولة المؤلف (مخطوط خاص).

Léon GALIBERT l'Algerie ancienne et moderne, P: 237.

Général G. FAURE-BIGUET, Histoire de l'Afrique septentrionale, P: 381.

التنظيم الاداري في الجزائر على عهد الاتراك

ينبغي لنا – قبل أن نضع نقطة النهاية للحالة السياسية – أن نكشف الستار عن بعض التنظيم الاداري في الجزائر أبان عهد الأتراك، لكي يتوصل القراء إلى العناصر التي نبعت منها الثورات الداخلية، والاعتداء الخارجي على القطر الجزائري وقد أحببنا أن نختزل هذا التنظيم في خمسة أسس رئيسية :

الأساس الأول : الادارة المركزية .

الأساس الثاني : تقسيم الادارة .

الأساس الثالث : نظام الجيش .

الأساس الرابع : ميزانية الدولة، ومواردها .

الأساس الخامس : طائفة الرياس .

الادارة المركزية : كان على رأس تلك الادارة – بادىء عهد الأتراك – بابا عروج[1]. ثم خير الدين[2] أخوه بعد موته وهو الذي كان

---

١ قتل على يد الاسبان سنة ٩٢٤ هـ / ١٥١٨ م .

٢ توفي سنة ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م .

يقوم مقامه عند غيابه زمان حياته. ثم حسن آغا، الذي عين مباشرة بأمر من خير الدين. وبعد وفاة حسن آغا[1]. أصبحت الدولة العثمانية هي التي تعين حكام الجزائر. وذوي المراتب العالية بها. ومن ذلك الحين إلى سنة ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م، كانت الجزائر تحت حكام من الأتراك يحملون لقب: باي لا رباي: (باي البايات). وهم بمثابة نواب السلطان العثماني، وبقاؤهم في مناصبهم لم يحدد بزمان. ثم استبدل هذا اللقب بلقب آخر متواضع، وهو لقب الباشا: (ولي اقليم). وقد عين أصحاب هذا اللقب لمدة ثلاث سنوات فقط. ولهذا يسمّيهم بعض المؤرخين[2] بـ «باشوات، ذوي الثلاث سنوات» وكان هؤلاء الحكام يديرون شؤون القطر بمعاونة لجنة استشارية، مؤلفة من أربعة أعضاء، يطلق عليهم: (أنصار العرش): وهـــم :

١) **وكيل الحرج**، وهو المكلف بالاسلحة الداخلة والخارجة، وصناعتها والمتصرف في شؤون الدولة العسكرية برا وبحرا. وهو - أيضاً - المقتصد للحامية أو الفرقة، أو الكتيبة ...

٢) **الخزناجي**، وهو المكلف بأموال الدولة، الداخلة والخارجة ويعرف اليوم بوزير المالية.

٣) **خوجة الخيل**، وهو المكلف بمراقبة الحراس، وادارة أملاك الدولة.

---

١ توفي سنة ٩٥١ هـ / ١٥٤٤ م.

٢ L. Péchot, Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830, (Imprimerie Alger 1914) V.3, P. 96.

(العاصمة)، البليدة، القليعة، شرشال، ودلس. وكانت هذه الولاية تعرف بـ «دار السلطان» وهي تحت تصرف الباشا أو الداي مباشرة .

٢) **ولاية الجنوب**، وهي تيطري. أسست سنة ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م. وعاصمتها المدينة. وهي أصغر ولاية في القطر الجزائري، وأولى ولاية بعد ولاية الجزائر العاصمة .

٣) **ولاية الغرب**، أسست سنة ٩٧٠ هـ / ١٥٦٣ م. وعاصمتها أولا مازونة ثم معسكر، وأخيراً وهران .

٤) **ولاية الشرق**، أسست سنة ٩٧٤ هـ / ١٥٦٧ م. وعاصمتها قسنطينة. وهذه الولايات الثلاث تحت تصرف البايات مباشرة، وهم تحت تصرف الباشا بالجزائر. وتقسيم هذه الولايات يرجع اختراعه إلى حسن باشا ابن خير الدين، ٩٥٠ هـ - ٩٥٩ هـ / (١٥٤٤ - ١٥٥٢ م)[1] .

نظام الجيش: يتكون الجيش التركي في الجزائر من العناصر الآتية:

١) **مشاة الاتراك**: (الانكشارية، أو الوجاق)، وتقسم إلى كتائب، وفرق، ووحدات، وفصائل .

٢) **الفرسان**: (الخيالة) تتكون من الكراغلة، وقبائل العرب .

٣) **البحارة**: وهم نخبة من العزاب: «الزبنطوط» يتكونون - غالباً -

---

١ أ - المزري (بن عودة)، طلوع سعد السعود ... ص: ٤٠٢ . مخطوط خاص .
Louis Rinn. Le Royaume d'Alger. Alger: Typographie Adolphe Jourdon. 1900. P. 14-20.

من ألف رجل فما فوق وأغلبهم من المسيحيين المعتنقين لدين الإسلام .

٤) **المدفعيون**: وهم الذين يقومون بتلقيم المدافع. واطلاق النار على العدو. ولم تكن لدى أتراك الجزائر مدافع البرابان حكم الباي لا رباي. وفي نهاية القرن السابع عشر، وأول الثامن عشر للميلاد بلغت قوة جيش الأتراك خمسة عشر ألف مقاتل وقيل ثمانمائة وستة آلاف مقاتل. وإلى هذا القول الثاني ذهب « بيشوت » (Pechot)[1] .

خدمة الجيش: كانت خدمة الجيش مرتبة على ثلاث مراحل سنويا:

العام الأول، لحماية بلدان المدينة، وهي (النوبة) .

العام الثاني، لخدمة المعسكرات .

العام الثالث، للراحة في الجزائر (العاصمة) .

وكانت الحاميات موزعة على عدة مراسي وبلدان: منها حامية بمرسى الذبان، (على مقربة من « بوانت بسكاد » (Pointe pescade) وحامية في تيزي وزو، وحامية في بوقني، وحامية في الحمرة، (برج بويرة)، وحامية في سور الغزلان، (أمال)، وحامية في القل، وحامية في زمورة (قرب مجانة)، وحامية في قسنطينة، وحامية في عنابة، وحامية في تبسة، وحامية في بسكرة، وحامية في بجاية، وحامية في وهران، وحامية في مستغانم، وحامية في معسكر، وحامية في تلمسان. وفي ربيع كل سنة تغادر الحامية مكان الحراسة، وتخلفها حامية أخرى وهكذا دواليك. وتختص الجنود القدامى

---

١ L. Péchot, Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830, V.3 P: 30.

بالمراتب والألقاب الآتية :

أ) «أني يولداش»: الجندي البسيط الصغير .

ب) «أصكي يولداش»: الجندي القديم، الذي عمل ثلاث سنوات.

ج) «باش يولداش»: رئيس فرقة متكونة من عشرين جنديا إلى خمسة وعشرين .

د) «وكيل الحرج»: المكلف بالاسلحة الداخلة والخارجة وصناعتها، والمتصرف في شؤون الدولة العسكرية براً وبحراً. وهو - أيضاً - المقتصد للحامية، أو الفرقة، أو الكتيبة ...

هـ) «أداباشي»: قبطان السرية .

و) «بولا كباشي»: رئيس فرقة، أو كتيبة، أو فيلق ...

ويسوّغ القانون لأصحاب لقب «البولا كباشي» أن يكونوا - منهم - قسماً من أفراد الديوان .

ز) «آغا»: وهو لقب تشريف يأتي بعد لقب «بولا كباشي» .

وبعد خدمات طويلة في الجيش يحال الآغوات على التقاعد ويبقون يتقاضون مرتباتهم[1] كما هي بالتمام، وقد يكون من الآغوات رجال للقضاء في المحاكم. ويرأسهم ذوو الوظائف العليا، الذين يحملون الألقاب التالية:

أ) «كاهية»: ملازم أول للباشا في الجزائر .

ب) «قائد الدار»: ويعرف في قسنطينة بـ «قائد القصر» .

---

١ كانت المرتبات سنوية، إلا أنها يتقاضاها صاحبها منجمة على ثلاث دفعات في السنة: أي في كل أربعة أشهر يتقاضى جزءاً منها .

ج) «شيخ البلد»: ويعرف في وهران بـ «شيخ الحدود» .

ويجب على القضاة أن يكونوا مطلعين على القوانين الاجرامية والأحكام الشرعية في الإسلام، لينفذوا حكمهم عندما يحدث حادث في البلاد، أو في النواحي التي تحت تصرفهم .

وقد تحتاج الدولة إلى تعزيز جيشها النظامي برجال آخرين ينتمون إلى قبائل المخزن، أو الزمالة. وقبائل المخزن لهم امتيازات لدى الدولة التركية، منها: أنهم معفوون من الضرائب: (اللزمة)، التي يلزم بها غيرهم، بيد أنهم يخدمون الدولة ببعض الخدمات العسكرية، من حيث تلبيتهم عند الاستنجاد بهم، كما أنهم يخدمونها ببعض الخدمات الادارية، من حيث جمع الضرائب التي تفرض على غيرهم من القبائل الخاضعين لحكم الأتراك وادخالها في خزانة الدولة .

أما الزمالة، فهم أناس مشردون من أوطانهم إلى الحدود الجزائرية، فسمح لهم الباشا بالمكوث هناك شريطة أن يمدّوه بمشاة الجنود، وفرسان الخيول، ان اقتضت الحاجة إلى ذلك. وهو يحميهم ممن يتقفى أثرهم كذلك. وكان بولاية وهران عدد وافر من الزمالة المتكونين من الزنوج الفارين من أوطانهم. وقد عرفوا - عند سواد الناس - بـ «العبيد» .

ميزانية الدولة ومواردها: كانت ميزانية الدولة التركية الجزائرية تتغذى وتنمو بالموارد الآتية :

١) باعانة الباب العالي، الذي تكفل بنصف مرتبات الجيش .

٢) بالضرائب المجعولة على القبائل، وهي :

أ - الاعشار والزكوات: (قدر معين من لدن الشرع، يؤخذ من نتاج الأرض، أو الحيوان) .

ب - اللزمة: (ضريبة شخصية، وهي تؤخذ - غالباً - من القبائل الرحل) .

ج - ضريبة العقار: بما فيه أشجار النخيل التي يؤدي مالكها ثمنها معيناً للدولة على كل نخلة بانفراد .

٣) بدخل كراء أراضي الدولة .

٤) بالهدايا التي يأتي بها البايات على رأس كل ثلاث سنوات، وتسمى: «الدنوش الكبير»[1] .

٥) بقدر معين يدفعه الأجانب في مقابلة السماح لارساء مراكبهم بمراسي القطر الجزائري .

٦) بالهدايا، التي تتقرب بها القناصل الأجانب، المقيمة في القطر الجزائري، حسب المناسبات، كهدايا الأعياد والمواسم مثلا ...

٧) بالقدر الذي تدفعه الدول الأجانب، حسب اتفاقات تقع بينهم وبين الدولة الجزائرية والباب العالي، من أجل السماح لهم بالتجارة في عرض البحر الأبيض المتوسط .

٨) بالغنائم البحرية التي كانت تعتبر من الرصيد الهام في خزانة الدولة الجزائرية .

---

١ أما الدنوش الصغير، فهو ما يأتي به خليفة الباي إلى الجزائر مرتين في كل سنة .

كيفية جمع الضرائب: كان - في العهد الأول لحكم الأتراك بالجزائر - نظام خاص لجمع الضرائب. وذلك أن الدولة تأمر ثلاثة أجنحة عسكرية بالنزوح من الجزائر لتتفرق على الولايات الثلاث من أجل قبض الضرائب، وفي نفس الوقت تدعم أركان الدولة بتفقد آراء القبائل. واتجاتهم السياسية حيال الدولة التركية بالجزائر .

وتلك الأجنحة هي :

١) الجناح الشرقي. يوجه إلى ولاية قسنطينة .
٢) الجناح الجنوبي. يوجه إلى ولاية تيطري .
٣) الجناح الغربي. يوجه إلى ولاية وهران .

وكان في كل ولاية من هذه الولايات. كتيبة مكونة من أتراك، وكراغلة، ورجال المخزن، تقف بجانب الباي لتلتقي بالجناح النازح من الجزائر. ثم يطوف الجميع بالولاية لجمع الضرائب اللازمة . وكان غالب الضرائب يدفع عروضاً، لا نقوداً. وقد حدثنا المؤرخون[1] بأن باي قسنطينة كان - كل سنة - يبعث إلى داي الجزائر بمائة ريال «بوجو» أي: حوالي مائة وثمانين ألفا من الفرنكات بالصرف الفرنسي - آنذاك - وهذا زيادة على عدد وافر من العبيد رجالا ونساء. وكمية كبيرة من البرانس والاغطية الصوفية، والجلود المدبوغة: (الفلالية)، والخيول المسوّمة، والحمير والبغال الطيعة، وهلم جرا ...

---

١ أ - أحمد توفيق المدني. محمد عثمان باشا. (الجزائر: المكتبة المصرية ١٣٥٦ هـ) ص: ١٨٤ . ب
L. Péchot, Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830, V.3, P: 34.

طائفة الرياس: لم تكن هذه الطائفة خاضعة خضوعاً تاماً للنظام الاداري، بل كان لها حكم خاص. فهي بمثابة النقابة لربابينة البحر. وكانت هذه الطائفة تتمتع بمحبة تامة، واحترام كبير لدى جمهور الشعب، لأنها كانت تحمي البلاد من غزوات العدو البحرية، كما أنها كانت غنية جداً بسبب الغنائم التي تأخذها من العدو في عرض البحر. وكانت تجند رجالا من شتى طبقات الشعب، فيصبحون بحارة ماهرين. وكانت فلسفة هذه الطائفة في كسب مودة الشعب، وجمع المال الكثير ولهذا نجد رجال الديوان - بما فيهم الباشا - مرغمين على تلبية رغباتها. وكانت كلمتها مسموعة. وأمرها مطاعاً في صفوف الجيش. وقد كونت هذه الطائفة جمعية، تدعى بـ «نقابة الرياس». وعلى ضوء ما تقدم في هذا الملخص يبدو لنا أن نظام الحكومة التركية بالقطر الجزائري كان عسكرياً في غالب الأحوال. ونلاحظ - أيضاً - أن أقحاح الأتراك قد كانوا عدداً قليلا موزعا على أنحاء القطر الجزائري. وقد حدد الأستاذ أحمد توفيق المدني مجموع عدد الجنود التركية - الموجودة في كامل القطر الجزائري - بأحد وستين وثمانمائة وثلاثة آلاف جندي (٣٨٦١ ج)[1].

---

١ انظر محمد باشا. ص: ١٧٧ .

حكام اتراك الجزائر
إبّان عصر المؤلف

الآغوات :

١) شعبان آغا، تولى سنة ١٠٧١ هـ - ١٦٦١ م ومات مغتالا سنة ١٠٧٥ هـ - ١٦٦٥ م .

٢) الحاج علي آغا، تولى سنة ١٠٧٥ هـ - ١٦٦٥ م ومات مغتالا سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م .

الدايات :

١) الحاج محمد داي، تولى سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م وفرّ إلى اطرابلس الغرب سنة ١٠٩٢ هـ - ١٦٨١ م .

٢) بابا حسن داي، تولى سنة ١٠٩٢ هـ - ١٦٨١ م ومات قتيلا سنة ١٠٩٤ هـ - ١٦٨٣ م .

٣) الحاج حسين داي، (مورزو مورتو)، تولى سنة ١٠٩٤ هـ - ١٦٨٣ م واختفى سنة ١١٠٠ هـ - ١٦٨٩ م .

٤) الحاج شعبان داي، تولى سنة ١١٠٠ هـ - ١٦٨٩ م ومات قتيلا سنة ١١٠٦ هـ - ١٦٩٥ م .

٥) الحاج أحمد داي. تولى سنة ١١٠٦ هـ - ١٦٩٥ م وتوفي سنة ١١١٠ هـ - ١٦٩٨ م، بعدما سلم في الحكم .

٦) الحاج حسن شاوش داي. تولى سنة ١١١٠ هـ - ١٦٩٨ م وتخلّى عن الحكم سنة ١١١٢ هـ - ١٧٠٠ م، ثم ذهب إلى اطرابلس .

٧) بابا الحاج مصطفى داي، تولى سنة ١١١٢ هـ - ١٧٠٠ م ، ومات قتيلا سنة ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م .

٨) حسين خوجة الشريف داي، تولى سنة ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م ، وخلع سنة ١١١٨ هـ - ١٧٠٧ م .

٩) محمد بكداش داي تولى سنة ١١١٨ هـ - ١٧٠٧ م ومات قتيلا سنة ١١٢٢ هـ - ١٧١٠ م .

وهنا نضع نقطة النهاية لهذه النظرة الخاطفة الملقاة على العصر السياسي إبان حياة مؤلف كتاب «التحفة المرضية، في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية» .

عصره الثقافي

يقول ابن خلدون: «ان العلوم إنما تكثر حيث العمران. وتعظم الحضارة، والسبب في ذلك أن تعليم العلم - كما قدمناه - من جملة الصنائع. وقد كنا قدمنا أن الصنائع إنما تكثر في الأمصار. وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة. والحضارة والترف. تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة، لأنه أمر زائد على المعاش فتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان؛ وهي العلوم والصنائع ...»[1]

فاذا اعتبرنا نظرية ابن خلدون صحيحة، وأخذنا بمقتضى رأيه الصيّب، وجدنا الثقافة في الجزائر - على عهد الأتراك - رهن فراش الاحتضار تلفظ نفسها الأخير، وان بذورها قد استأصلتها الجائحة في أوكار الزيانيين. ثم اختفت في طي النسيان إلى يوم غير معلوم .

والسبب في ذلك ضعف الحضارة والعمران، واشتغال الجزائريين بأمر معاشهم وبحثهم عن قوت يومهم، وعدم استقرارهم من أجل الحروب الخارجية والثورات الداخلية، كما قدمنا ذلك عندما تناولنا الكلام عن العصر السياسي .

---

١ ابن خلدون (عبد الرحمن) المقدمة بتحقيق علي عبد الواحد وافي (القاهرة = مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٨) ج ٠٣، ص ٩٩٠ .

ولعنا لم نرم شيئاً نكراً، إذا - ما - فهنا بأن الأتراك لم يكونـوا - يوماً ما - دعاة ثقافة وإنما كانوا رجال حرب، وانهم أتوا إلى الجزائر كمحاربين للافرنج والمسيحيين كافة ومدافعين عن حياض الدين ببلاد المسلمين، فليسوا بمثقفين ثقافة عربية النزعة تدفع بهم أن يبثوها في مجتمع طالما أحب العربية حباً جماً ، وبذل من أجلها النفس والنفيس والغـالي والرخيص .

فغير ممكن أن نحكم على شعب بأنه مثقف ثقافة متينة الرصيد، ذائعة الصيت ذات مكانة وتأثير ، وملوكه خلو منها. وقديماً قيل: «الناس على دين ملوكهم»، و «فاقد الشيء لا يعطيه» ولكن «ما لا يدرك كله لا يترك جلّه» .

مدلول الثقافة

لا نود أن نتناول الثقافة من حيث مفهومها العام، الذي يرمي إلى «جميع ما يتناوله الفكر البشري في كل عصر وفي كل جيل»، وإنما نخصص حديثنا في هذه العجالة لنوعين من أنواع الثقافة: الحركة العلمية، والحركة الأدبية بإيجاز غير مخل، إبان حكم الأتراك بالجزائر ولم نقصد بالحركة العلمية مفهومها في العصر الحاضر من حيث اختراع الأشياء التي لم تكن لغير مخترعها في الحسبان: كاختراع طاقة الذرة والصاروخ - مثلاً - وإنما نقصد بالحركة العلمية شيئاً آخر أبعد من ذلك: هو العلم المنقول، أو الحركة الدينية - إن صح هذا التعبير - وذلك لأن مفهوم العلم - في ذلك العصر - قد كان اتقانا لفهم آي الذكر الحكيم،

وحفظاً لمرويات الحديث الشريف، ومعرفة لأصول العقائد والفقهيات وتعمقاً في فن الأصول. أما فن المنطق فقد جرى فيه خلاف بين العلماء، لأنه يمت إلى الفلسفة التي حرم الخوض فيها بعض الفقهاء، وحذروا منها تلامذتهم ومنعوهم أن يتعلموها، لا سيما الذين لم ينالوا قسطا وافراً من عقائد أهل السنة، خوفاً عليهم من أن يتيهوا في دروب الكفر ومزالق الالحاد.

وقد أشار عبد الرحمن الاخضري[1] – في مصنفه «السلم المرونق» – إلى الخلاف الجاري بين علماء الإسلام في تعلم المنطق اليوناني :

فَابْنُ الصَّلاحِ[2] وَالنَّوَوِي[3] حَرَّمَا   وَقَالَ قَوْمٌ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَا
وَالْقَوْلَةُ الْمَشْهُورَةُ الصَّحِيحَهْ   جَوَازُهُ لِكَامِلِ الْقَرِيحَهْ

وكان رجال الدين – في نظر الأمة الإسلامية – هم العلماء بحق فكل فقيه أو محدث أو مفسر أو أصولي أو عقائدي يعد في نظر الناس عالما، ويلقبونه بسيدي «فلان». أما إن جمع بين فنون شتى، فانه يعتبر – عندهم – عالما نحريرا، وبحراً غزيراً. وقد كانت الحركة العلمية – آنذاك – دينية تمت إلى العلم الظاهر وصوفية في آن واحد، بيد أنهما

---

١ توفي – رحمه الله – سنة ٩٥٣ هـ – ١٥٤٦ م، ودفن بقرية (بنطيوس) ببسكرة، وقبره ما زال يزار إلى اليوم .

٢ هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، صاحب كتاب «علوم الحديث». كان من أشهر رجال الحديث والفقهاء، لا سيما أنه تخرج في الفقه عن أبيه، توفي – رحمه الله – سنة ٦٤٢ هـ – ١٢٤٤ م.

٣ هو زكرياء يحيى بن مري بن حسن بن محمد بن جمعة بن حزام النووي، الملقب بمحيي الدين . ولد في محرم سنة ٦٣١ هـ – ١٢٣٤ م بنوى من أعمال دمشق، وتوفي ليلة الاربعاء في الرابع والعشرين من رجب سنة ٦٧٦ هـ – ١٢٧٨ م. وله عدة تواليف مفيدة منها «شرح مسلم» و «رياض الصالحين»..

ضئيلتان. فالدين الظاهر قد أصبح تقليداً أعمى، معتمده الحفظ الجاف لنصوص الحديث واجترار الأراجيز الفقهية والاذكار الصوفية، وضبط ست وستين عقيدة ليخرج المكلف من ربقة التقليد :

إذْ كُلُّ مَـنْ قَلَّـدَ في التَّوحِيـدِ　　　إيمَانُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ تَرْدِيدِ[1]

وقد كان جل علماء ذلك العصر لا يحكمون العقل، بل ينحون نحو التسليم إلى سبقهم من رجال التقليد، ويرون في الأخذ بالمنقول أصوب منهج لمن اتبع سنة الله ورسوله. حتى أنشد بعض علماء العصر[2] :

خَبِّرَا عَـنِّـي الْمُرِيـدَ بأنّي　　　كَافِرٌ بِالَّذِي قَضَتْهُ الْعُقُولُ
مَا قَضَتْهُ الْعُقُولُ لَيْسَ مِنَ الدِّ　　　ينِ بَلِ الدِّينُ مَا حَوَتْهُ النُّقُولُ

أما التصوف فقد تحول إلى دروشة، تتبلور في التوسلات بالاضرحة والقبور، والتسلي ببسط الأكف عند المزارات في الحل والترحال، والركون إلى الخرافات الخيالية، وكل من يتصفح مؤلفات ذلك العصر الخامل ومصنفاته الباكية يجد نفسه يعيش في عالم الأموات، فهذا يرقب خروج

---

١ هذا البيت الحادي عشر من «جوهرة التوحيد» لابراهيم بن محمد بن هرون اللقاني. المتوفي سنة ١٠٤١ هـ - ١٦٣١ م .

٢ منشد هذين البيتين هو عبد القادر الراشدي . كان من أشهر علماء القطر الجزائري في عصره وقد تولى منصب القضاء وتصدى للافتاء في قسنطينة . وله عدة مؤلفات منها: كتاب في «مباحث الاجتهاد» و «حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية» ورسالة في «تحريم شرب الدخان» . وغير ذلك، توفي سنة ١١٩٤ هـ - ١٧٨٠ م .

الدجال من المشرق. وذاك ينتظر ظهور الدابة، وذلك يتوقع انقضاء الدنيا وفناء المادة. والنفخة الأولى في الصور، ومن ظفر بكتاب ابن سيرين لتأويل رؤياه، فقد فاز بكل ما يتمناه. وكانت الحركة الثقافية – بنوعيها: العلمي والأدبي – موزعة على بعض مدن القطر، وفي القليل من القرى والمداشر توزيعا لا يفي بحاجيات أهل القطر لدينهم الضروري وأدبهم المكتسب. وربما قطع سكان بعض القرى والمداشر مرحلة أو أكثر، ليستفتوا في مسألة دينية أو أدبية قد تعرض لهم. ولم يكن بين ظهرانيهم عالم يحل مشكلتها، أو أديب يفك عويصها، وأغلب هذه الظاهرة كان موجوداً في المساكن النائية عن السواحل. لا سيما في المناطق الصحراوية.

ولعل أصدق دليل على ما نقول وأدعم حجة لرأينا فيما ذهبنا إليه، هو ما يحدثنا به أبو سالم العياشي، والشيخ الحسين الورثلاني. قال العياشي: «.. وكان دخولنا لمدينة (ورقلا)[1] عشية الخميس، وأقمنا يوم الجمعة، وصلينا بجامع المالكية، وخطب الخطيب بخطبة أكثر فيها اللحن والخطأ والتحريف والتقديم والتأخير مع ادغام أكثر حروفها، حتى كأنها همهمة، فكنت أتخوف أن لا تصح لنا معه الجمعة – ان كانت صلاته كخطبته –، فنجى الله فأحسن في قراءة الفاتحة، فما ظننا أن صلاتنا معه مجزئة، ودعا في خطبته للإمام المهدي ثم للسلطان الأعظم الخاقان الأفخم: محمد ابن إبراهيم بن مراد ..

---

١ ورقلا: اسمها الأصلي (بني وارجلان) هاجمها صالح رايس التركي سنة ٩٥٩ هـ – ١٥٥٢ م وأدخلها ضمن المملكة الجزائرية. واستمرت خاضعة لحكم الأتراك حتى ذهب الله بهم وجاء بالفرنسيين. ثم ذهب بهم – أيضاً – وعاد الماء إلى مجاريه.

فلما فرغ من الصلاة بعثت بعض أصحابنا ليسأله عن المهدي المدعو له في الخطبة، أهو المنتظر ؟ أم أحد المنتحلين ذلك لمن مضى ؟ فسأله عن ذلك، فاذا هو لا يفقه شيئاً من ذلك، وقال: أظنه النبي ﷺ فعلمت أنه وجد الخطبة مكتوبة في صحيفة عنده وحفظها كما وجدها، إلا أنه لم يحرر حفظها ونقلها. ولعلها من خطب بعض من كان أيام المهدي بن تومرت، زاد فيها هو الدعاء للامامين اللذين في عصره .. »[1] .

هذه شهادة سجلها لنا عابر سبيل، ووثيقة أمينة أفادنا بها عالم من علماء المغرب الأقصى، عاش في القرن الحادي عشر للهجرة النبوية، فقد كشف لنا عن مدى توغل الجهل بالدين أبان ذلك العصر الحالك، كما أعطانا صورة صادقة عن عدم الاكتراث بالقواعد العربية - آنذاك - فالإمام يلحن لحنا فاحشا في خطبته، ويخطيء خطأ غير مغتفر في عبارته دون انتباه منه، أو ملاحظة من المستمعين له على الأقل مع أن مدينة (ورقلا) قد كانت محطا للعلماء الأجانب، ومعبراً لقوافل حجيج بيت الله الحرام. وقال الورثلاني :

« ولما دخلت مسجدها[2] لم أجد قارئاً ولا مدرساً، سوى رجل واحد متى يقرأ لوحه - وهو ملقى أمامه - يقرؤه على غير أدب ولا استقامة . وأخبرني بعض أصحابنا أنه وجد رجلا واحداً يسرد البخاري وحده، ووقف عنده وقال له: رح يا حاج، ووجد آخر كذلك. ولعمري أن هذا أدل

---

١ العياشي عبد الله. ماء الموائد (الرحلة العياشية) فاس - مطبعة حجرية. ج١ ص: ٤٦ .

٢ الضمير يعود على مدينة (بسكرة) .

دليل على الخراب وأقرب الأسباب له، بدليل ما روى عن النبي ﷺ أنه قال إذا أراد الله عمارة قوم بدأ بما له فيهم، وإذا أراد خرابهم بدأ بما له فيهم، أو كما قال ﷺ . ولقد بدأ الله هذه البلدة بخراب بيته، فهو أقوى الدلائل على خراب البلد وموته. ولقد مرضت من ذلك الاحشاء، والله تعالى يفعل في ملكه ما يشاء .. ويعذب من يشاء ويرحم من يشاء .

ولقد وددنا عمارتها بالعلم، والعمل، ورفع الحرج عنها برفع ذوي الزيغ والزلل، .. وتدريس العلم، وذكر الله آناء الليل وأطراف النهار في ذلك المسجد المشيد، فان لأهل هذه المدينة تأهلا لهذا كله، ولكن الله يفعل ما يريد. وفي مثل ما وقع لنا من التحزن والتحسر والتألم والتضجر، من قلة العلم وأهله في مواطن حسنة من محله يصدق قول العلامة الإمام الهمام أبي علي اليوسي من أجلّ أصحاب الوالد، وممن ظهرت بركاته عليه في المصادر والموارد :

وَأَوَدُّ لَوْ كَانَتْ مَجَالِس بَيْنَهُـــمْ ... يَضْحَيْنَ في سُبُلِ الْهِدَايَةِ مَعْلَما
وَشَجا الْحَشا أَنْ لَمْ أَجِدْ مِنْ عَالِمٍ ... يَهْدِي الْوَرَى بِها وَلا مُتَعَلِّما[1] »

فهذه وثيقة ثانية قد جاء بها فقيه من أبناء تربتنا، وصوفي من متصوفة القرن الثاني عشر. وهو أحق بأن نصدقه فيما يقول، لأنه أقرب مودة لأبناء وطنه، وأكثر غيرة على بلاده. ومع ذلك، فقد وصف مدينة (بسكرة) بما هي عليه من الخراب المتبلور في فقدان التعلم والتعليم، وإذا كانت

---

١ الحسين الورثلاني. نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثلانية) بتحقيق محمد بن شنب. الجزائر : مطبعة «فونتانا»، ص: ٩٢

مظاهر الثقافة نادرة في المناطق الصحراوية الجزائرية، فان وسط القطر، كان يحظى بما قدر له أن يحظى به من ثقافة العصر، لا سيما المدن الرئيسية التي بقيت محافظة على شيء من التراث العلمي والأدبي. ولعل أصدق دليل على ذلك هو ما أثبته بعض المؤرخين من الافرنج وجماعة من أبناء ملتنا .

يقول «بول قافاريل» (Paul Gaffarel) = : كانت قسنطينة على عهد الأتراك ... عاصمة دينية، وكانت العلماء تتمتع فيها بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، كما أنها كانت غاصة بعدد كبير من الطلبة يغترفون من خمس وعشرين مدرسة للعلوم الدنيوية والأخروية، ثم يتفرقون في أنحاء القطر لينشروا ما اغترفوه من العلوم. ان قسنطينة كانت – حقاً – مبعث نور الجزائر، كما كانت تشرف العلماء وتقدرهم حق قدرهم»[1] . .

ويقول أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي، يصف علماء الجزائر (العاصمة) الذين أخذ عنهم وأجازوه سنة ١٠٩٤ هـ (١٦٨٢ – ١٦٨٣ م): «غرر أعلام، ينجلي بهم الاظلام وشموس أئمة، تنفرج بهم كل غمة، وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة، من رجال، كالجبال، وأحبار كالأقمار، طلعوا في بروج سعودها بدوراً ألبسوها رواء ونوراً، فاهتديت بأنوارهم السنية، إلى قطف ما راق من أنوارهم الحنية، ورتعت في رياض آدابهم فتمتعت، ونهلت من حياض علومهم حتى تضلعت، وكرعت في أنهار بلاغتهم حتى رويت، وهصرت من أفنان براعتهم ما

---

١ Paul Gaffarel: L'Algerie. Paris, imprimerie de l'Institut. 1883. p. 123.

هويت، ونسيت ببشرهم وتأنيسهم، وما اقتسبته من المعارف في تدريسهم، ما عانيته من رهج القفار، وقاسيته في لجج البحار.

وَلَوْ لَمْ يَزِدْ إِحْسانُهُمْ وَجَمِيلُهُمْ عَلى الْبِرِّ من أَهْلي حَسِبْتُهُمْ أَهْلي

فلم أزل بين اقتباس أنوار، واقتطاف أنوار، إلى أن أشعر كبدي بالانصداع، داعي الوداع وأصابني من الوجد شبه الجنة، عندما عزمت على الخروج من تلك الجنة، ولما أزف الرحيل، واستعمل عزمي في أسبابه العنق والذميل، التمست ممن اصطفيته من أولئك الأخيار، ان يكتب لي من اجازته ما أطاول به الاحبار، فسوغ لي من اعتمرت بمطافه، ما ترشفته من نطافه، وأجاز لي من اهتديت بمناره، ما أقبسني من أنواره، وقد أردت أن أذكر من حلاهم في هذه الأوراق، ما تحسده الجواهر في الأطواق، وانقل أثر ذلك اجازة من أجاز، وأباح لي الرواية عنه في الحقيقة والمجاز»[1]. ونستفيد من الاجازات – التي أجاز فيها علماء الجزائر لابن زاكور – معرفة بعض الفنون والكتب التي كانت تدرس هناك، وآنذاك، مثل «جمع الجوامع» للامام السبكي، وشرحه للمحلي، وحواش مع بعض شرح «مختصر ابن الحاجب» و «تلخيص المفتاح» في علم البيان و «الجمل» للخونجي في علم المنطق و «السلم المرونق في علم المنطق» أيضاً و «ألفية العراقي» في مصطلح الحديث و «جملة من كتب السير» وكتاب «الشفاء» للقاضي عياض و «البردة» بشروحها

---

١ نشر أزاهر البستاني، فيمن اجازني بالجزائر وتطوان. الجزائر: مطبعة فونتانا ١٣١٩ هـ – ١٩٠٢ م، ص: ٣ – ٤.

للإمام البوصيري و «السينية» و «عقائد السنوسي». وكتب أخرى في فن التصوف، والنحو، والصرف، والتفسير، والعروض، والحساب، والفرائض، وهلم جرا [١] ...

ويقول عبد الرحمن الجامعي – في رحلته المسماة بـ «التاج المشرق الجامع ليواقيت المغرب والمشرق» – : «لما دخلت بونة (عنابة) أمّمت دار الشيخ الرباني، العلم العرفاني، الذي بنيت هذه الرحلة المباركة، على قواعد بركته، أبي العباس أحمد بن قاسم، فوجدته طلق المحيا، وأنزلني بمنزل لاكرام أضيافه مهيا، فأقمت عنده يتزهني في كل يوم في رياض تآليفه الحديثية وغيرها، وينثر علي كل ساعة من فرائد فوائده ما تبخل به على الغائصين قعور بحرها. وكنت أحضر تلك المدة مجلس روايته الصحيحين بين يديه، مع مشائخ بلده وولديه، ومما رويت عنه – فسح الله في أجله وأسهب – ان تآليفه بلغت ما ينيف عن المائة ما بين مختصر ومسهب، ولما وقفت في علم الحديث على البحر العباب، والعجب العجاب، سألته الاجازة [٢] ...» .

ويقول الجامعي – في موضع آخر من رحلته –: «... وأما مدينة الجزائر، فأول بلد لقيت بها مثل من فارقته من أدباء بلدي، وبها تذكرت بعض ما كان نسيه خلدي، لاجتماعي بها بالأديب الماهر، الدال وجوده

---

١ المصدر السابق. ص: ٨ – ٣٣ .

٢ المهدي البوعبدلي: الثقافة والتوجيه بالجزائر في العهد التركي (محاضرة ألقيت أمام ملتقى التعريف بالفكر الإسلامي المنعقد بمدرسة ترشيح المعلمين بمدينة الجزائر من ٦٩/١٢/٢٦ إلى ٧٠/١/٢) ص: ١٨

على صحة القول بوجود الجوهر الفرد في سائر الجواهر ، أديب العلماء وعالم الأدباء، محيي طريقة لسان الدين ابن الخطيب الإمام الخطيب ابن الإمام الخطيب، ذي القدر العلي، ابن عبد الله محمد بن محمد المعروف بـ «ابن علي» ... رأيته أول ما لقيته وأنا لا أعرف مسماه، فرأيت صورة تدل على حقيقة الأدب ومعناه ...»[1]

ثم يقول الجامعي – أيضاً – : في مدينة الجزائر: «فهي – والحمد لله ! – إلى الآن دار الجوهر الفرد في الأدب، وعلم العقل والنقل، وتنبت العلماء، والصالحين كما تنبت السماء البقل ... وهذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء، وعلماء أدباء، وأعلام خطباء، مساجدهم بالتدريس معمورة، ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة. وقد ذكرت ما فيه غنيمة من علمائها الأخيار. وكلهم متحلون بأحسن الصفات، متضلعون بعلم النحو والفقه والحديث وأحياء ليلة المولد النبوي مثل ما في القديم والحديث ...»[2] .

وعلى ضوء هذه النصوص، يتبين لنا أن الثقافة في القطر الجزائري، قد كانت جهوية اقليمية أكثر منها قطرية عمومية، وانها كانت محصورة في أشخاص معينين. وأماكن محدودة. وإذا كانت كذلك فهي عاجزة

---

١ أحمد بن عمار. نحلت اللبيب ، بأخبار الرحلة إلى الحبيب. الجزائر: مطبعة فونتانا (١٣٢٢ هـ – ١٩٠٥ م) ص: ٨١ – ٨٢ .

٢ عبد القادر، نور الدين. صفحات في تاريخ مدينة الجزائر. قسنطينة مطبعة: البعث ١٩٦٥ م – ص: ١٩٨ – ١٩٩ .

عن التأثير الذي هو شرطط أساسي لثقافة الشعوب أينما كانوا وحيثما بانوا وكانت الحركة الأدبية أقل انتشاراً من الحركة الدينية. ولعل ذلك راجع إلى سببين اثنين :

أولهما :

إن الدولة التركية الجزائرية. قد كانت عجمية اللسان، لا تفقه شيئاً مما ينشده الشعراء، أو يتفصح به الخطباء، فهي لا تهتم إلا برجال الحرب الذين يحسنون ضرب السيف، ويصيبون الهدف ويقرعون الزناد، لأن العصر عصر اضطراب وانتقام، وجميع دول الافرنج والمسيحيين واقفون لها بالمرصاد، وبالاضافة إلى ذلك فإن الثورات الداخلية في البلاد قد كانت تشتعل من حين إلى آخر فليس من الممكن أن تجد الدولة لديها من الوقت الذهبي لتصرفه في سماعها لقصائد الشعراء، ثم تجيزهم بما يحفزهم إلى المضي في التنزه والتجول في حدائق ألوان الأدب ورياض فنونه .

اللهم لا، ان أتراك الجزائر لم تطأ أقدامهم أرض القطر الجزائري. إلا لمحاربة الافرنج المسيحيين الذين اغتصبوا البلاد واستعبدوا العباد. فالأتراك مسلمون والإسلام – عندهم – عدو للكفر حيث كان، وأنى بان، وكفى .

فما لهم وللأدب الذي خرب بيوتاً عامرة وهدم قصوراً شامخة وذهب بدول الأندلس، فأمست عبرة محزنة لمن جاء بعدهم، وغدت مضرب الأمثال عبر الأجيال .

ان الأدب نافلة تتنفل به الشعوب التي انتهت من أداء واجبها فمن أين تفاجىء فكرة الأدب شعباً مثل شعب الجزائر ، قد كان مشتغلا بقوت يومه وكسب عياله. فكيف يهدأ له بال، ويسمح له ضميره أن يركن إلى الأدب ؟ بينما هو يقاسي – في مسقط رأسه – الأمرين من حيث تتابع الثورات الداخلية وتوالي الهجومات الخارجية. فقد تحطمت معنوياته، وتكبلت مواهبه. فأصبح رهن القلق والاضطراب اللذين قد تولد عنهما القنوط واليأس والشقاء والبأس .

ثانيهما :

ان التوجيه التعليمي كان دينياً أكثر منه أدبياً، لا سيما الزوايا التي لم تؤسس إلا لتكون مرتعاً للعلوم الدينية، والفنون الإسلامية .

ومهما كان من أمر ، فغير ممكن أن نحكم بثقافة أي شعب كان، في أي قطر كان، وفي أي عصر كان، دون أن نستند إلى براهين قطعية، ودلائل محسوسة. توحي بثبوت تلك الثقافة .

وقد أحببنا أن نعبر عن تلك البراهين والدلائل بكلمة «المظاهر»، لأنها أقرب دلالة وأنسب لفظة للموضوع. وتلك المظاهر هي ثلاثة – في رأينا – :

أولهما : مراكز الثقافة .

ثانيها : النتاج الثقافي .

ثالثتها : رجال الثقافة .

مراكز الثقافة في الجزائر

كانت الثقافة – لذلك العهد – موزعة على سبعة مراكز، كل منها يقوم بوظيفته، التي أسندت إليه أحسن قيام، حسبما تتطلبه ظروف العصر. وتقتضيه قوانين أقليم القطر، وعوائد سكانه .

المركز الأول :

كتاتيب القرآن، وقد خصصت لاستظهار كتاب الله العزيز، وهي أول محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية، بواسطة اللوح المصلصل، والقلم القصبي، وتكون هذه الكتاتيب – غالباً – في أضرحة الأولياء وفي الدكاكين، والمساجد التي لا تقام فيها الصلوات الخمس .

المركز الثاني :

الزوايا، وقد كانت الزوايا تحتل مكان الصدارة بين مراكز الثقافة من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب، المتعطشين إلى أكتراع زلال العلم والمعرفة، وقد كانت مقسمة إلى قسمين اثنين، كل قسم منهما يقوم بدوره أحسن قيام :

أ) فأما القسم الأول فيقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم، وقد يؤمه – غالباً – الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية واستظهروا بعض السور من آي الذكر الحكيم على الأقل .

ب) وأما القسم الثاني فانه يقوم بتدريس بعض فنون الوقت لا سيما الفقهيات ، والعقائد، وقواعد النحو والصرف، وفنون البلاغة، والمنطق وبعض المبادىء في علم الفلك، وهلم جرا ...

وهذا القسم لا يؤمه – غالباً – إلا المستظهرون لكتاب الله العزيز من طلاب العلم الشريف .

المركز الثالث :

المساجد، وقد كانت – فيما عدا أوقات الصلاة – مرتعاً لحلقات الدروس اليومية، ومحطاً لفنون العلوم، التي كانت تدرس لذلك العهد، لا سيما في المدن والقرى، حيث لا زوايا تقوم بدورها في بث ما أمكنها من العلوم، المتواطأ عليها – آنذاك – والمتداولة بين سواد الناس .

المركز الرابع :

المدارس، وهي أمكنة خصصت لالقاء الدروس بها، ولا توجد إلا ببعض المدن الرئيسية، مثل: قسنطينة، والجزائر ، وبجاية، ووهران، وتلمسان، التي بها مدرسة سيدي أبي مدين، والتي قرأ فيها ابن خلدون، وأقرأ فيها أيضاً، وكانت بهذه المدارس غرف يسكنها الطلبة الغرباء .

المركز الخامس :

الدكاكين التجارية، التي كانت تستعمل نهاراً للبيع والشراء، وفي الليل للمسامرات الأدبية .

المركز السادس :

الأندية المنزلية، وهي التي كانت تقام في منازل وجهاء البلاد، وأعيان ذوي النفوذ، والسلطة المحلية – وقد استمرت هذه العادة إلى زمان الاحتلال الفرنسي – فكان الداي والباي والآغا والقاضي والمفتي يجتمع لدى كل منهم بعض من الرعية بعد تناول العشاء في منازلهم، ثم يشرعون في قراءة كتاب ما قد اتفقوا على قراءته، هذا في غير شهر رمضان المعظم. أما في رمضان، فانهم مواظبون على صلاة التراويح هناك. وبعد الفراغ منها يشرعون في دروس دينية حسبما جرت بها العوائد الاقليمية في مجالس شهر رمضان الفضيل. وكانت منازل العلماء أندية ومراتع دروس يومية، يتلقاها الطلبة عن هؤلاء العلماء في منازلهم، وبعد انتهاء الدروس يرجع كل طالب إلى منزله ليعود في الغد، وهكذا ... وتكون هذه العادة – غالباً – في المدن والقرى والمداشر التي لم تكن فيها زوايا تقام فيها دروس علمية .

واستمرت هذه العادة إلى زماننا. وقد عشنا هذه الفترة ومارسنا نفس الطريقة أيام تعلمنا ببلدتنا «زمورة» مسقط رأسنا ومقر أجدادنا. ولسنا بالمغالين ان قلنا: ان منازل العلماء قد كانت محكمة للمتعاقدين وملجأ للمتخاصمين وقبلة للمتصالحين ومسجدا للمستفتين ومزاراً للمتبركين، كما كانت مدرسة للمتعلمين .

المركز السابع :

المكتبات العامة والخاصة، وهي التي كانت تضم اشتات المخطوطات

في مختلف فنون الوقت، كما كان يرتادها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة فيها، لا سيما المكتبات العامة التي كانت وقفاً وحبساً على المساجد ..والزوايا والمدارس. وقد كانت هذه المكتبات العامة موزعة على القطر الجزائري حسب أهمية الأماكن، من حيث الثقافة والاعتناء بتدريس العلوم، لا سيما المدن، مثل: الجزائر العاصمة وقسنطينة، وتلمسان، ومازونة، وهلم جرا ... قال «بول قافاريل» (Paul Gaffarel) «... وكان أهل قسنطينة مولعين باقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات أنّى وُجدت. وقد وجدت فرنسا - عند دخولها لمدينة قسنطينة - ١٧ مكتبة خاصة تحتوي على ١٤٠٠٠ من المجلدات[١] ...» .

النتاج الثقافي

لقد أصبح النتاج الثقافي - في القطر الجزائري - ضئيلا كما قدمنا بالنسبة إلى الأقطار الإسلامية الأخرى. فالنتاج العلمي - غالباً - محصور في بعض التفاسير التي جلها لم يكمل، وفي الشروح والحواشي الفقهية والعقائدية التي دوّن مصنفاتها القدامى أو المعاصرون لهم في غير قطرهم.

وقد بادر علماء الجزائر - آنذاك - إلى حذو من تقدمهم في فنّ التصنيف أيضاً. وكان مضمون هذا النتاج يغلب عليه طابع التقليد الأعمى من حيث التفكير، تارة لعلماء المغرب الأقصى - لا سيما أهل فاس - وتارة لعلماء المشرق العربي - بما فيه تونس - وتارة لعلماء بجاية، أو

(1) Paul Gaffarel. L'Algerie. p. 123.

تلمسان، أو الأندلس، يوم أن كانت هذه الأماكن الثلاثة في غضارة وريعان علمها وأوج أدبها. بيد أن هذا التقليد لم يكن يجري في الأسلوب مجراه في المضمون. فقد أصبح أسلوب علماء القطر أغلبه مشوب بألفاظ عامية زيادة على ركاكة في التركيب، لا سيما في العقود الشرعية والخطب المنبرية. ولعل وصمة اللحن الفاحش وركاكة الأسلوب هما اللتان وقفتا حجر عثرة في طريق من يريد تدوين ثقافة الجزائر وتاريخ ماضيها .

أما النتاج الأدبي، فقد كان محصوراً في بعض المدائح النبويـة والمقطوعات الصوفية ومرثيات بعض العلماء وفي قليل من الأشعار الغزلية والمقامات والاسجاع النثرية، وكان جل هذا النتاج وليد المناسبات مثل القصائد التي قيلت بمناسبة فتح مدينة وهران ومن أجل التحريض على فتحها أيضاً. وهلم جرا ...

وسيجد القارىء نماذج من هذا النوع في الكتاب الذي نحن بصدد التقديم له. وزيادة على قلّة هذا النتاج، فانه لم يبلغ النضج العقلي والشعور الحي، وسعة الخيال. وان كان هناك بعض الشيء منه قد برّز صاحبه فيه فانه يعد شاذاً في نوعه، والشاذ لا يقاس عليه. ولعل من يتصفح تراثنا الأدبي في ذلك العصر المنحط – وما اندره في قطرنا – يوافقنا فيما ذهبنا إليه. وهل من أديب منحه الله ذوقا سليماً وشعوراً أدبياً في عصرنا الحاضر يستسيغ مرثية يوسف الزياني في البشير البحثاوي الآغا للباي مصطفى أبي الشلاغم، ننقل منها ثلاثة أبيات كنموذج :

هَنيئاً لَـكَ الْجِنـانُ لا السَّعـــيرُ يا كَافِلَ الأَرامِلِ يا بَشـيرُ

لَقَدْ عِشْتَ سَعِيداً في رَغَدِ عَيْشٍ وَفُزْتَ بِالشَّهَادَةِ يَـا أَمِـيرُ
بِبَلْـدَةِ مُسْتَغَانِمَ كَـانَ الْمَثْـوَى فَنِعْمَ السُّكْنَى سُكْنَاكَ يَا نِحْرِ يرُ[1]

ومن هذا النمط كثير من نتاج أدبنا على عهد الأتراك في قطرنا، ورغم هذا، فان هناك نتاجاً أدبياً رائعاً يستطيع أن يساير فن العصر وذوقه، إلا أنه قليل نادر، ومن أمثال ذلك قول يحيى بن أحمد بن أبي راشد يصف مدينة الجزائر[2] :

سَقى الْمَطَرُ الهَطَّـالُ أَرْضاً تَشَرَّفَـتْ
بِمِصرٍ غَدَتْ لِلْفَضْلِ وَالْفَخْرِ جَـامِعَـهْ
بِـ «مَزْغَنَّةَ[3]» الْفَيْحَاءِ تَظْهَرُ مِنْ مَـدَى
تُرَى كَسَقيطِ الثَّلْجِ بَيْضَاءَ نَـاصِعَـهْ
بِنُورِ السَّمَا أَبْـراجُهَـا قَـدْ تَأَلَّقَـتْ
تَرُوقُـك مِـنْ أُفْـقِ الْأَجِنَّـةِ طَالِعَـهْ
وَحَيْثُ الرَّبِيـعُ الغَـضُّ تَمَّ شَبَابُـهُ
تَرَى أَرْضَهَا تُبْـدِي الْغَضَـارَةَ ناجِعَـهْ
وَحَيْثُ بَـدَا كِسْرَى الرِّيَاضِ مُتَوَّجـاً
بِتَاجِ نُوارٍ فَهْيَ صَفْـرَاءُ فَـاقِعَـهْ
تُرِيكَ احْمِراراً في ابْيِضَاضٍ كَأَنَّهـا
دِمَـاءٌ عَلى أَرْضٍ مِنَ الثَّلْـجِ وَاقِعَـهْ

---

١ المزري بن عودة : طلوع سعد السعود. ص :. ٩٩ (مخطوط خاص) .

٢ كان من المعاصرين لمحمد بن ميمون. وقد ذكره في كتابه « التحفة المرضية » .

٣ مزغنة : مدينة الجزائر .

دواليبُهـــا تَسْقي الغُصونَ فَتَنْثَني
حَمَائِمُهَـا تَشْدُو عَـلى الْقُضْبِ سَاجِعَهْ
فَتُبْصِرُ أَغْصَـانَ الْحَـدَائِـقِ سُـجَّداً
تَميـدُ مِـنَ الصَّوْتِ الْحَنُونِ وَرَاكِعَهْ(١)
سَقَى رَوْضَهـا عَهْـدُ السَّحَائِبِ فَانْتَشَـتْ
أَزاهِرُهُ بِالْمَاءِ تَضْحَكُ دَامِعَـهْ
وَمَـا هِيَ إِلَّا جَنَّـةٌ قَـدْ تَأَرَّجَـتْ
مَبَاخِرُهَـا بِالطِّيبِ وَالمِسْـكِ سَـاطِعَـهْ(٢)

وقول أحمد بن عمار الجزائري في وسيم حيّا بغصن زهر :

تَبَـدَّى باسِماً عَـنْ رَوْضِ زَهْـرٍ وَقَـلَّ(٣) بِكَفِّـهِ زَهْراً نَدِيّـا
فَقُلْتُ أَيـا قَضيباً قَـلَّ بَـدْراً مَتى حَمَلَتْ أَنامِلُكَ الثُّرَيّا(٤)

وقوله عندما استلم قصيدة من شيخه أبي عبد الله محمد بن محمد الشهير بـ «ابن علي» :

أَنَسِيمِ رَوْضٍ رَقَّ فِي سَرَيانِهِ وَثَنَى الْقَضِيبَ فَرَاقَ فِي مَيْلَانِهِ ؟
بَعَثَتْ أَرِيجَتُـهُ السُّلُـوَّ لِخَاطِرِي فَتَخَلَّصَ الْمَحْزُونُ مِنْ أَحْزَانِهِ
أَمْ رَوْضَـةٌ غَنَّـاءُ رَاقَ رُواؤُهـا خَلَعَ الرَّبِيعُ بِها حُلى أَلْوانِهِ ؟

---

١ وراكعه: معطوف على «سجدا» .
٢ عبد الرحمن الجامعي. شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ٣٣ (مخطوط خاص) .
٣ قل الشيء يقله: حمله .
٤ أحمد بن عمار. نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب. الجزائر : مطبعة فونتانا (١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م) ص: ٢٥١

وَتَبَرَّجَتْ كَالْخُـودِ فِي مـوشِيَّـةٍ   مِنْ وَرْدِهِ الْمَطْلُولِ مَعْ سَوْسَانِهِ
وَبَدَا لِذَلْقِ[1] الطَّيرِ فَوْقَ غُصونِهَا   شَدْوٌ يُثارُ الْوَجْدُ مِنْ أَلْحانِهِ
وَجَرَى بِهَاتِيكَ الْجَدَاوِلِ مَـاؤُهـا   فَبَدَا انْسِيَابُ الرَّقْطِ مِنْ جَرْيانِهِ
وأَمالَ أَعْطَافَ الْغُصـونِ نَسِيمُهـا   لَمَّا انْبَرَى لِلرَّكْضِ فِي مَيْدَانِهِ
وَتَفَتَّقَتْ أَكْمَامُهَـا عَـنْ زَهْرِهَا   فَتَعَطَّرَ الْمِضْمَارُ مِنْ رَيْعَانِهِ[2]

إلى آخر القصيدة التي تبلغ أبياتها ٩٦ بيتاً. ومن النادر – أيضاً – مرثية ابن عبد الله محمد بن علي لزوجته، نذكر منها بيتين :

وَلَوْلَا عَـذَابُ الْقَلْبِ لَمْ يَعْذُبِ الْهَوَى
وَلَوْلَا التَّجَنِّي مَا دَرَى الْوَصْلَ مَـنْ يَجْنِي
وَلَوْلَا لَهِيبُ النَّارِ يَزْدَادُ حَـرُّهُ
لَمَـا أَتْقَنَتْ صُنْـعَ الْحُسَامِ يَـدُ الْقَيْنِ[3]

وأنشد قصيدة يصف فيها نزهة مع أحمد بن عمار السابق الذكر ويمدحه ويتشكّى من حسّادهما وهي لا تقلّ عن ٨٤ بيتاً. نقتطف منها ما يلي :

وَالرَّوْضُ قابَلَنَا بِوَجْهٍ مُشْرِقٍ   وَالزَّهْـرُ حَيَّانَـا شَذَا رَيْعَانِـهِ
وَكَأَنَّ صَبَّ الْبَحْرِ صَبٌّ[4] هائـمٌ   غَلَبَ الْبُكَاءُ عَلَيْهِ فِي أَحْيَانِـهِ
بَعَثَتْ بَواعِثَ حُزْنِـهِ رِيحُ الصَّبا   فَتَراهُ لَا يَنْفَكُّ عَـنْ أَشْجَانِـهِ

---

١ الذلق: الفصيح والبليغ .
٢ المصدر السابق. ص: ٤٥ .
٣ المصدر السابق. ص ٦٧ .
٤ الصب: اسم مصدر، وهو العاشق ذو الولع الشديد. ومنه قول البوصيري: في بردته: «أَيحْسِبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ» .

وَبحَضْرَتِي الْفَذُّ الَّذِي بَهَرَ الْوَرَى ... أَدَباً وَأَخْرَسَهُم بِسِحْرِ بَيَانِهِ
فَهْوَ ابْنُ عَمَّارِ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ ... لاَقَى ابْنَ عَمَّارٍ[1] لَغَصَّ بِشأْنِهِ
خَدَمَ الْقَرِيضَ بِسَاطَهُ وَأَبَاحَهُ ... أَنْ يَجْتَنِي الأَزْهَارَ مِنْ بُسْتَانِهِ
وَكَأَنَّمَا زَهْرُ الْكَوَاكِبِ نَثْرُهُ ... في الحُسْنِ أَوْ كالرَّوْضِ في نَيْسَانِهِ

إلى أن يقول :

وَإذَا نَسُوا فَضْلِي فَكَمْ مِنْ فَاضِلٍ ... قَبْلِي سَقَوْهُ السَّمَّ في كِيسَانِهِ
نَصَبُوا حَبَائِلَ مَكْرِهِمْ وَتَعَرَّضُوا ... بسهامِهِمْ لِلنَّجْمِ في كِيوَانِهِ
مِنْ كُلِّ أَرْعَنَ أَهْوَجَ الأَخْلاَقِ قَد ... أَرْبَى عَلَى فِرْعَونَ مَعْ هَامَانِهِ
أَوَ لَمْ يَرَ الْمُغْتَرُّ أَنْ الْعِزَّ لا ... تَبْقَى مَلابِسُه على فِتْيانِهِ ؟

إلى أن يقول :

واكْتُمْ أَبا الْعَبَّاسِ سِرَّ تَغَزُّلِي ... فَالسِّرُّ عِنْدِي أَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ
أَجْلافُ هَذَا الْعَصْرِ حَقًّا لَوْ رَأَوا ... حَسَّانَ مَا جَنَحُوا إلى إحْسَانِهِ
حَسِبُوا السَّرَابَ - بِقيعَةٍ - مَاءً وَقَدْ ... ظَمِئُوا فَمَا وَرَدُوهُ مِنْ غُدْرَانِهِ
إنْ أَنْكَرُوا فَضْلِي لِخُبْثِ طِبَاعِهِمْ ... فالدُّرُّ لَيْسَ يَعِزُّ في أَوْطَانِهِ
وَكَذَلِكَ الْيَاقُوتُ مَا بَعُدُوا بِهِ ... إلا وَزَادَ الْبُعْدُ في أَثْمَانِهِ
وَإذَا الْفَتَى عَلِقَ الْفَضَائِلَ وَاعْتَلَى ... قُنَنَ الْمَعَالِي عَزَّ في سُلْطَانِهِ
وَعَلَتْ إشارَتُهُ وَشارَتُهُ فَلاَ ... زمنَ تَرَاهُ يَسُودُ غَيْرُ زمانِهِ[2]

وفي اعتقادنا أن الأدب في الجزائر قد أصبح - على عهد الأتراك -

---

١ ابن عمار : هو بدر ابن عمّار ممدوح المتنبي .
٢ المصدر السابق. ص: ٤١ - ٤٥ .

شاذاً وأشد منه شذوذاً الأدباء والنبغاء .

وعلى رأس هؤلاء النبغاء في القرن الأول - إبّان حكم الأتراك - أبو العباس أحمد المقري[1] . وقد خصصنا له دراسات جامعية ضافية البحث، وأما في القرنين التاليين فلم نجد من يستحق الرتبة الثانية - بعد أبي العباس - من حيث التنزه في رياض الأدب والتجوّل في ميدان العلوم العقلية والنقلية. سوى أحمد بن عمار الجزائري ...[2] صاحب كتاب « نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب »، ولعل الله يتيح لنا الفرصة في المستقبل القريب حتى نخصص له دراسات اكاديمية مثل قرينه، « وليس ذلك على الله بعزيز ». وقد منحنا الأولوية لهاتين الشخصيتين دون غيرهما من سائر الشخصيات الجزائرية، لكونهما قد جمعا - لأدبهما الممتع - علماً غزيراً، ودراية واسعة النطاق وموهبة وقادة وشهامة فذة .

وقد انفرد أبو العباس بحافظة لقاطة وذاكرة عديمة النظير ، وليس معنى هذا أن القطر الجزائري قد خلا - كلياً - من الأدب أبان عهد الأتراك، بل هناك أدب، بيد أنه ما زال فجاً لم يبلغ النضج العقلي والشعور الحي والخيال الجوال .

---

١ هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد المقري القريشي. ولد بتلمسان سنة ٩٨٦ هـ - ١٥٧٨ م بعد ما مضى على دخول الأتراك لهذه الحاضرة ثلاثون سنة، وتوفي سنة ١٠٤١ هـ - ١٦٣٢ م، ودفن بمقبرة المجاورين رحمه الله . وترك للثقافة العربية ثروة كبيرة في شتى الفنون .

٢ هو الحاج أحمد بن عمار الجزائري مفتي المالكية بمدينة الجزائر ، كان نابغة زمانه في العلوم النقلية والعقلية. كان مفتياً سنة ١١٨٠ هـ (١٧٧١ م) ولم نعرف بالضبط زمان وفاته .

وكلامنا كله في الأدب المكتسب (أدب الدرس) أما أدب المواهب الطبيعية (أدب النفس) فهو أكثر من كثير بالقطر الجزائري. لا سيما الشعر الملحون المعبر عنه «بالأدب الشعبي». وكان بودنا أن نذكر نماذج من أدب العصر الذي عاشه المؤلف. بيد أننا اكتفينا بالنماذج التي أوردها المؤلف في كتابه «التحفة المرضية» وقد اغنتنا عما كان بودنا أن نذكره. وليس معنى هذا - أيضاً - أن القطر الجزائري قد أقفر من الأدباء والعلماء؛ بل هناك علماء. ولكنهم ليسوا متحررين في أفكارهم وأقوالهم. بل هم إلى التقليد أقرب وإلى الخمول أركن .

ثم هناك أدباء غير أنهم لم يتركوا لنا أدباً خصباً ونتاجاً سميناً يستوجب من الناقد النزيه أن يرتب أصحابه في صفوف النبغاء من أدباء العصر. وقد ذكر صاحب «التحفة المرضية ...» فئةً من أبناء تربته وأتراب عصره يمكن لنا أن نتخذهم مظهراً من مظاهر علماء القطر وأدبائه .

رجال الثقافة

كانت الثقافة في القطر الجزائري يمثلها أشخاص معينون في أماكن محدودة. وكان هؤلاء الأشخاص أغلبهم من المهاجرين الأندلسيين الذين لجأوا إلى القطر الجزائري واتخذوه موطناً ومستقراً .

ونحن نود أن نذكر مشاهير هؤلاء الرجال مع ذكر نتاجهم مبتدئين منذ بداية تنظيم الادارة التركية الجزائرية إلى سقوطها على أيدي الفرنسيين، وبهذا يتضح لنا مدى ثقافة هؤلاء الرجال وقيمة نتاجهم من حيث التأثير

والتأثر. وها هم أولئك الرجال مرتبين حسب سنوات الوفاة :

١ - **طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني**، نزيل المدينة المنورة .

شيوخه: أخذ عن الشيخ أحمد زروق وولده أحمد زروق الصغير، والشيخ محمد الوزان وغيرهم .

مؤلفاته: نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد، ورسالة القصد إلى الله تعالى وغير ذلك. توفي سنة ٩٥٠ هـ (١٥٣٣ م) .

٢ - **أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بـ «ابن أبي حيدة الوهراني»**

شيوخه: أخذ عن الشيخ السنوسي، وابن مرزوق الكفيف - وهو الذي كان يطالع ويقرأ له، وأخذ التصوف عن ابن تازغدرت: أحـد تلامذة الشيخ ابراهيم التازي .

تلامذته: أخذ عنه الشيخ المنجور وغيره. توفي سنة ٩٥١ هـ (١٥٤٤م).

٣ - **أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير الاخضري** .

مؤلفاته: ارجوزة في السلوك الصوفي، والجوهر المكنون في البلاغة، وشرحه، والدرة البيضاء في الحساب والفرائض، وشرحها. والسراج المنير في الفلك، ومقدمة في فقه العبادات، والسلم المرونق في المنطق، وشرحه. توفي سنة ٩٥٣ هـ (١٥٤٦ م) .

٤ - **أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الونشرسي**، تولى القضاء بفاس سبعة عشر عاماً، وتولى بها الافتاء - أيضاً - بعد شيخه ابن هارون .

شيوخه: أخذ عن والده وابن غازي والحباك، والهبطي، وأبي زكريا السوسي، وابي الحسن الزقاق، وابن هارون وغيرهم .

تلامذته: الشيخ المنجور ، وعبد الوهاب الزقاق، والبيسيتني وغيرهم .

مؤلفاته: شرح على ابن الحاجب في أربعة أسفار ، وشرح على الرسالة ، ونظم تلخيص ابن البنا في الحساب، وتعليق على البخاري لم يكمل. وله عدة خطب بليغة وعدة فتاوى محررة، ونظم كثير في مسائل فقهية. ولد بعد سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) وتوفي سنة ٩٥٥ هـ (١٥٤٩ م) .

٥ – أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري .

شيوخه: أخذ عن الشيخ زروق، وابي عبد الله محمد الزيتوني، وعمر بن زيان المديوني. ففي سنة ٩٥٩ هـ (١٥٥٢ م) قدم إلى مراكش سفيرا بين سلطان آل عثمان وبين الأمير أبي عبد الله الشريف، من أجل المهادنة والصلح بين الطرفين ولكي تتحرر البلاد الإسلامية من السلطة الأجنبية .

تلامذته: أخذ عنه جماعة من أهل فاس .

مؤلفاته: شرح الحكم لابن عطاء الله، ورسالة رد بها على أبي عمر القسطلي المراكشي، وتفسير القرآن الكريم. توفي سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٦ م) .

٦ – أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بـ «ابن جلال» التلمساني، مفتي فاس وشيخ الجماعة بها .

شيوخه: أخذ عن أبي عثمان سعيد المقري، وأبي زكريا المغراوي، وأحمد ابن اطاع الله، وعبد الملك البرجي وغيرهم .

تلامذته: أخذ عنه الإمام المنجور وغيره. ولد سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ م) وتوفي سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٣ م).

٧ - أبو عبد الله محمد المعروف بـ «ابن شقرون» بن هبة الله الوجديجي التلمساني، نزيل مراكش ومفتيها، وشيخ الجماعة بها. كان تربا لابن جلال ومشاركاً له في شيوخه.

شيوخه: أخذ عن الشيخ ابراهيم الشاوي، والشيخ سعيد قدورة وغيرهما.

مؤلفاته: شرح على التلمسانية في الفرائض. توفي سنة ٩٨٣ م (١٥٧٥م)

٨ - أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري التلمساني، علم تلمسان ومفتيها ستين سنة، وخطيبها بجامعها الأعظم خمسة وأربعين عاماً.

شيوخه: أخذ عن والده، وعبد الوهاب الزقاق، وعبد الواحد الونشريسي وابن جلال، وابن هارون وخروف، وسعيد المنوي وغيرهم.

تلامذته: أخذ عنه جماعة منهم: ابن أخيه أبو العباس أحمد المقري، وأحمد بن القاضي، ومحمد بن مريم، وابن أبي مدين، واليزناسي، وسعيد قدورة وغيرهم. ولد قبل سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م) وكان حياً سنة ١٠١١ هـ (١٦٦٢ م).

٩ - أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بـ «ابن مريم» التلمساني.

شيوخه: أخذ عن الشيخ سعيد المقري وغيره وقد ذكر مشايخه ومؤلفاته في كتاب «البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان» وهي أحد عشر تأليفاً. توفي سنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١ م).

١٠ - أبو عبد الله محمد بن أحمد المري الشريف التلمساني .

شيوخه: أخذ عن المنجور وغيره .

تلامذته: أخذ عنه ابنه أبو الحسن، ومحمد العربي الفاسي. ولد سنة ٩٥٠ هـ (١٥٤٣ م) وتوفي سنة ١٠١٨ هـ (١٦٠٩ م) .

١١ - شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني مولدا. نزيل فاس. ثم القاهرة وبها توفي .

شيوخه: أخذ عن عمه الشيخ سعيد المقري الفقه والحديث، وروى عنه الكتب الستة وقرأ عليه البخاري سبع مرات، وأخذ عن الشيخ أحمد بابا التنبكي، والقصار، وأحمد بن القاضي الفاسي، وغيرهم .

تلامذته: أخذ عنه عيسى الثعالبي، وعبد القادر الفاسي، وميارة، وغيرهم .

مؤلفاته: ألف أكثر من ثمانية وعشرين تأليفاً أشهرها نفح الطيب، وأزهار الرياض، وفتح المتعالي في مدح النعال، وأضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة وغيرها . توفي سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣٢ م) .

١٢ - أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد السجلماسي الجزائري .

شيوخه: أخذ عن أبي محمد عفيف الدين عبد الله الحسني، وأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي، والشهاب أحمد المقري، قرأ عليه الكتب الستة دراية ورواية، والبخاري سبع عشرة مرة قراءة بحث وتدقيق،

وأخذ عن الشيخ الغنيمي، والشيخ أحمد بن عبد الوارث البكري، والشيخ النوري الاجهوري. وغيرهم .

تلامذته: أخذ عنه أبو مهدي عيسى الثعالبي، ومفتي الجزائر وخطيبها أبو عبد الله، الموهوب والشيخ أحمد بن عبد الواثق. وأبو العباس بن عبد العظيم، والشيخ محمد بن عبد الهادي و يحيى الشاوي وغيرهم .

مؤلفاته: نظم السيرة النبوية، ونظم في العقائد والأشياء والنظائر في فقه عالم المدينة، ومسالك الأصول في مدارك الوصول (نظم)، ونظم أصول الشريف التلمساني. وشرح منظومة في وفيات الأعيان. وتفسير بلغ فيه إلى «ولكن البر من اتقى»، وشرح التحفة، لم يخرج من المسودة، وتقييد على المختصر، وغير ذلك. توفي بالجزائر سنة ١٠٥٧ هـ (١٦٤٧ م).

١٣ - أبو عثمان سعيد بن ابراهيم قدورة التونسي النجار الجزائري المولد والنشأة .

شيوخه: أخذ عن الشيخ سعيد المقري. وابراهيم الهشتوكي. ومحمد ابن القاسم المطماطي وغيرهم .

تلامذته: أخذ عنه ابنه محمد قدورة، وعيسى الثعالبي، و يحيى الشاوي ومحمد بن اسماعيل مفتي الجزائر، وأبو عبد الله الموهوب، ومحمد ابن عبد الهادي .

مؤلفاته: شرح الصغرى للسنوسي، وشرح خطبة اللقاني في العقائد وشرح السلم المرونق في المنطق. توفي سنة ١٠٦٦ هـ (١٦٥٦ م) .

١٤ - أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني .

شيوخه: أخذ عن والده محمد وغيره .

تلامذته: أخذ عنه ابنه محمد، وعيسى الثعالبي. اجتمع به أبو سالم العياشي في طرابلس - وهو أمام ركب الحج - وروى عنه بواسطة عيسى الثعالبي .

مؤلفاته: شرح أرجوزة المكودي «البسط والتعريف في فن التصريف» وشرح شواهد الشريف على الاجرومية، وشرح جمل المجراد وشرح مخارج الحروف من الشاطبية، ورسالة في فقراء الوقت وديوان شعر في المدائح النبوية مرتب حسب حروف المعجم، ورسالة رد بها على الاجهوري في تحريم الدخان. توفي سنة ١٠٧٣ هـ (١٦٦٣ م) .

١٥ - الشيخ عاشور بن عيسى القسنطيني .

شيوخه: أخذ عن الشيخ التواتي، والشيخ سالم السنهوري، وابي الحسن النوري، وابي سالم العياشي بالاجازة. واستوطن تونس .

تلامذته: محمد قويسم، ومحمد الحجيج، وعبد العزيز الفراتي . كان حياً سنة ١٠٧٤ هـ (١٦٦٤ م) .

١٦ - جار الله أبو مكتوم عيسى بن محمد المقري الجعفري الزواوي الجزائري .

شيوخه: أخذ عن الشيخ سعيد قدورة وتاج الدين البكري ، وعن النور الاجهوري وأبي العباس المقري وغيرهم. والشيخ عبد الصادق، والشيخ

عبد الكريم الفكون والشيخ أبي الحسن السراج السجلماسي .

وقد لازم هذا الأخير وأصبح زوجاً لابنته، ولما مات شيخه وزوجته رحل من الجزائر إلى المشرق .

تلامذته: أخذ عنه الشيخ يحيى الشاوي، وأبو سلم العياشي وجار الله الشيخ عبد الله بن سالم البصري وغيرهم .

مؤلفاته: تقييد الأسانيد، ذكر فيه شيوخه المالكيين وأسماء رواة الإمام أبي حنيفة ، وفهرسةً حافلة، سماها «كنز الرواة». توفي سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩ م) .

١٧ – محمد بن علي المعروف بـ «ابن اقوجيل» الجزائري .

مؤلفاته: عقد الجمان اللامع من قعر البحر الجامع في الحديث . توفي سنة ١٠٧٨ هـ (١٦٦٧ م) .

١٨ – أبو زكريا يحي بن الفقيه محمد النايلي الشاوي الملياني الجزائري. ولد بمليانة .

شيوخه: أخذ – بالجزائر – عن الشيخ محمد بن محمد بن بهلول والشيخ سعيد قدورة، والشيخ أبو الحسن علي بن عبد الواحد السجلماسي وأبو مهدي عيسى الثعالبي، والشيخ سلطان المزاحي والشمس البابلي، والنور الشبراملسي وغيرهم .

تلامذته: أخذ عنه الشيخ علي النوري، والشيخ عبد العزيز الفراتي الصفاقسيان، والشيخ محمد المحبي صاحب «خلاصة الأثَر» وغيرهم .

مؤلفاته: حاشية على شرح أم البراهين، ونظم لامية في اعراب اسم

الجلالة. وشرحها، وشرح التسهيل، وكتاب في أصول النحو، وحاشية على شرح المرادي في النحو أيضاً. وحاشية على تفسير الزمخشري وابن عطية الخ .. توفي ١٠٩٦ هـ (١٦٨٥ م) .

١٩ - أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري .

شيوخه: أخذ عن أبي عبد الله محمد المعروف بـ «الكماد» القسنطيني وغيره .

تلامذته: أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي، وأجازه سنة ١٠٩٤ هـ (١٦٨٣ م) كان معاصرا لمحمد بن ميمون صاحب «التحفة» .

٢٠ - أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الجزائري .

شيوخه: أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي، واليوسي، وسعيد قدورة، والاجهوري، والبابلي، والفيشي، وأبي الغيث القشاش فشيوخه نحو السبعين شيخاً: مشارقة ومغاربة. توفي سنة ١١٢٠ هـ (١٦٩١ م) .

٢١ - أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني، المعروف بـ «ابن الكماد» .

شيوخه: أخذ بجبل ازواوة عن أبيه عبد الله محمد المغربي الجزائري، ومحمد قدورة، وابي عبد الله محمد بن عبد المؤمن وغيرهم .

تلامذته: أخذ عنه محمد بن عبد السلام بناني، وادريس بن محمد المنجرة. توفي سنة ١١١٦ هـ (١٧٠٤ م) .

٢٢ – أبو الحيرات مصطفى بن عبد الله بن موسى الرماصي (نسبة إلى قرية قرب مازونة) .

شيوخه: أخذ عن الخرشي والزرقاني وغيرهما .

مؤلفاته: حاشية على شرح الشمس التتائي على المختصر وغيرها . توفي سنة ١١٣٦ هـ (١٧٢٤ م) عن نيف وتسعين سنة .

٢٣ – أبو العباس أحمد بن الشيخ قاسم بن محمد المعروف بـ «ابن ساسي» البوني .

شيوخه: أخذ عن أبيه، ويحيى الشاوي، والزرقاني، والخرشي، والشبرخيتي، وخليل اللقاني .

تلامذته: أخذ عنه ولداه: محمد وأحمد، وعبد الرحمن الجامعي وغيرهم. توفي سنة ١١٣٩ هـ (١٧٢٦ م) .

٢٤ – محمد بن أحمد الشريف الجزائري، نزيل القسطنطينية .

مؤلفاته: القول المواطىء في شرح قصيدة الدمياطي، ومسك الحبوب في بعض ما نقل من أخبار أيوب. توفي سنة ١١٣٩ هـ (١٧٢٦٠ م) .

٢٥ – أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري .

شيوخه: أخذ عن عبد القادر الفاسي، وأحمد بن العربي بن الحاج وأبي عبد الله محمد المسناوي وميارة الصغير، وغيرهم .

تلامذته: وأخذ عنه محمد جسوس وغيره .

مؤلفاته: شرح خريدة السيوطي، وشرح النصيحة الزروقية، وشرح الحكم العطائية، وشرح الشمائل النبوية، وحواش على البخاري، وشرح الصلاة المشيشية، وشرح القواعد الزروقية، وحاشية على توضيح ابن هشام لم تكمل وغير ذلك. توفي سنة ١١٤٤ هـ (١٧٣١ م) .

٢٦ - أبو البقاء محمد بن يعيش الشاوي الرغاوي .

شيوخه: أخذ عن الشيخ أبي عبد الله القسنطيني، وأبي الرحال، ومحمد المسناوي وغيرهم .

تلامذته: أخذ عنه الشيخ التاودي، وأبو العباس أحمد الجرندي، وأبو عبد الله محمد الدكالي .

مؤلفاته: حاشية على شرح «التحفة» لميارة، سماها «الكواكب السيارة» مات قتيلا بفاس على أيدي اللصوص سنة ١١٥٠ هـ (١٧٣٧ م) .

٢٧ - عبد القادر بن محمد الراشدي القسنطيني .

شيوخه: أخذ عن أحمد زروق البوني وغيره .

تلامذته: أخذ عنه المرتضى الزبيدي وغيره .

مؤلفاته: حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية. رسالة في تحريم شرب الدخان، كتاب في مباحث الاجتهاد. توفي سنة ١١٩٤ هـ (١٧٨٠م).

٢٨ - الحسين بن محمد السعيد الورثلاني (نسبة لبني ورثلان قرية قرب بجاية) .

شيوخه: أخذ عن والده، وأحمد الناصري وغيرهما. واجتمع بعلماء

الشرق والغرب .

مؤلفاته: شرح «القدسية» في التصوف للشيخ عبد الرحمن الاخضري. وشرح «الوسطى» للشيخ السنوسي، وشرح خطبة «الصغرى» للسنوسي أيضاً، ونزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار وقد اشتهر هذا التأليف باسم «الرحلة الورثلانية». توفي سنة ١١٩٤ هـ (١٧٨٠ م) .

٢٩ - أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم الحسني الزواوي، شيخ الطريقة الرحمانية .

شيوخه: أخذ عن الشيخ الصعيدي، والشيخ الدردير، والشيخ علي ابن خضر العروسي، وشيخه الأكبر وولي نعمته هو محمد بن سالم الحفناوي الشافعي الخلوتي .

تلامذته: أخذ عنه الشيخ علي بن عيسى صاحب زاوية الكاف بالحدود التونسية الجزائرية، والشيخ عبد الرحمن باش تارزي، والشيخ محمد عزوز . ولد سنة ١١٢٣ هـ (١٧٢٠ م) وتوفي سنة ١٢٠٨ هـ (١٧٩٤ م) .

٣٠ - أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني صاحب الطريقة التجانية المشهورة . كان عالماً صوفياً، له عدة أجوبة وفتاوي ورسائل في مختلف الفنون، كما أن له تلامذة تفوق الحصر. ولد سنة ١١٥٠ هـ (١٧٣٧ م) وتوفي سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م) .

٣١ - أبو عبد الله محمد بن عزوز البرجي .

شيوخه: أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الأزهري وغيره .

مؤلفاته: رسالة المريد وشرحها . ولد سنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٧ م) وتوفي سنة ١٢٢٣ هـ (١٨١٧ م) .

٣٢ - أبو عبد الله محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي .

شيوخه: أخذ عن أعلام جامع الزيتونة. ثم رجع لوطنه .

تلامذته: أخذ عنه ابنه أحمد الزواوي وغيره .

مؤلفاته: ميزان اللباب في قواعد البناء والاعراب، وشرح الازهرية في النحو، وحاشية على الصغرى في العقائد، وشرح البردة في المديح النبوي، وشرح السلم في المنطق . توفي سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٨ م) .

ولعل هناك من يخالفنا فيما ذهبنا إليه ويزعم أن الجزائر قد كانت لا تقل ثقافة عن الأقطار الإسلامية الأخرى سواء من حيث شكل المبنى أو مضمون المعنى .

ونحن نود أن نلفت نظر صاحب هذا الزعم - مرة ثانية - إلى ثلاثة أدلة قاطعة، فهي التي تفند زعمه وتأخذ بيده وترشده إلى تحكيم العقل الرزين، ونبذ العاطفة المتحيزة تلك الأدلة هي مظاهر الثقافة المتقدمة الذكر.

فالأزهر الشريف، وجامع القرويين، وجامع الزيتونة، وجامع الأمويين، والمسجد الأقصى ، والمسجد النبوي، أبت الطبيعة أن تجعل أحدها في حوزة القطر الجزائري، حتى ينبغ فينا رجال علم وادب، فيكون لهم نتاج يستوجب من علماء الأقطار هز الرؤوس، ومن أدباء الأعصار رقص النفوس. «فالبعرة تدل على البعير»، «والاقدام تدل على المسير» و «الحق يعلو ولا يعلى عليه» .

دراسات تحليلية للكتاب

أ – **مؤلفه**: إن «بركلمان» (Brockelmann)[1]، و «فانيان» (Fagnan)[2]، و «قورقوص» (Gorguos)[3]، و «فاي» (Fey)[4]، و «روسو» (A. Rousseau)[5]، و «بيربريجير» (Berbrugger)[6] قد تكلم كل منهم عن كتاب «التحفة المرضية ...»، ولم يصرح أحدهم بمؤلف الكتاب، بل قد صرحوا بأنه مجهول المؤلف.

ونحن لا نرتاب في نسبة هذا الكتاب لمؤلفه محمد بن ميمون الجزائري، وحجتنا في ذلك ترتكز على دليلين اثنين كل منهما صريح في عبارته، ولا غموض فيما ذهبنا إليه.

أولهما: ما جاء في أول صفحة من نفس الكتاب: «هذه مقامات الفقيه العلامة، الدراكة الفهامة، الأديب البارع، سيدي محمد بن ميمون الجزائري رحمه الله».

---

(1) Brockelmann, Geschichte d'Arabischen Literatur (Weimar: 1902 v. 2. p. 608.)
(2) Fagnan, Catalogue général de Manuscrits (Paris: 1893) p. [illegible]
(3) Gorguos, Notice sur le Bey d'Oran (Revue Africaine. 1857).
(4) Léon Fey. Histoire d'Oran. Oran 1858, p. 125-136.

٥ قد ترجم كتاب «التحفة المرضية» ونشره سنة ١٨٤٦ م.

(6) Collection du Moniteur Algérien

ثانيهما: ما جاء في شرح أرجوزة الحلفاوي لمحمد عبد الرحمن الجامعي[١] إذ يقول: «وقد استوفى حق تحليته[٢] بالعلوم، وتحصيل المنطوق والمفهوم، الأديب الأريب، الحسيب النسيب، الجامع البارع، عذب الموارد والمشارع، وحلو المقاصد والمفازع، طائر السعد الميمون، أبو عبد الله سيدي محمد ابن ميمون حفيد الشيخ الفقيه الإمام، قدوة المتقين الولي، العلامة علم الأعلام، سيدي أبي العباس بن عبد الله الجزائري[٣]. أعلى الله درجات الجميع بلا محنة في دار الإسلام، فانه[٤] ألف في سيرة هذا السيد[٥] - نصره الله - كتاباً أسماه بـ «المقامات» وهو في الحقيقة قلائد العقيان، ولولا مشاهدة رقم سطوره في لبات طروسه لقلت سجعات حمائم البستان، وما زالت الشعراء تصفه[٦] بهذه الصفة العلمية[٧]».

ولم نعثر بعد البحث الدقيق - على من تناول الكلام عن هذا الكتاب،

---

١ الجامعي: كان معاصراً للمؤلف، وقد شرح هذه الأرجوزة قبل فراغ محمد بن ميمون من تأليفه «التحفة المرضية ...» إذ كل منهما يذكر تأليف الآخر. جاء في كتاب التحفة المرضية ... - بعد نقل المؤلف لجميع أرجوزة الحلفاوي - «وقد شرح هذه الأرجوزة فكمل أخبارها وأظهر أشعارها العالم النحرير البليغ الشهير السيد محمد عبد الرحمن المغربي المذكور قبل».

٢ تحليته: الضمير يعود على الداي بكداش الذي ألف الكتاب من أجله.

٣ تقدمت ترجمته عند التعريف بالمؤلف.

٤ فانه: الضمير يعود على محمد بن ميمون مؤلف «التحفة المرضية».

٥ السيد هو الداي محمد بكداش.

٦ الضمير في «تصفه» يعود على الداي بكداش.

٧ الجامعي، محمد عبد الرحمن. شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ٢٧. مخطوط خاص.

أو أشار إلى صاحبه سوى هؤلاء السبعة، ستة من الأجانب، وواحد من الجنس والملة .

ب - **عنوانه**: لم يقع تحريف، ولا تغيير في عنوان هذا الكتاب، حسبما يبدو لنا، فان النسختين اللتين بين أيدينا متحدتان في لفظ العنوان فقد جاء خلال مقدمة كل منهما: «وسميته بالتحفة المرضية في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية». وهذه التسمية قد تشعرنا بأن هذا الكتاب يتناول بعضاً من السير الشخصية، وجزءاً هامّاً من تاريخ قطر الجزائر ابان حكم الأتراك هناك .

ج - **موضوعه**: تناول محمد بن ميمون في هذا الكتاب سيرة الداي محمد «بكداش» من حيث رأيه المصيب، وأعماله المرضية، وأرومته الزكية. وقد ركز على سيرته ابّان توليته وحكمه، كما خصّص جلّ الكتاب لقصة الفتح الأول لمدينة وهران[1] على يد هذا الداي وصهره «أوزن»[2] حسن. وكل ذلك بعبارة واضحة، وأسلوب جذاب. ويؤخذ على المؤلف

---

١ لم ينفرد محمد بن ميمون بقصة مدينة وهران، بل هناك من شاركه في الموضوع، من علماء عصره، وأدباء قطره. فقد نظم محمد بن أحمد الحلفاوي مفتي تلمسان أرجوزة في هذا الغرض تحتوي على اثنين وسبعين بيتاً، تعرض فيها لتاريخ مدينة وهران منذ أن احتلها الاسبان إلى أن فتحها محمد «بكداش». وشرح هذه الأرجوزة - شرحاً مفيداً - عبد الرحمن الجامعي الفاسي تلميذ الحلفاوي. وقد أدرج هذه الأرجوزة محمد بن ميمون في كتابه «التحفة المرضية ...» ونظم - أيضاً - أبو عبد الله محمد بن محمد الثغري (شيخ المؤلف) قصيدة في هذا الغرض تحتوي على ثمانية عشر بيتاً. وقد أدرجها المؤلف - أيضاً - في كتابه «التحفة المرضية ...». وقد اعتنى بتدوين هذا الفتح - أيضاً - أبو العباس أحمد الفلالي التلمساني، وكان تأليفه من المصادر الهامة التي اعتمدها الجامعي في شرحه لأرجوزة الحلفاوي .

٢ أوزن: كلمة تركية، معناها - في العربية - طويل القامة .

اغفاله ذكر مصطفى أبي الشلاغم باي الايالة الوهرانية مع أنه كان له الحظ الأوفر في نجاح هذا الفتح المبين .

د – **هدفه**: كان الدافع لمحمد بن ميمون على تحبير هذا الكتاب هو محبته الخالصة لهذا الداي، ولسيرته المرضية، وقد قصد بكتابه التزلف إليه، والنيل من رضاه: «وبعد: فانني لما مولانا الإمام، الذي أنام في ظل الأمان جميع الأنام، عالم الأمراء، وأمير العلماء، مولانا فخر الدولة العثمانية، وناشر العدل على جميع البرية أبو النصر محمد «بكداش» أنارت أنواره جميع البلدان، والتفّ ملكه بالاحسان، التفاف الساق بالساق أردت أن أخدم مجلسه العالي بزف هذا الكتاب إليه، المحتوي على ما نشر من السيرة المحمدية عليه، وأشرّف محاسنه بمثوله بين يديه ...[1] » .

هـ – **منهج التأليف**: انتهج المؤلف في هذا الكتاب انتهاج المؤرّخ من حيث التعبير عن الواقع الصريح، وترتيب الحوادث، وانتهاج الأديب من حيث السجع والازدواج ... وقد أخلّ بعنصر أساسي من عناصر الأدب، وهو الخيال الجوال، الذي لا بد أن يمد به نهر الأدب، لا سيما فنّ المقامات، التي تعتمد على الخيال والافتراض المقبول وقوعه، من حيث الزمان والمكان، ومجتمع الإنسان. وعلى هذا فان تسمية هذا الكتاب بـ «المقامات» يعد تجاوزاً ومجازاً .

و – **أسلوبه**: يمتاز أسلوبه بمتانة اللفظ، وقوة التعبير، ونزعة الدين

---

١ محمد بن ميمون، التحفة المرضية ... : المقدمة .

وقد يشوبه أحياناً بعض الغموض من حيث تركيب الجمل واستخلاص المعنى المراد. ولا يحيد عن السجع والازدواج إلا نادراً في نصوصه. ويمتاز بترتيب الأفكار. وتسلسل قصة الحوادث والوقائع، فلا استطراد يهوّش القراء، ولا تكرار تكلّ منه الأذهان. والمؤلف يتوج أحياناً أسلوبه المعسول بالاقتباس من آي الذكر الحكيم والحديث الشريف ويطعّمه بأبيات شعرية تناسب الموضوع، ويقبلها الذّوق السليم.

ز - **قيمته التاريخية**: يعدّ هذا الكتاب وثيقة تاريخية ذات أهمية كبرى، من حيث الكشف عن استعداد الجيوش، وتفاصيل المعارك، ومراحل الهجومات على مدينة وهران وأبراجها وحصونها، حسب الأيام والشهور والسنوات وقد فعل المؤلف خيراً يشكر عليه، إذ حدد لنا عدد القتلى والأسرى، والغنائم التي غنمها المسلمون. والكتاب يضم نصوصاً تاريخية أمينة، تفيد الباحث الجادّ، فيستخرج منها مرغوبه ومبتغاه، إذ كل ما فيه قد عاشه المؤلف وشاهده بالعيان.

ح - **قيمته الأدبية**: لا منازع في أن كتاب «التحفة المرضية ...» يعد مصدراً أدبياً من مصادر الأدب الجزائري على عهد الأتراك، إذ يحتوي على ست عشرة مقامة، أدبية المبنى، واقعية المعنى. كما يحتوي على سبعمائة وخمسة وتسعين بيتاً من الشعر كلها لأدباء جزائريين. قد عاصروا المؤلف وواكبوه في حوادث وقته، ووقائع قطره. وكل ما في الأمر قلما وجدنا كتاباً لأدباء العصر والقطر قد جمع بين الأدب والتاريخ، والحقيقة والخيال مثلما قد وجدناه في كتاب «التحفة المرضية» في الدولة البكداشية،

في بلاد الجزائر المحمية» .

ط – محتواه: يضم هذا الكتاب – بين دفتيه – مقدمة وست عشرة مقامة، أدبية من حيث الأسلوب، تاريخية من حيث الواقع، كما يضم – أيضاً – سبعمائة وخمسة وتسعين بيتاً من الشعر .

المقدمة: تحتوي – بعد البسملة والحمدلة – على الغرض من تأليف الكتاب، كما تشتمل على عنوانه، ثم التذمر من أبناء العصر من حيث حسدهم للمؤلف: «على أن أبناء العصر ابتلوا بالحسد، ويطلقون ألسنتهم بالفحشاء في كلّ مرصد، ومن كانت له ملكة فليصنّف وإلا فلينصف»[1]. وتضم هذه المقدمة ثلاثة أبيات من الشعر .

المقامة الأولى: تحتوي على اسم والد الداي محمد بكداش، والتنبؤ لولده بالرئاسة على الجزائر، وذكر تاريخ دخول المتنبأ له إلى الجزائر وبونة (عنابة)، حيث اجتمع بولي الله سيدي قاسم البوني الذي مدحه ببيتين من الشعر الموال، كما تشتمل على ذكر بعض المناصب التي تقلدها محمد بكداش قبل أن يرتقي إلى منصب الداي. وفي هذه المقامة بيتان من الشعر .

المقامة الثانية: تحتوي على تاريخ اسناد منصب «حامل الراية» إلى محمد بكداش، وأيضاً تاريخ صعوده على المنبر، حيث قام في الناس خطيبا وواعظاً، فأذهل الناس بفصاحته وبيانه، حسبما ذكره المؤلف .

---

١ محمد بن ميمون، «التحفة المرضية ...» المقدمة .

وتضم المقامة الثانية خمسة عشر بيتاً من الشعر .

المقامة الثالثة: تحتوي على اسناد منصب «مقتصد عسكري» إلى محمد بكداش، وقد حمل المؤلف على داي العهد «الحاج مصطفى» ووصفه بالبغي، والظلم، والطغيان، والتهور، والجهل والتهاون، والنهب لأموال الضعفاء، والانتقام من كبار العلماء ... وكشف لنا المؤلف عن فرار الداي الحاج مصطفى من معركة الخضراء (تونس) ولما عاد إلى الجزائر وجد الأبواب موصدة في وجهه والناس ينادون بقتله وتولية محمد بكداش في مكانه، فأبى هذا الأخير وتنازل عن هذا المنصب لحميمه حسين خوجة الشريف، وبقي هو مستشاراً له. أما الداي الحاج مصطفى، فقد فر إلى القليعة، حيث لقي حتفه. وتضم المقامة الثالثة أربعة عشر بيتاً من الشعر .

المقامة الرابعة: تحتوي على اسناد منصب كاتب عام للدولة (دفتردار) إلى محمد بكداش، وقد كاتبه أحمد بن قاسم البوني في ذلك، وهنأه بأرجوزة تشتمل على ثمانية وثمانين بيتاً، فكافأه محمد بكداش على ذلك، وطلب منه أن ينشده ما تيسر له من بنات أفكار خياله، فأنشده قصيدة ميمية تحتوي على أربعة وثلاثين بيتاً من الشعر الصوفي..

وقد كشف لنا المؤلف عن الأسباب، التي دفعت بالحساد أن يسعوا في تعكير الجو بين الداي حسن خوجة الشريف، وبين كاتبه العام محمد بكداش فأفضى ذلك إلى سجن محمد بكداش، ثم نفيه من الجزائر،

والناس عيونهم عليه عبرى، وقلوبهم تكاد تتفطّر من شدة الحزن ولوعة الفراق. وتضم المقامة الرابعة مائة وثلاثة وعشرين بيتاً من الشعر .

المقامة الخامسة: تحتوي على تحديد تاريخ نفي محمد بكداش من الجزائر إلى طرابلس الغرب، حيث اجتمع بالغوث السيد محمد ابن سيدي سعيد فبشره بالانتصار على أعدائه، فعندئذ قفل راجعاً إلى الجزائر ماراً بتونس، حيث اجتمع بجماعة من الجزائريين كانوا هناك فارين، وحنّ الجميع إلى بلادهم، فلما علم باي تونس بما قد عقدوا العزم عليه، فرق شملهم - اختباراً لهم - ثم شجعهم وزودهم بالخيل والمؤونة والسلاح. وغادروا تونس صوب الجزائر، يكمنون نهاراً ويسيرون ليلاً حتى وطئت أقدامهم بساتين الجزائر، ومكثوا هناك يومين ينتظرون الفرصة. ثم استعانوا بأهل البلاد، ودخلوا من مكان يسمى «باب الجديد» .

المقامة السادسة: تحتوي على تحديد تاريخ اسناد منصب الداي إلى محمد بكداش، ووقوف صهره «أوزن» حسن إلى جانبه، واسناد بعض المناصب إلى أربعة أشخاص من أنصار الداي محمد بكداش، منهم الحاج محمود أمين لبيت المال. ثم ذكر ما آل إليه أمر الداي السابق حسين خوجة الشريف من حيث نفيه، وموته، وتاريخ دفنه بقرية من قرى ازواوة وقد رحّم المؤلف عليه، وعدّد فضائله ومحاسنه .

المقامة السابعة: تحتوي على التعريف بالداي محمد بكداش من حيث ذكر اسمه ونسبه وصفاته الحسية والمعنوية، وذكر ولده وصهره بأوصافهما الحسية والمعنوية، وذكر وزرائه، وكتّابه وترجمانه، وذكر

عبارة خاتمه، والتعريف بقضاته، من حيث ذكر أسمائهم وأنسابهم ، وصفاتهم الحسية والمعنوية أيضاً .

المقامة الثامنة: تحتوي على تهنئات جماعة من العلماء، وزمرة من الأدباء للداي محمد بكداش، عندما تولى منصب داي على الجزائر . وقد عرف المؤلف بهؤلاء المهنئين، من حيث ذكر أسمائهم وألقابهم ، وأنسابهم وأوصافهم. وتضم هذه المقامة ثلاثمائة واثنين وسبعين بيتاً من الشعر .

المقامة التاسعة: تحتوي على تاريخ استيلاء الاسبان على مدينة وهران وما فعلوه بأهلها هناك. وقد ساعدهم قبائل بني عامر على التنكيل باخوانهم المسلمين الأبرياء. كما تشتمل على عدد الاخبية التي بعث بها الداي السابق حسين خوجة الشريف، من أجل حصر المدينة والتضييق على أهلها الاسبان. وقد بادر محمد بكداش لفتحها، وبعث بعساكره تحت قيادة صهره «أوزن» حسن بعدما قام فيهم خطيباً، وأوصاهم بطاعة قائدهم والامتثال لأوامره. كما أوصى القائد بطاعة الله والمحافظة على حدوده . وتضم هذه المقامة اثنين وسبعين بيتاً من الشعر .

المقامة العاشرة: تحتوي على تاريخ حصر «برج العيون» والاستيلاء عليه وهو أول شيء بادر به القائد «أوزن» حسن لهذا الفتح .

وقد وضّح لنا المؤلف مراحل الهجوم على هذا البرج إلى أن استولت عليه عساكر المسلمين، كما كشف لنا النقاب عن عدد القتلى والجرحى من الطرفين، لا سيما عدد الأسرى من الاسبانيين ومن وقف بجانبهم من المرتدين، وكذلك بين لنا ما غنمه المسلمون مما وجدوه في هذا البرج .

المقامة الحادية عشر: تحتوي على فتح «برج جبل المائدة»، وهو المعروف بـ «برج مرجاجو». وقد بين لنا المؤلف مراحل الهجوم، التي تقدمت هذا الفتح. ثم استولت على البرج عساكر المسلمين بعدما أسرت من الاسبانيين مائة وستة من الرجال، وست نسوة. وبفتح هذا البرج انكشفت لهم المدينة وأصبحت قريبة من قبضتهم.

المقامة الثانية عشر: تحتوي على تاريخ فتح «بُرْج بنْ زَهْوَ» (برج اليهودي) وقد بيّن لنا المؤلف حصانة هذا البرج ومتانته، واعتناء الاسبان بتحصينه. كما قد أخبرنا بعدد الألغام، التي استعملتها عساكر المسلمين في نسفه قبل أن يفتحوه، وقد أنبأنا بأن جميع من كان فيه قد قتل ما عدا بعض أشخاص.

المقامة الثالثة عشر: تحتوي على تاريخ فتح مدينة وهران. وقد وصف المؤلف هذه المدينة وصفاً هائلاً، كما بين لنا مراحل المعارك التي تقدمت هذا الفتح، الذي كان على قلوب المسلمين برداً وسلاماً، وقد غنم المسلمون أموالاً كثيرة، وعتاداً وافراً، وقد عرفنا المؤلف ببعض علماء العصر، وأدباء القطر، الذين هنأوا الداي، ومدحوه بقصائد شعرية، وخطب نثرية.
وتضم هذه المقامة أربعين بيتاً من الشعر، ثمانية عشر بيتاً تتعلق بتاريخها منذ أن احتلها الاسبان إلى أن فتحها الداي محمد بكداش.

المقامة الرابعة عشر: تحتوي على ذكر فتح «البرج الأحمر» و«البرج الجديد» وذكر عدد الأسرى، الذين سقطوا في أيدي عساكر المسلمين

بعدما ألقوا بأسلحتهم، ومفاتيح البرجين، وقد عرفنا المؤلف بأحد أدباء العصر والقطر ، الذي أنشد قصيدة جيمية تحتوي على أربعة وأربعين بيتاً في مدح الداي وتهنئته بهذا الفتح، ولا يوجد غيرها من القصائد الشعرية في هذه المقامة .

المقامة الخامسة عشر: تحتوي على ذكر فتح برج المرسي، وعدد الألغام التي زرعت من أجل نسف البرج، وعدد الأسرى الذين سقطوا في أيدي المسلمين، وفي هذه المقامة وصف رائع للمعارك الحربية، التي دارت رحاها آنذاك، وختمت بقصيدتين، احداهما أرجوزة لا تقل عن اثنين وسبعين بيتاً في تاريخ مدينة وهران ومدح فاتحها ، الداي محمد بكداش ودولته، والأخرى دالية تحتوي على ثلاثين بيتاً في مدح الداي وتهنئته بهذا الفتح المبارك. ولا يوجد في هذه المقامة سوى مائة وبيتين من الشعر .

المقامة السادسة عشر: تحتوي على وصف عودة خليفة الداي وصهره «أوزن» حسن إلى الجزائر بعد انتصاره على الاسبان وفتح مدينة وهران عنوة. وقد أجاد المؤلف في وصف هذه العودة، من حيث ابراز سرور الناس وابتهاجهم بهذا الفتح المبين في صورة خلابة جذابة تشحذ الأفكار ، وتهيج الشعور ، وتنعش الأحاسيس وتستفز العواطف، وختم مقاماته بعشرة أبيات من الشعر ، لا نشك في أنها من بنات فكره، وحر لفظه. ولا يوجد سواها في هذه المقامة، التي هي آخر الكتاب .

مزايا الكتاب

ان مزايا هذا الكتاب أربع قلما توجد في كتاب آخر من نوعه مثلما وجدت فيه .

أولاها: مزية الصراحة التامة في مضمونه. ولولاها ما وصف المؤلف صهر الداي أوزن حسن بأنه كان - قبل أن يصاهر الداي محمداً بكداش - مدمناً على شرب الخمر ، صارفاً أوقاته في اللهو . وأنه كان سكيراً لا يصحو في غالب الأوقات: «وكان - قبل - قام زمانا على المدامة معتكفاً. ولثغور البطالة مرتشفا، لا يغدو إلا ثملا، ولا يروح إلا بنشوة مشتملا[1] » ولولا تلك الصراحة - أيضاً - ما أثنى على حسن خوجة الشريف، مع أنه قد زج بممدوحه محمد بكداش في السجن ونفاه «وكان - رحمه الله - ظاهر الصواب متى نبس، طاهر الاثواب من كل دنس، معجزاً ببيانه، موجزاً في كل أحيانه[2] ». ولعل صراحة المؤلف هي التي وقفت حجر عثرة بينه وبين علماء قطره، وهي التي كانت السبب في اغفال ترجمتهم له وإهمالهم لنتاجه .

---

١ محمد بن ميمون، التحفة المرضية .... (المقامة السابعة) .

٢ المصدر السابق، (المقامة السادسة) .

ثانيتها: مزية الترتيب الزمني للمناصب العسكرية التي تقلب فيها محمد بكداش منذ وصوله إلى الجزائر إلى أن ارتقى إلى منصب « داي ». وهذا الترتيب كما يلي:

١ - في سنة ١٠٨٦ هـ / ١٦٧٥ م أتى من تركيا إلى الجزائر وانخرط في جيش الانكشارية[٣].

٢ - في سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م أسند إليه منصب حامل الراية، (سانجاق دار)[٤].

٣ - في سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م أسند إليه منصب مقتصد عسكري[٥].

٤ - في سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م أسند إليه منصب رئيس ديوان الانشاء (دفتر دار)[٦].

٥ - في سنة ١١١٨ هـ / ١٧٠٧ م تولى منصب « داي » على الجزائر[٧].

ثالثتها: مزية الترتيب الزمني لفتح مدينة وهران وأبراجها، وهو كما يلي:

١ - في ليلة النصف الأول من شهر ربيع أول سنة ١١١٩ هـ النصف الأول من شهر جوان ١٧٠٧ م حاصر الجيش الجزائري برج العيون، وفي اليوم العاشر من جمادى الاخرى من نفس السنة فتحوه[٨].

---

٣ المصدر السابق، (المقامة الأولى).

٤ المصدر السابق، (المقامة الثانية).

٥ المصدر السابق، (المقامة الثالثة).

٦ المصدر السابق، (المقامة الرابعة).

٧ المصدر السابق، (المقامة السادسة).

٨ المصدر السابق، (المقامة العاشرة).

٢ – في اليوم السابع والعشرين من جمادى الاخرى سنة ١١١٩ هـ ٢٥ سبتمر ١٧٠٧ م فتحوا برج (مرجاجو)[١].

٣ – في اليوم الخامس من شعبان سنة ١١١٩ هـ ١ نوفمبر ١٧٠٧ م فتحوا برج ابن زهوة[٢].

٤ – في اليوم السادس والعشرين من شوال سنة ١١١٩ هـ ٢٠ جانفي فتحوا مدينة وهران[٣].

٥ – في اليوم السابع والعشرين – من نفس الشهر والسنة – فتحوا برج الأحمر، ثم برج الجديد[٤].

٦ – في اليوم الثالث عشر من المحرم سنة ١١٢٠ هـ ٤ أفريل ١٧٠٨ م فتحو برج المرسي، وهو آخر الأبراج المفتوحة عنوة، وبفتحه استولى المسلمون على مدينة وهران مع المرسي الكبير[٥].

رابعتها: ميزة القصائد الشعرية والأراجيز النظمية التي أودعها كتابه، وهي وحدها تصلح أن تكون موضوعاً لرسالة جامعية، لا سيما أن أغلبها أنشد ونظم من أجل الجهاد لاعلاء كلمة الله، وانتصار المسلمين على من غصب أرضهم واستنقص قوتهم، من أولئك الاسبان الذين سوّغت لهم أنفسهم أن يستعبدوا العباد، ويستعمروا البلاد.

---

١ المصدر السابق، (المقامة الحادية عشر).
٢ المصدر السابق، (المقامة الثانية عشر).
٣ المصدر السابق، (المقامة الثالثة عشر).
٤ المصدر السابق، (المقامة الرابعة عشر).
٥ المصدر السابق، (المقامة الخامسة عشر).

ولسنا بمغالين إن تفاءلنا: بأن هذا الكتاب سوف يكون – ان شاء الله ! – مصدراً هاماً من مصادر الباحثين عن التراث الوطني، ورصيداً سميناً لكل من يريد الاستقصاء عن نتاج الأجداد. ولو راع فيه مؤلفه فن المقامات من حيث الاتيان بالنكتة المستملحة، والدوران حول بطل افتراضي وهمي، يروي أخباره راوية افتراضي وهمي – أيضاً – لعددناه في سلك المقامات الممتعة، ولكن المؤلف قد ركّز على سرد حقائق تدور حول بطل حقيقي وراوية حقيقي أيضاً .

فكتاب «التحفة المرضية ...،...» – اذن – هو إلى التاريخ أقرب وإلى الأدب أنسب .

وأثمن مزية – جاء بها هذا الكتاب – انتشار فكرة الوطنية الحقة ، واستمرار الحماس الملتهب في صفوف كافة الشعب الجزائري، لا فرق في ذلك بين السيّد والمسود، كلهم سواسية في اخلاصهم لوطنهم المفدّى وبذلهم الأموال الطائلة والنفوس الزكية في سبيل انقاضه من براثن الاسبانيين الذين راحوا ينصّرون صغير المسلمين ويمثّلون بكبيرهم .

خاتمة المطاف

الباعث والمنهاج

ان أمانة البحث تستوجب منّا أن نتناول - في هذه الخاتمة - شرح فكرتين هامتين، لا مناص عن إبراز أهدافهما والتنويه بمدلول كل منهما، ليتضح للقراء عمل الجوارح الحسّاسة ونية الضمائر الحية .

أولاهما: الباعث على اختيار تحقيق هذا المخطوط كرسالة جامعية .

ثانيتهما: المنهاج الذي ارتضينا أن نسير على منواله في هذا التحقيق .

أ - أما **الباعث** فيتخلص في أمرين اثنين :

أولهما: احياء التراث الوطني، كيفما كانت قيمته العلمية والأدبية وميزته العصرية والاقليمية. هذا تراث تركه الأجداد ليعتنى به الأحفاد، ويحافظوا على مبناه وكيانه، فان كان خصبا استمدوا منه غذاءهم، وقطفوا من أشجاره ثماراً لذيذاً .
وان كان جدبا عرفوا أسباب ذلك واتخذوه حذراً لتاريخ حاضرهم وبناء مستقبلهم .

ثانيها: أهمية هذا المخطوط، من حيث قيمته التاريخية، ونزعته الأدبية. فقلما نجد تأليفاً تناول فيه مؤلفه - في آن واحد -

جدية التاريخ وهزلية الأدب مثلما نجده في كتاب « التحفة المرضية ... » الذي بقي مهملا في دهاليز النسيان أكثر من قرنين وستين سنة منذ ان خطه مؤلفه بيمينه ، وأودعه عصارة فكره . »

ب – وأما المنهاج فينصبّ على رسم خطّتين لكيفية البحث المرتضى في اعداد هذه الرسالة :

الخطة الأولى تختص بكيفية تحرير المقدمة، وهي تحتوي عـلى التعريف بالمؤلف، من حيث نسبه وثقافته، حسب الامكان، وسماح الأوان، ثم ثنينا بعصره السياسي، فذكرنا بعض الحوادث الخارجية والاضطرابات الداخلية التي عاشها القطر الجزائري ابّان هذا العصر، لكي يكون القراء على بيّنة من أسباب التأثر ونفوذ المؤثرات في نفوس سكان القطر. ولم نستغن عن ذكر التنظيم الاداري – آنذاك – ، من حيث تقسيم الادارة المركزية، ونظام الجيش وطائفة البحارة (الرياس)، وميزانية الدولة، وكيفية جمع الضرائب والزكوات. ثم ختمنا هذا العصر بعدد من حكام أتراك الجزائر الذين واكبوا حياة المؤلف وعاصروه ثم ثلثنا بعصره الثقافي، فذكرنا عدد مراكز الثقافة، وبينا أنواعها، وكشفنا عن أسباب ضآلتها ابان حكم الأتراك. ثم وصلنا – بعد هذا – إلى دراسات

تحليلية لنص الكتاب، من حيث تحقيق اسم المؤلف وعنوان الكتاب، وموضوعه، وهدفه، ومنهاج التأليف فيه، وأسلوبه، وقيمته التاريخية والأدبية ثم جمعنا شتات معاني محتواه في عبارة مفيدة وفقرات موجزة. ثم ختمنا هذا التحليل ببعض مزايا الكتاب وخصائصه النادرة فيما سواه. وأنهينا هذه المقدمة بالنسخ التي اعتمدناها في تحقيق هذا الكتاب، ووصفناها وصفاً يتطلّبه البحث العلمي، ويقتضيه النظام الجامعي .

الخطة الثانية: تختص بطريقة تحقيق المخطوط على النحو التالي:

أ - محافظتنا على أصل النص، فلم نغير كلمة ندت عن المعنى المراد، ولم نبدل حرفا قد وضعه قلم الناسخ في غير موضعه، دون أن ننبه على ذلك في هامش الكتاب .

ب - شرحنا لبعض المفردات اللغوية، التي يستعصي فهمها، من حيث مدلول معناها .

ج - اعتناؤنا بالأبيات الشعرية، من حيث وزنها وقافيتها.

د - ارجاعنا كل آية من آي الذكر الحكيم إلى سورتها وتحديد رقمها .

هـ - تفهّمنا لما ورد من الأحاديث الشريفة، مع تتبعنا

لطرق رواياتها، والتقصّي لرواتها، ثم الاشارة إلى المصدر المحتوي عليها .

ز – تحقيقنا للأبيات التي أوردها المؤلف في كتابه من شتى المصادر، ومقابلتنا إياها بالأصل الذي نقلت عنه .

ح – ارجاعنا كل سنة هجرية إلى ما يوافقها من السنوات الميلادية وبالعكس .

ترتيبنا لفهرس المراجع العربية والأجنبية المعتمد عليها في تحقيق الكتاب حسب الحروف الهجائية.

ط – ترتيبنا لفهرس الموضوعات، حسبما وردت في أصل الكتاب .

ي – ترتيبنا لفهرس الأعلام والألقاب والكنى الواردة في الكتاب، حسب الحروف الهجائية .

ك – ترتيبنا لفهرس أسماء الأماكن والبلدان الواردة في الكتاب، حسب الحروف الهجائية .

ل – تخريجنا لقوافي الأبيات الشعرية، الواردة في الكتاب حسب الحروف الهجائية .

م – تخريجنا لآي الذكر الحكيم، الواردة في الكتاب حسب السور القرآنية .

ن – تخريجنا للأحاديث الشريفة، الواردة في الكتاب حسب الحروف الهجائية .

س- ترتيبنا لفهرس الأنساب، الواردة في الكتاب ، حسب الحروف الهجائية .

وقبل أن نضع نقطة النهاية لهذه الخاتمة نودّ أن نذكر القراء بأننا ألحقنا بالكتاب «ملحقاً» مفيداً جداً يحتوي على ثمان قصائد تضمّ ثلاثمائة وواحداً وعشرين بيتاً، (٣٢١ب)، موضوعها تحريض المسلمين على أن يخوضوا معارك الجهاد في سبيل الله. وكلها لشعراء جزائريين، من حيث المنبت والشعور ، بيد أننا لم نضع فهرساً لقوافيها، تمشياً مع المنهج العلمي ، الذي لا يلزم المحققين بوضع فهارس لقوافي الخواتم المتمّمة، والملاحق المكملة. ثم ذيلنا هذه الرسالة - أيضاً - بموضوعين اثنين، أحدهما في التاريخ الوسيط بعنوان: «مدينة وهران وتأسيسها»[1]. وثانيهما في الفن المعماري، بعنوان: «عبد الرحمن الثعالبي وضريحه»[2] وهذان الموضوعان داخلان في تصميم الرسالة ومكملان لها ، رغم أنهما بعيدان عنها في الهدف والاتجاه.

---

١ نشر هذا الموضوع بمجلة «المجاهد الثقافي». العدد ١٣ - جويلية ١٩٧٠ م (الجزائر) .

٢ نشر هذا الموضوع بمجلة «القبس». العدد ٢ - ٣ . ماي - جويلية ١٩٧٠ م (الجزائر) .

مقدمة النشرة

النسخ المعتمدة في تحقيق الكتاب

أولاها : مخطوطة توجد بمكتبتنا الخاصة، عدد صفحاتها ١٥٥ وهي ذات حجم مستطيل متوسط، طول كل صفحة منها ٢١ سنتيمتراً وعرضها ١٥,٥ سنتيمتراً في كل صفحة ١٢ سطراً . أما خطها فهو مغربي صمغي واضح، لونه أسود حالك، ما عدا العناوين، فانها مكتوبة بلون أحمر فاتح. أما لون أوراقها فانه أبيض مشوب بخضرة .

وهذه النسخة مجهولة الناسخ وتاريخ النسخ، إلا أنها قليلة الأغلاط جداً، ولهذا كان اعتمادنا عليها بالدرجة الأولى، وقد رمزنا لها بحرف (أ) .

ثانيتها : مخطوطة توجد بالمكتبة الوطنية (بالجزائر العاصمة) تحت رقم ١٦٢٥ . وقد أهدى هذه النسخة إلى المكتبة الوطنية الأستاذ «فاليبي» (VALLIER) [1]. عدد صفحاتها ١٨٧ .

وهي ذات حجم صغير مستطيل، طول كل صفحة منها ١٩,٥ سنتيمتراً وعرضها ١٥ سنتيمترا. في كل صفحة ١٢

---

(1) GORGUOS, Notice su le Bey d'Oran (Revue Africaine, 1857).

سطرا. أوراقها بيضاء خطها مغربي نسخي جيّد، لونه أسود، ما عدا بعض الكلمات فانها كتبت بصمغ أحمر. أما العناوين فانها مذهبة. وهذه النسخة كثيرة الأغلاط، زيادة على بترها من صفحة ٢٩ إلى ٤٢، ومن ١٢٣ إلى ١٣٨ وقد نقلت عن مسوّدة بخط المؤلف في آخر جمادى الأخرى سنة إحدى وعشرين ومائة وألف هجرية كما جاء في آخر الصفحة من الكتاب. وكتب على ظهر أول صفحة منها ما يلي: «هذا الكتاب اشتراه خليل بست ريالات دراهم صغار» وهي مجهولة الناسخ مثل سابقتها. وقد رمزنا لها بحرف (ب) ولم نعتمد عليها إلا من حيث مقابلة النسخ، لأنها كثيرة التحريف مبتورة الكمية.

المحقق

محمد بن عبد الكريم

التحفة المرضية في الدولة البكداشية

في

بلاد الجزائر المحمية

تأليف

محمد بن ميمون الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا مولانا محمد وسلم

هذه مقامات[1] الفقيه، العلامة، الدراكة، الفهامة، الأديب، البارع، سيدي محمد بن ميمون الجزائري – رحمه الله ! – .

نحمدك يا من جعل الأدب ريحانة للشم، وقلد أجياد[2] البلغاء قلائد العقيان في النثر والنظم، ونشكرك على ما أوليتنا من المنح، وعلى ما كان مبهماً فانفتح، وأسألك أن تنزع عن عيني[3] الغطاء، وتسبل على عيني[4] العطاء، وتجعلني متبعا لنهج العلماء، الذين أنرت كواكبهم لانتزاح الظلماء، وسارت شموس معانيهم في سماء العلم مشرقة، وصارت اغراس[5] ألفاظهم

---

١ المقامات: مفردها مقامة، وهي المجلس، وسميت مقامة ومجلساً، لأن المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس، ولأن المحدث يكون تارة جالساً، وتارة قائماً. (الشريشي، أحمد شرح مقامات الحريري. القاهرة، مطبعة المنيرة، ١٩٥٣ . ج١١، ص١٤) .

٢ في ب: «جياد» .

٣ عيني: بصيرتي .

٤ عيني: ذاتي ونفسي .

٥ اغراس: في ب: «غروس» .

في قباء[1] الكتب مورقة، ونصلي ونسلم على نبيك محمد الهادي الشافع، وعلى آله وصحبه ما سطرت الأقلام في الطروس بحسب الوقائع ./ أ-٢

وبعد: فانني لما رأيت مولانا الإمام، الذي أنام في ظل الأمان جميع الانام، عالم الأمراء، وأمير العلماء، مولانا فخر الدولة[2] العثمانية[3]، وناشر لواء العدل على جميع البرية .

أبو النصر السيد محمد «بكداش»[4] أنارت أنواره جميع البلدان[5]،

---

١ قباء: ممدود - بفتح القاف - الثوب الذي يلبس مشتق من القبو لاجتماع أطرافه والجمع أقبية .

٢ الدولة: اسم للمدة التي يستولي فيها الإنسان على المملكة، مأخوذ من الادالة، وهي الغلبة أو من التداول، وهو التناوب، ومنه قوله تعالى: «وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ»، (سورة آل عمران، الآية: ١٢٠) .

٣ العثمانية: نسبة إلى عثمان الأول بن ارطغرل، وهو الذي أسس السلطنة العثمانية سنة ٦٩٩ هـ - ١٢٩٩ م .

- أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، مكة المكرمة: المطبعة المسيرية، ١٣٠٢ هـ، ج: ٢ ، ص: ١٢٤ .

- محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية. القاهرة: مطبعة التقدم، ١٩١٢ م، ص: ٣٩-٤١).

٤ بكداش، أو باكداش، أو باكتاش: كلمة تركية، معناها الحجر الصلب، وإلى هذا المعنى يشير الجامعي شارح قصيدة الحلفاوي :

لُقِّبْتَ «بَكْداشاً» فكُنْتَ عَلَى العِـدا حجَراً أَصَمَّ مُفَتِّتَ الأَعْضَاءِ

وقد سماه بهذا الاسم أبوه منذ ولادته، ثم لما أتى إلى الشمال الافريقي والتحق بـ «بونة» سماه الشيخ قاسم ابن ساسي البوني محمدا. قال عبد الرحمن الجامعي: «ثم استمر على هذا الاسم: (بكداش) المبارك وحده، لا يعرف إلا به، إلى أن خرج لجزيرة العرب البربرية قاصدا محروسة الجزائر، فدخل - في طريقه - مدينة «بونة» فلقي صاحب التصرف بها لذلك العهد، ذا الاسرار القدسية والمواهب اللدنية، الشيخ سيدي قاسم بن ساسي - رحمه الله تعالى ورضي عنه ا - فقبله لسابق سعادته، وأقبل عليه. ثم سماه «محمدا» فصار هذا الاسم - من بركة واضعه - هو علمه، وصار علمه الأبوي لقبا يسمه»، (شرح أرجوزة الحلفاوي ص: ٣٠ . مخطوط خاص). وقد تولى محمد باكداش دايا على الجزائر سنة ١١١٨ هـ - ١٧٠٧ م وتوفي مقتالا سنة ١١٢٢ هـ - ١٧١٠ م على يد الداي دالي ابراهيم آغا .

P: 381. G. FAURE - BIGUET, Histoire de l'Afrique septentrionale,

- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر. بتحقيق ممدوح حقي، بيروت: مطبعة دار اليقظة العربية،

والتف ملكه بالاحسان، التفاف الساق بالساق – أردت أن أخدم مجلسه العالي بزف هذا الكتاب إليه، المحتوي على مـا نشر من السيرة المحمدية عليه، وأشرف محاسنه بمثوله بين يديه، فوسمته[١] باسمه، وكسوته نور وسمه، واطلعت شمس النبل بأفقها، وأتيت ببضاعة الفضل إلى منفقها، ولم آل جهداً، في تنقيحه وتأليفه، من صادق الخبر وصحيحه، على ما تجده فيه من ألفاظ لغوية، وأنواع بديعية، وأخبار مستلمحة[٢]، وكنايـة مستملحة[٣]، كما قيل: / أ – ٣

هَذا الْكِتَابُ لو يُباعُ بِوَزْنِــــهِ ... ذَهَباً لكـان الْبَائِـعُ الْمَغْبُونـا
وَمِنَ الْعَجيبِ أَنْ تَـرانِيَ آخـذاً ... ذَهَباً وأُعطِي الجَوْهَرَ الْمَكْنُونا[٤]

وسميته بـ «التُّحفة المرضيّة، في الدولة البَكداشيّة، في بلاد الجزائر المحميّة»، محتوياً على مقامات ست عشرة، كأنها حكت قلائد العقيان[٥] ودرره، والله أسأل أن يتلقاه بالقبول، جميع من هو لاحظ لهذا المقول، لأني قصير الباع، غبيّ في الابداع، مع ما ابتليت به من التقتير[٦]، وعدم

١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م، ج: ١، ص: ١٠٦).
كلمة بلدان: ساقطة من ب.

١ فوسمته: حسنته.
٢ مستلمحة: ملحوظة مختلسة البصر.
٣ مستملحة: مستحسنة.
٤ هذان البيتان من بحر الكامل ذي العروض الصحيحة والضرب المقطوع.
٥ يشير إلى كتاب «قلائد العقيان» لمؤلفه أبي نصر الفتح بن خاقان القيسي المتوفى قتيلا سنة ٥٣٥ هـ – ١١٤١ م بمدينة مراكش بأمر علي بن تاشفين الأمير.
٦ التقتير: الأصل في التقتير: التضييق في النفقة على العيال، والمراد به هنا التقصير فيما هو واجب، وهذا تواضع من المؤلف.

التيسير ، على أن أبناء العصر ابتلوا بالحسد، ويطلقون ألسنتهم بالفحشاء في كل مرصد، ومن كانت له ملكة فليصنّف، وإلا فليُنصف، ولكن كما قال المجنون[١] :

وَكُـلٌّ يَـدَّعِي وَصْـلاً بِلَيْـلى ... وَلَيْلى لَا تُقِـرُّ لَهُمْ بِذَلِكْ[٢]

والله ولي التوفيق فيما قصدت، والكافي من الخطل[٣] فيما سردت، فعليه كان معولي، وبه حسن تأولي، لا إله إلا هو، وهو حسبي ونعم الوكيل ! / ٤ – أ

المقامة الأولى

في نبذة من أخلاقه المرضيّة، وبما أشار به عليه بعض السادات الصوفيّة

فأول من أشار عليه أبوه، وهو نور الدين أبو الحسن علي بن محمد القرشي النسب، العربي الأقليم، النكداني[٤] الدار والمنشأ، وبها توفي .

---

١ المجنون: هو قيس بن الملوح المعروف – عند الأدباء – بـ «مجنون ليلى»، التقى – صدفة – بفتاة اسمها: ليلى، فنحر لها بعيره وخطب ودها فأحبته، بيد أن أباها زوجها إلى غير قيس، فجن قيس وهام في الصحارى على وجهه يتغنى بحبها. (محمود مصطفى، اعجام الأعلام، القاهرة: المطبعة الرحمانية. ١٩٥٣ م ، ص: ١٧٢) .

٢ البيت من البحر الوافر مقطوف العروض والضرب معاً، ولم يذكر هذا البيت أبو بكر الوالبي فيما جمعه من شعر مجنون ليلى .

٣ الخطل: الحمق والكلام القبيح والاضطراب في المنطق والسلوك، قال مؤيد الدين الطغرائي في «لامية العجم» .

أصالة الرأي صانتني عن الخطـل ... وحلية الفضل زانتني لدى العطـل

٤ النكداني: نسبة إلى «نكدا» (Negde) مدينة صغيرة قديمة في الاناضول. تقع بين أنقارا واسطنبول، وهي إلى أنقارا أقرب، وفي (ب): النكدلي .

كان من أهل الفضل والمجد، ونفحة مسك عبقت[١] بين غور[٢] ونجد[٣]، ونبعة[٤] أصالة ومروّة[٥]، وآية جلالة بالسنة الأقاليم السبعة[٦] مقروّة[٧]، فأوصى مولانا حين كان صغيراً، ان ابني هذا على المغرب سيكون أميراً، وحقق الله به قوله، وكمل فيه مرغوبه وسؤله، ولا شك أنه كان - رضي الله عنه ! - ممن تعددت في الفضائل مناقبه، ذا مجد تسامت - على الأنجم الزهر، في نشر العاطر من الزهر - مآربه، يرجع في نظره إلى عقل حصيف ودين متين، وسلوك من النزاهة التامة على سبيل مبين، وفي نسبه إلى أهل بيت جليل، أضاء لهم أحسابهم / ووجوههم في دجى الليل، حتى نظم الجزع[٨] ثاقبه، وفي حسبه إلى دين يراقبه، وله بسيدي أحمد البدوي[٩] يد سابقة ولاحقة، وأذمة ألسنة الثناء عليها ناطقة، أ - ٥

---

١ عبقت: فاحت وانتشرت.

٢ الغور: ما انحدر واطمأن من الأرض.

٣ النجد: ما ارتفع من الأرض.

٤ النبعة: شجرة يتخذ منها السهام والقسي لصلابتها، ويراد بها - هنا - الأصل الكريم والشرف الاثيل، ويقال: فلان من نبعة كريمة، أي: من أصل كريم.

٥ ومروة: ومروءة.

٦ الأقاليم السبعة: قسم الجغرافيون القدامى الأرض المعمورة إلى سبعة أقسام، كل منها يسمى اقليماً، كأنه بساط مفروش من المشرق إلى المغرب، طوله وعرضه من جهة الشمال، وهي مختلفة الطول والعرض، وهذا القسم ليس هو طبيعياً، وإنما خطوط وهمية وضعها الجغرافيون القدامى. (القزويني، عجائب المخلوقات القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٥٤ م، ج: ١، ص: ٢٥١).

٧ مقروّة: مقروءة.

٨ الجزع: كل ما ينظم في السلك، ويراد به - هنا - الاحجار الكريمة المثقوبة.

٩ هو أبو العباس أحمد بن علي بن ابراهيم الحسيني البدوي المتصوف الشهير، ولد بفاس سنة ٥٩٦ هـ - ١١٩٩ م ونشأ بها. ثم طاف بالبسيطة، وأقام بمكة والمدينة ودخل مصر أيام الملك الظاهر (بيبرس) فخرج لاستقباله بعسكره، واحتفى به وأنزله مقاماً محموداً، وزار سورية والعراق سنة ٦٣٤ هـ - ١٢٣٦ م

وأعلام الكرامات في ميادين الفخر خافقة، فضمائرها في التعظيم له متطابقة، ودلائلها على ما نسب إليه من العرفان صادقة، ظهرت له – مراراً – في أهل هذا المجال، ويعلم منها أنه أحد أفراد الرجال، ولما كمل شرخ شباب مولانا أقبل إلى الجزائر، يا حبذا – به من زائر –، وذلك في سنة ست وثمانين بعد الألف[1]، فانتظم به الشمل والتف، فكتبوه في العسكر كما هي العادة، وذهب للدار المعتادة، فمن ثم وبنيانه مؤسس على التقوى، والمراقبة في السر والنجوى، وما اطلع عليه أحد بفساد منذ أقبل، إلا
بحسن السيرة والعفاف فيما استدبر / أو استقبل. والقلب منه متشبث ٦ – أ
بالأولياء، وممازحة الفقراء والمساكين والأصفياء، ثم سافر مع النمط في محال[2]، وحاز قصب السبق في المضمار وجال، ولا زال على هذا الحال، والظلم منه محال، /وقد كان قبل هذا انتقل إلى «بونة»[3] واعتزل عن الطائفة المغبونة، ولازم الشيخ سيدي قاسم[4]، صاحب الأسرار النواسم، ولديه من جميع الاعتقاد، في أصالته الرفيعة العماد، وما يزال موصول السبب،

وطارت شهرته في مصر، فانتسب إلى طريقته خلق كثير من بينهم الملك الظاهر. توفي سنة ٦٧٥ هـ – ١٢٧٦ م بمصر، ودفن في «طنطا» حيث قبره ما زال يزار حتى الآن. (خير الدين الزركلي، الأعلام، القاهرة، مطبعة كوستاتسوماس وشركاؤه، ج: ١، ص: ١٧٠).

الاذمة: جمع ذمام، وهو الحرمة والحق، والمراد – هنا – المعنى الأخير، وفي ب: «ازمة».

١ الموافقة لسنة ١٦٧٥ م، وذلك في ولاية الحاج محمد باشا، وهو أول دايات الجزائر، وفاتح عصرهم.

٢ محال: جمع محلة، وهي الفرقة من الجيش. والكلمة اقليمية النزعة.

٣ بونة: هي مدينة «عنابة» تقع في الشرق على الساحل بالقطر الجزائري، أسسها القرطاجيّون. (عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٩٥٤ م، ج: ١، ص: ٢٣٢).

٤ هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد، المعروف بابن «ساسي البوني» صاحب «الدرة المصونة، في علماء وصلحاء بونة». وله غيرها من التآليف ما بين مختصرة ومطولة ما يربو على المائة، حسبما ذكره عبد الرحمن الجامعي في رحلته. توفي سنة ١١٣٩ هـ (١٧٢٧ – ١٧٢٦ م).

واضح المذهب، متحلياً بالوفاء والصدق والولاء المهذب. وكيف لا يكون التشيع - إلى جانب تلك السيادة الكريمة - لباسه الذي به يتجمل، ورواقه الذي به يتظلّل. وعدته التي بها يقول ويفعل. وقد تواترت من فضائله - قبله - ما يعجز الجزر والمد[1]، ويستحق الخلود والود. وأبقى الله سيرته عدة للكمال، متكفلة للدين ببلوغ الآمال، جليل العلاء عالي الجلال، منيل المواهب موهب النوال، فأشار على المولى بموّال[2]: / أ - ٧

---

١ الجزر والمد: البر. والبحر.

٢ بموال: المواليا فن من فنون الشعر، وضع للغناء به وأول من تكلم بهذا النوع أنصار البرامكة بعدما نكل بهم الرشيد. فكانوا ينوحون عليهم ويكثرون من قولهم: «يا موالي» و «يا مواليا» فصار يعرف بهذا الاسم، والبيتان من البحر البسيط المقطوع العروض معاً، ومنشدهما الشيخ سيدي قاسم البوني. وقد خمّسهما محمد بكداش، فأجاد وأبدع حيث يقول في تخميسه:

يَا سَادَةً حُبُّهُمْ وَسطَ الحَشَانَاشِ   أَنْتُمْ لَجَا مُهْجَتِي مِنْ كُلِّ أَوْبَاشِ
عَيْشِي يَلِذُّ بِكُمْ وَفِيكُمْ إِنْعَاشِي   مُنُّوا بِرُؤْيَتِكُمْ مَنْ نَحْوَكُمْ مَاشِ
قَلْبِي إِلَيْكُمْ صَبَا وَالحُبُّ فِي جَاشِي
أَبْدُوا جَمَالَكُمْ دَفْعاً لإِدْهَاشِي   جُودُوا بِقُرْبِكُمْ حِينَ مَا يَكُونُ غَاشِ
قَلْبِي إِلَيْكُمْ هَفَا وَالغَيْرُ مَا بَاشِ   رَغْماً لِعَاذِلِكُمْ وَاللاَّئِمِ الوَاشِي
وَالسِّرُّ مِنِّي سَرَى فِي سِرِّ بَكْدَاشِي
يَا لائِمِي فِي هَوَاهُ قَصْدَ إِيحَاشِي   إِنْ لُمْتَنِي زِدْتَ فِي هَوْلِي وإِرْعَاشِي
أَظْهَرْتُ حُبِّي فِي قَوْمِي وَأَعْرَاشِي   إِنِّي مُحِبٌّ لَهُمْ لَمْ أَسْمَعِ الوَاشِي
يَا لائِمِي فِي هَوَى هَذَا الفَتَى النَّاشِي
يَا عَاذِلِي لا تَكُنْ كَالخَاتِلِ الوَاشِي   قَصْداً لِصَيْدِ الحِجَا بِحَبْلِكَ الرَّاشِي
قَلْبِي وَجِسْمِي وَلَحَظَانِي وَأَرْمَاشِي   مَالَتْ إِلى مَنْ هَوَيْتُ مِنْ غَيْرِ أَرْحَاشِي
أَقْصُرْ مَلامَكَ إِنَّ خَيْرَهُ فَاشِي

(عبد الرحمن الجامعي، شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ٣٠. مخطوط خاص).

قَلْبي إلَيْكُمْ صَبَا والْحُبُّ في جَاشي
والسِّرُّ مِنّي سَرَى في سِرِّ «بَكْدَاشي»
يَا لائِمِي في هَوَى هَذا الْفَتَى النَّاشي
اقْصُرْ مَلامَكَ إنَّ خَيْرَه فَاشي

وكان السيد ابراهيم بن سنان[1] صاحب الشيخ يعرب عما في ضميره ويفشيه للاحبا[2]، فقال له: «قل لبكداش أهلاً وسهلاً به ومرحبا، فاني رأيت النبي ﷺ! وهو يقول: «أخبر بكداش بأنه يموت على حسن الخاتمة»!

ولا زال مولانا على هذه السيرة، حتى أشار عليه رجال من أهل البصيرة، ومن ثم وسعده في الأفق الأعلى مرصود، وملكه بالله معصوم معضود، وشمله باتصال الأماني ورضى الرحمن منضود، وظل عدله وفضله وأثره[3] في الآثار الصالحات الباقيات محسوب معدود[4]، معظم قدره العالي في الاقدار، المشهود لصلاحه بصفة الأبرار، واستقامة المدار، الداعي له في حال الايراد والاصدار، بالزلفى وعقبى الدار. / أ – ٨

---

١ وليس هو أبا اسحاق بن سنان بن ثابت بن قرة بن مروان الحراني المولود سنة (٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م)، والمتوفى سنة (٣٣٥ هـ - ٩٤٦ م).

٢ للاحبا: بحذف الهمزة لمقتضى وزن السجع.

٣ في ب: وآثاره.

٤ محسوب معدود: كان من حق المؤلف أن ينصبهما على أنهما خبر ان لـ (ظل) ولكنه رفعهما نزولا عند رغبة السجع.

المقامة الثانية

في كونه سانجاق[1] دار، بلغة المجاهدين الاخيار

وهو الذي بيده لواء العسكر، وينشره أمامهم ويتبختر[2]. والمولى ما نشر رايته، إلا أقام السعد نصرته، وذلك في سنة سبع ومائة وألف[3]، وحل فيه حلول الشمس في الشرف، فصار غرة في جبين الملك ودرة لا تصلح إلا لذلك السلك، تباهت به الأيام، وتاهت في يمينه الاقلام. فكانت توليته لذلك المنصب نعمة عميمة، وكمال راحة ومنّة جسيمة، وتمام صحة على كل ناحية من سفك دمها تميمة. وبالجملة فشم فضله لا تفضلها في القديم والحديث شيمة، ومذاهب عدله واضحة مستقيمة، ومكارمه شاملة عميمة، وآثاره في سبيل الله حديثة وقديمة. وأنشد في ذلك[4]:

١ في جميع النسخ: «سنجاق» والتصويب عن المعاجم التركية والسانجاق، هو اللواء في اللغة التركية.

٢ في ب: «ويتخنكر».

٣ الموافقة لسنة ١٦٩٥ م، وذلك في ولاية الباشا الحاج أحمد داي (٠٧ - ١١٠٨ هـ/ ٩٦ - ١٦٩٥ م).

٤ على وزن البحر البسيط المخبون العروض والضرب. والقصيدة من شعر الأديب البليغ أبي بكر محمد بن أحمد بن دُحَيم الأندلسي (أحمد بن يحيى الضبي. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. مدريد: مطبعة «روخس». ١٨٩ م ص: ٤٢).

هِيَ السِّيَادَةُ حَلَّتْ مَـنزِلَ الْقَمَـــرِ
وَأَنْــتَ مِنْهَــا سَــوادُ الْقَلْــبِ وَالْبَــصَرِ
وَهْيَ الْجَلاَلَــةُ لاَ تُــدْرَى لَهَــا صِفَــةٌ
لَكِنَّهَــا عِبْرَةٌ جَــاءَتْ مِــن العِبَــرِ / أ - ٩
أَمَّــا الْمَعَالِي فَقَــدْ حَطَّــتْ رَواحِلُهَــا
لَدَيْكَ وَالْخَبْرُ قَــدْ يُغْــنِي عَــنِ الْخبَرِ
طَرَّزْتَ ثَــوْبَ الْمَعَــالِي بَعْدَ مَــا دَرَسَتْ
رُسُومُهُ فَأتَانَــا مَعْلَمُ الْقَـــدَرِ
رَقَّتْ فَـرَاقَتْ سَمَـاءً لِلْعُــلى شِيَــمٌ
كَأَنَّهَــا قُطِّعَتْ مِن رِقَّــةِ السَّحَرِ
وَطَــابَ عُرْفُ ثَنَــاءٍ ذَاعَ رَيِّقُــهُ[١]
كَمَا انْتَشَقَتْ نَسِيمُ العَنْبَرِ الــزَّفَــرِ
كَم مِــنْ يَدٍ لَـكَ فِي أَجْيَادِنَــا كُتِبَتْ
- وَاللهُ يَعْلَمُهَــا - فِي صَفْحَةِ الْعُمُــرِ
لاَ نَنْثَنِي أَبَــداً نُثْنِي عَلَيْكَ بِهَا
كَأَنَّمَــا آيَــةٌ تُتلى مِنَ السُّوَرِ
يَفْدِيكَ كُــلٌّ مِنَ الأَسْوَى[٢] سِوَى نَفَــرٍ
عَلِمْتَ بُغْيَتَهمْ لاَ كَــانَ مِــنْ نَــفَــرِ

---

١ ريّق: كل شيء أفضله وأجوده .

٢ الاسوى: افعل تفضيل من الاسواء، وهو الاستقامة والاعتدال .

يُخْفُونَ ضِدَّ الَّذِي يُبْدُونَ مِـــنْ مَلَـــقٍ
فَــلَا تَثِقْهُمْ[١] وَكُـنْ مِنْهُمْ عَلَى حَــذَرِ
إنَّ الحِجَارَةَ تُلْـقَـى وَهْيَ جَــامِــدَةٌ
حَتَّى إذَا قَــدَحَتْ حَيَّتْـكَ بِالشَّـــرَرِ

وكان – سنة أربع ومائة وألف[٢] – صعد المنبر، ووعظ الناس فيه وحذر، يقذف لسانه لؤلؤه المكنون، ويصرف من بدائعه الأنواع والفنون فلا يجارى في مضمار احسان، ولا يبارى في بلاغة وبراعة لسان[٣] / ، أ – ١٠
يقصر كل كريم عن نداه، ويظهر الاعجاز فيما أظهره من البيان وأبداه، لاح وسمـاء المعالي قد تزينت بنجومها، وسمع ذكرها ولم يرم برجومها، فظهر في غير أوان الظهور وساد، ولم يخش في غير موضع نفاق الفضل الكساد، والناس – إذ ذاك – أعلام، والدنيا تحية وسلام[٤] :

يَا زَكِيًّا غَــدَا يَشِيــدُ فَخَــارَهْ   مُذْ شَـدَا لِلْعُلَى يَشُدُّ إزَارَهْ
وَحُسَامــاً بِرَاحَــةِ الْمَجْـدِ عَضْباً   شَحَذَتْ رَاحَــةُ الذَّكَاءِ شِفَارَهْ

---

١ الأصل في «وثق»: يتعدى بباء الجر ؟.
٢ الموافقة لسنة ١٦٩٣ م وذلك في ولاية الباشا الحاج شعبان داي (١٠٠٠ – ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ – ١٦٨٩م).
٣ قال الجامعي: «كان محمد بكداش عالماً فقيهاً مشاركاً في عدة فنون من المعارف والعلوم ماهراً في علم اللسان، له ممارسة بعلم القوم (الصوفية) وطريقتهم تصدر للاقراء مرارا، وتولى خطابة بعض جوامع الجزائر سنة أربع ومائة وألف، فادار فيها على الناس كؤوس مواعظه فتركهم سكارى».
(عبد الرحمن الجامعي، شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: مخطوط خاص).
٤ الأبيات من بحر الخفيف الصحيح العروض والضرب، وهي من قصيدة لشاعر الأندلس وأديبها: أبي بكر محمد بن أحمد بن دحيم (أحمد بن يحيى الضبي. بغية الملتمس، في تاريخ رجال أهل الأندلس ص: ١١٠ .

وَهَمَتْ دِيمَــةُ الصَّفَــاءِ فَــرَوَّتْ مَرْبَعَ الْوُدِّ - بَيْنَنَا - وَثِمَــارَهْ
فَإِذَا قِيلَ: مَنْ فَتَى الْفَضْلِ يَوْمــاً وَأَشَارُوا فَأَنْــتَ مَعْنَى الْإِشَارَهْ

وبالجملة فقد وافقته الرياسة، وانقادت إليه السياسة، فانتقل إليها انتقال الشمس في مطالع السعود، ومقل[١] روض الأماني في نضير[٢] العود .

١ مقل: نظر إلى الشيء ورنا إليه بامعان وتثبت .
٢ النضير : من كل شيء الجميل الحسن، واللين الناعم .

المقامة الثالثة

في توليته على تقسيم خبز العسكر
وكيف نزع الظالم حين طغى وتجبّر

وذلك في سنة اثنتي عشر[1]، واشتهر فضله فيه اشتهار القمر / . أ - ١١ ولما رأى الباغي[2] ساد، وطغى في البلاد، واستوى في ذلك عنده العالم والجاهل، وصار الشرع سواء النبيل فيه والخامل، وعامل الناس أسوأ معاملة، وأعطاهم المقابحة عوضاً من المجاملة، وأهمل حال الدولة التي علقها به الفاعل المختار وناطها، وفرط في مصالحها وما حاطها، وتجبر وعتا، وأتى بذلك ما أتى، واشتغل بنهب الأموال، واجراء المظالم في كل حال، - قام المولى على ساق الجد، وأنقذ المسلمين من ذلك الكد، فكان سهم سعده صائباً، وكل من كاده أصبح خائباً، ولم يزل ماضي العزم، مسدد السهم، مرهوب الجد ممتثل الرسم، مرفوع النصيب من نعمة الله عند عدد

---

١ أي: سنة ١١١٢ هـ - ١٧٠٠ م .

٢ يشير بهذا إلى الداي المتقدم وهو الحاج مصطفى أهْجيّ، المتولي سنة ١١١٢ هـ/ ١٧٠٠ م .

القسم. ولما فر من جيش الخضراء[1]، وصار يقطع – من كثرة جبنه – في الليل القفراء، حتى بات بوادي الخميس، والطالع – إذ ذاك – بخيس، أصبحت الاجناد والشواش[2]، ينادون بالتولية لبكداش، فاعرض
أ – ١٢ عنها / وشرد، وأمرهم بتولية الشريف[3] الاسعد، واشركه معه في نهيه وأمره، وأطلعه على سره وجهره، لم ينفرد عنه بقصه، ولا اختص دونه من الملك بحصه، إلى أن فرق بينهم مفرق الجموع ومشتّت الأصول والفروع، وكان يظن أنه كأخيه، حتى صار ما صار وستقف في السيرة عليه، وأحق ما يستشهد بهذه الأبيات لصاحب المقامات[4]:

وَنَـدِيمٍ مَحَضْتُـه صِـدْقَ وَدِّي   إذْ تَـوَهَّمْتُهُ صَدِيقاً حَمِيما[5]

---

١ الخضراء: تونس وسميت بالخضراء لكثرة أشجار الزيتون بها. وكان الداي الحاج مصطفى قد غزاها بجيشه فانقلب غزوه هزيمة عليه وفر هارباً بما تبقى له من جيشه عائداً ادراجه سالكاً بهم القفراء. كما أشار إلى هذا صاحب «المقامات». ولما بلغ الخبر إلى الجزائر اجتمع الديوان وعزله قبل وصوله. ولما وصل قتلوه وعرضوا منصبه على محمد بكداش فتنازل عنه إلى حسين خوجة الشريف. وذلك سنة ١١١٧ هـ/ ١٧٠٥ م .

٢ الشواش: مفرده شاويش، وشاوش. كلمة تركية، أصلها فارسي، ومعناها رتبة في الجيش يقابلها العريف في عصرنا. وما زالت هذه الكلمة متداولة في الأقطار العربية، بيد أنها تدل غالباً على حجاب رؤساء المصالح الادارية. لا سيما في المحاكم الشرعية .

٣ الشريف: هو الداي حسين خوجة الشريف، المتولي سنة ١١١٧ هـ/ ١٧٠٥ م، والمتوفي سنة ١١١٨ هـ/ ١٧٠٧ م .

٤ صاحب المقامات: هو أديب عصره أبو محمد القاسم بن علي بن عثمان الحريري البصري المتوفي سنة ٥١٥ أو ٥١٦ هـ (١١٢١ – ١١٢٢ م) بالبصرة، والأبيات من البحر الخفيف الصحيح العروض والضرب، أنشدها الحريري في المقامة الثامنة عشرة من مقاماته .

٥ حميا: مخلصاً في صداقته صادقاً في وده .

ثُمَّ أَوْلَيْتُـهُ قَطِيعَـةَ قَـالٍ[١] حِينَ أَلْفَيْتُـهُ صَدِيداً حَمِيما[٢]
خِلْتُـهُ قَبْلَ أَنْ يُجَـرَّبَ إِلْفـاً ذَا ذِمَـامٍ فَبَانَ جِلْفـاً ذَمِيمـا
وَتَخَيَّرْتُـهُ كَلِيمـاً[٣] فَأَمْسَى مِنْهُ قَلْـبِي بِمَا جَنَاه كَلِيما[٤]
وَتَظَنَّنْتُـهُ مُعِينـاً رَحِيمـاً فَتَبَيَّنْتُـهُ لَعِينـاً رَجِيما
وَتَوَسَّمْتُ أَنْ يَهُبَّ نَسِيما فَأَبـى أَنْ يَهُـبَّ إِلَّا سُمُومـا
وَتَـرائَيْتُـهُ مَـرِيـداً[٥] فَجَلَّى عَنْهُ سَبْكِي[٦] لَهُ مَرِيداً لَئِيما / أ - ١٣
بِتُّ مِنْ لَسْعِهِ الَّذِي أَعْجَزَ الـرَّا قِي سَلِيماً[٧] وَبَاتَ مِنِّي سَلِيما[٧]
وَغَدَا أَمْـرُهُ غَـدَاةَ افْتَرَقْنَـا مُسْتَقِيماً وَالْجِسْمُ مِنِّي سَقِيمـا
لَمْ يَكُنْ رَائِعاً[٨] خَصِيبـاً وَلَكِـنْ كَانَ بِالشَّرِ رَائِعاً[٩] لِي خَصِيما
قُلْتُ لَمَّا بَلَوْتُـهُ[١٠] لَيْتَـهُ كَـا نَ عَدِيمـاً وَلَمْ يَكُنْ لِي نَدِيمـا
نَغَّصَ الصُّبْـحُ حِينَ نَمَّ إِلى قَلْـ ـبِي لأَنَّ الصُّبْحَ يُلْفَى نَمُوما[١١]

---

١ قال: بغيض ومنه قوله تعالى - في حورة الضحى الآية ٢ -: «مَا ودَّعَكَ رَبُّك وما قَلَى» .
٢ حميا: أشد حرارة وهو من أسماء الاضداد .
٣ كليما: محدثا جليسا .
٤ كليما: جريحا .
٤ المريد: التمر الذي ينقع في اللبن حتى يلين .
٥ سبكي: اختباري .
٦ سليما: ناجيا .
٧ لديغا مشرفا على الهلاك وسمي بذلك تفاؤلا
٨ رائعا: كريما شجاعا .
٩ رائعا: مفزعاً مروعاً .
١٠ بلونه: سبرته اختبرته .
١١ نموما: تماما شبه الصبح بالنمام، لأنه يفضح جميع ما ستره الليل ويبوح بأسرار الوجود .

وَدَعَــانِي إلى هَــوَى اللَّيْلِ إذ كَا   نَ سَوادُ الدُّجَى رَقِيبــاً كَتُومــا
وَكَفَى مَنْ يَشِي – وَلَوْ فَــاهَ بِالصِّدْ   قِ – أَثَامــاً بِمَا أَتَــاهُ وَلُــوما

فلما عزم الباغي عند الصباح على الدخول، سمع زعيق المدافع ونقر الطبول. فبقي باهت البصر، ولم يشعر بالخبر، إلى أن وقع له طلب إصاره[1] إلى الاعتقال، وقصر عن الوخد والارقال، ففر فرار الانس من الخائف، وسرى إلى «القليعة» سري الخيال الطائف، فوفاها ضحوة قبل الاسراج
١٤ – أ والالجام، ونجا برأس طرة ولجام، فأدركه / هنالك المنون، وانقلب مجن المجون. ان لله قضايا واقعة بالعدل، وعطايا جــامعة للفضل، أجراها على يد من هو للكمال أهل، وكان وجه الأرض مغبرا، حتى يتوهم أنه لم ينزل المطر فيها دهراً، فأصبح وقد صقل غمام العدل ازهار الوجوه حتى أذهب طيشها، وسقى أرضها فأروى عطشها. ثم أسست الدولة التي ارجت نفحاتها، وتفتحت اكمام علىها، وأفصحت حمائم الثناء على أهلها، وتجردت جداول كرمها، ورمقت عيون الأماني وجوه حشمها.

١ الاصار : وتد الطنب .

المقامة الرابعة

على انه يتصدى ملكا للايراد والاصدار ، فزحلق نفسه إلى «تفتر دار»[1]

وهي حالة تدل على أناقته في الفخر ، دلالة النسيم على الزهر ، والشاطىء على النهر ، وتشهد له بالعلاء والمجد، شهادة النار بطيب الند[2] ، وكان ذلك في سنة سبع عشرة ومائة وألف[3] ، سلم الله بدره من المحاق والخسف، / أ - ١٥ فسار في الناس سيرة أخذت بمجامع قلوبهم، وتوجهوا إليه لبشاشته وحسن خلقه في قضاء مرغوبهم، وفي تلك المرة كاتبه الشيخ المحدث أبو العباس سيدي أحمد ابن الشيخ سيدي قاسم الملقب: «بابن ساسي البوني»[4]

---

١ تفتردار : ودفتردار : كلمتان تركيتان، معناهما رئيس ديوان الانشاء وكاتب عام للدولة. وكلمة «دار» فارسية، معناها: «البذل» .

٢ الند: عود طيب الشذا يتبخر به، والكلمة فارسية .

٣ الموافق لسنة (١٧٠٥ م) .

٤ انظر تاريخ وفاته في ص: ١١٦ من هذا الكتاب .

بهذه الأرجوزة من مشطور الرجز، وأبدع فيها وأوجز. وهي :

الْحَمْـدُ للهِ الْعَـلي ... الأَبَـدِيِّ الأَزَلي
ثُـمَّ الصَّـلاةُ والسَّلامْ ... كُلٌّ عَلى نُـورِ الظَّلامْ
مُحَمَّـدٍ وَآلِـهِ ... صَـلاةَ صَبٍّ وَالِهِ
وَبَعْدَ هَـذَا فَيَقُوْل ... رَاجِي شَفَاعَـةِ الرَّسُوْل
أَحْمَـدُ نَجْلُ قَاسِمِ ... بُـونِيٌّ ذُو مَـآثِمِ
إلى تَمِيمٍ يَنْتَـمِي ... بَابَ الإِلَهِ يَحْتَمِي
يَـا طَالِباً لِلْفَضْـلِ ... وَالْجُودِ ثُـمَّ الْعَـدْلِ[1] /أ - ١٦
وَالْعِلْمِ وَالرِّيَـاسَـةِ ... وَالْحِلْمِ وَالْكِيَاسَـةِ
أَعْمِدْ إلى الظَّرِيفِ ... بَكْدَاشٍ الشَّرِيـفِ
وَهْوَ الَّذِي فِي الْقُطْرِ بَيْ[2] ... فَإنَّـهُ حَاتِمُ طَيْ
تَجِدْ لَـدَيْهِ مَا ذُكِـرْ ... فِي كُلِّ مَحْفَلٍ شُكِرْ
يَطْرُدُ عَنْكَ الْفَقْـرَا ... وَبِاجْتِهَـادٍ تُقْـرَى
به تَصِـيرُ الزَّاوِيَـهْ[3] ... عَامِرَةً لَا خَاوِيَـهْ
وَكَيْـفَ لَا وَأَمْـرُهُ ... بِاللهِ طَال عُمْـرُهُ
أَدْرَكَ مَـا قَـدْ رَامَـهْ ... مِنْ زُمْـرَةِ الْكَرَامَـهْ
هَـذَا أَمِـيرٌ هَاشِـمِي ... لَمْ يَـرْضَ بِالْمَظَالِـمِ
طُوبَـى لِمَنْ قَـدْ قَارَبَـهْ ... يَا وَيْحَ شَخْصٍ حَارَبَهْ

---

١ في ب: «البذل».
٢ بي: باي، وحذفت الألف لضرورة الوزن.
٣ يفهم من هذه العبارة أن صاحب الرجز قد كانت له زاوية ببلدة «بونة».

بُشْرَى لَنَـا بِـذَا الأَمِيرْ   إِذ هُوَ يُرْوِي وَيَمِيرْ(١)

يَعْـرِفُ قَـدْرَ الْعُلَمَـا   كَأُمَـرَاءِ الْقُـدَمَا / (٢)   أ – ١٧

وَكَيْفَ لَا وَقَـدْ قَطَـعْ   عُمْرَهُ مَعْهُـمْ فَنَصَـعْ

وَفَّـقَـهُ اللهُ إِلَى   فِعْلِ الْجَمِيلِ فِي عُـلى

يَا رَبُّ عَطْفُـكَ عَـلى   مَنْ كَانَ فِي جُهْدِ الْبَلا(٣)

والْطُفْ بِهِ اللُّطْفَ الجَمِيلْ   أَيَا كَرِيمُ يَا جَلِيـلْ

مَهِّـدْ لَنَـا دَوْلَتَهُ   ثُمَّ قِنَـا صَوْلَتَـهُ

وَاخْتِمْ لَنَا عِنْدَ الْمَمَاتْ   بِمَا خَتَمْتَ لِلْكُمَاتْ(٤)

مِنْ كِلْمَـةِ الشَّهَـادَةِ   وَرُتْبَـةِ السَّعَـادَةِ

ادْخُلْـهُ رَبِّي الْجَنَّهْ   بِغَيْرِ سَبْـقِ مِحْنَـهْ

يَا حَاكِـمَ الْجَـزَائِـرِ   يَا أُنْسَ نَفْسِ الزَّائِرِ

أُرِيـدُ أَنْ أُخْبِرَكُـمْ   أَدَامَ رَبِّي نَصْرَكُـمْ

بِحَالِ هَـذِي الْقَرْيَةِ(٥)   بِالصِّدْقِ لَا بِالْفِرْيَـةِ

قَدْ صَالَ فِيهَـا الظَّالِـمُ   وَهَـانَ فِيهَـا الْعَالِمُ /   أ – ١٨

خُرِّبَتْ الْمَسَاجِـدُ   وَقَـلَّ فِيهَـا السَّاجِدُ

حُبُسُهَـا قَـدْ أُسْرِفَا   نَاظِـرُهُ فَأُشْرِفَـا

---

١ مار عياله، يميرهم، وامارهم بميرهم، إذا أتاهم بالطعام والمؤونة والميرة .

٢ القدما: أصله القدماء بالمد وحذفت همزته لضرورة الوزن .

٣ البلا: أصله البلاء بالمد وحذفت همزته لضرورة الوزن. والبلاء الاختبار بالخير أو الشر .

٤ الكماة: مفرده كمي. الشجاع المدجج بالسلاح. وفتحت تاؤه نظراً إلى قافية الشطر الأول من البيت (الممات) .

٥ يريد بـ «القرية» مدينة «بونة» التي ينسب إليها .

وَأُهْمِلَتْ أَسْعَارُهَا ... وَبُدِّلَتْ شِعَارُهَا
وَالشَّرْعُ فِيهَا بَاطِلُ ... وَالظُّلْمُ فِيهَا هَاطِلُ
وَالْخَوْفُ فِي سُبُلِهَا ... وَالْقَحْطُ فِي سُنْبُلِهَا
وَكَمْ مِنَ الْقَبَائِحِ ... وَكَمْ مِنَ الْفَضَائِحِ
يَضِيقُ عَنْهَا النَّظْمُ ... وَخَارَ مِنْهَا الْعَظْمُ(١)
تَبْكِي عَلَيْهَا بِالدَّمِ ... قَدْ قَرُبَتْ مِنْ عَدَمِ
يَا صَاحِ هَلْ مِنْ نَفْحَةٌ ... تَهُبُّ فِيهَا رَوْحَةُ
فَيَنْجَلِي عَنْهَا الْعَمَى ... وَتَرْتَوِي بَعْدَ الظَّمَا
وَاللهُ قَدْ وَلَّاكُمُ ... حُكْماً وَقَدْ عَلَّاكُمُ
فَدَارِكُوا الإِسْلَامَا ... وَنَوِّرُوا الظَّلَامَا
وَسَدِّدُوا الأَحْكَامَا ... وَفَرِّحُوا الأَنَامَا / أ - ١٩
وَهَذِهِ وَصِيَّهْ ... قَرِيبَةٌ قَصِيَّهْ
كُنْ وَاثِقاً بِاللهِ ... جَلَّ بِلَا تَنَاهِ(٢)
وَاظِبْ عَلَى الطَّهَارَةِ ... وَالْعِلْمِ فِي مَهَارَةِ
وَالذِّكْرِ وَالتَّوَاضُعِ ... وَالْفِكْرِ وَالتَّضَرُّعِ
لَا سِيَّمَا بِالسَّحَرِ ... إِذْ هُوَ بِالنُّجْحِ حَرِي(٣)
وَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ ... لِوَافِرِ الصِّلَاتِ
سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ ... رَسُولِ رَبِّ الصَّمَدِ

---

١ حار: فتر. وضعف. وانكسر. وفي ب: «وهن».

٢ في ب: «تلاه».

٣ حري: أجدر.

رُوحِ الْوُجُودِ كَنْزِي ذَخِيرَتي وَعِزِّي
مَلْجَا الضَّعِيفِ الْخَائِفِ مُنْجِي الْغَرِيقِ الْحَائِفِ
وَسِيلَةِ الْمَلائِكَةْ ذِي الطَّلْعَةِ الْمُبَارَكَةْ
وَطَاهِرِ الْمَزَايَا وَبَاهِرِ السَّجَايَا
عَلَيْهِ صَلَّى رَبُّنَا فَكَيْفَ يَا أَخِي بِنَا / أ - ٢٠
سُبْحَانَهُ بِفَضْلِهِ جَعَلَكُمْ مِنْ نَسْلِهِ
تُغَيِّرُونَ مُنْكَرا تُنَبِّهُونَ مِنْ كَرَى[1]
أَنْتُمْ قِوَامُ الزَّمَنِ كَوَالِدٍ مُؤْتَمَنِ
وَبِصَفَا الطَّوِيَّةْ تَغْتَنِمُ الرَّعِيَّةْ
فَأَنْتَ ذُو فَطَانَةْ فَحَسِّنْ الْبِطَانَةْ[2]
شَاوِرْ ذَوِي الْعُقُولِ وَلِّ ذَوِي الْأُصُولِ
لَا تُخْلِفِ الْوَعْدَ وَلَا وَعِيدَكُمْ يَا ذَا الْوَلَا
وَعَيْشُ هَذِهِ الدُّنَا إِلَى الزَّوَالِ وَالْفَنَا
حَيَاتُهَا كَسَاعَةْ حَيَّاتُهَا لَسَّاعَةْ
عُمْرَانُهَا خَرَابُ لَذَّاتُهَا سَرَابُ
وَحُلْوُهَا مَرارَه مَكَّارَةٌ غَرَّارَةْ
بَخٍ لِمَنْ طَلَّقَهَا شُغْلاً بِمَنْ خَلَقَهَا / أ - ٢١
وَقَدْ تَكُونُ نَافِعَةْ عِنْدَ الْإِلَهِ رَافِعَةْ
طُوبَى لِعَبْدٍ عَقَلَا وَفِعْلَ خَيْرٍ مَا قَلَى

---

١ من كرى: من نعاس .

٢ البطانة: حاشية الرئيس، من وزراء ومستشارين .

وَلَا يَــــدُومُ إِلَّا إِلَهُنَا قَـدْ جَـلَّا
نَسْأَلُــهُ حُسْنَ الْمَـآلْ لِي ولكم في كُلِّ حَالْ
قَدْ قُلْتُــهُ عَـنْ عَجـلِ فِي خجـلٍ وَوَجَـلِ
وَالذِّهْنُ ذِهْـنٌ فَاتِــرِ وَالْهَمُّ فِي تَـوَاتُــرِ
حَامِلُــهُ فِي صَبَبِ وَرِجْلُهُ فِي الْمَرْكَبِ
حِينَئِذٍ نَظَمْتُـــهُ وَمُسْرِعـاً أَتْممْتُهُ
فَمِنْكَ يَـا ذَا الْقَــدْرِ أَرْجُو قَبُـولَ الْعُـذْرِ
فَمَـنْ عَفَـا وَأَصْفَحَا[1] نَالَ الصَّفَـا وَأَفْلَحَـا
مَطالِــبي كَثِيرَةُ فِطَنَتُكُم غَزِيـرَةُ
أ - ٢٢ بَعْضٌ مِــنَ التَّحْصِيلِ يُغْـنِي عَـنِ التَّفْصِيلِ /
ذَالٌ وَدَالٌ شَتَّتَـا[2] فِكْرِي وَفِيهِ نَبَتَا
ذَنْبٌ وَدَيْـنٌ كَــثُرَا وَالْغَمُّ فِيهِ أَثَّـرَا
يَا رَبُّ يَا ذَا الْقُــــدْرَةِ سَهِّلْ لَنَـا في بَدْرَةِ[3]
وَتَوْبَــةٍ نَصُــــوحِ تَقِي مِــنَ الْفضُوحِ
بِجَــاهِ خَيْرِ الرُّسُـــلِ مُحَمَّدِ الْمُفَضَّلِ
صَلَّى عَلَيْهِ خَالِقِي عَـدَدَ شَعْرِ الْحَالِــقِ
وَقَــدْرَ قَطْرِ سُحْبِهِ وَآلِــه وَصَحْبِهِ
وَعَنْ جَمِيــعِ الْعُلَمَــا يَرْضَى وَنَظْمِي خُتِمَا

---

١ في ب: «أصلحا».

٢ يريد بـ «ذال»: الذنب وبـ «دال» الدين.

٣ البدرة: عشرة آلاف درهم. بدليل قول صاحب المقامات: «فكافأه ... بمنقوش في صفحة القمر...».

فكافأه على هذه الدرر، بمنقوش في صفحة القمر، وأعطاه فوق ما طلب، وكمل له المقصود والارب. ثم ان المولى - أعزه الله - طلب منه أن يتحفه ببعض التحف، فراسله بقصيدة أحلى من المن[1] وأجلى / أ - ٢٣ من البدر وألطف. وهي هذه[2] :

بِـ «بِسْمِ اللهِ» أَبْـدَأُ في نِظَـامِ ... وَحَمْـدٍ وَالصَّلاةِ مَعَ السَّلامِ
عَلَى الْهَادِي رَسُولِ اللهِ كَنْـزِي ... وَتَـاجِ الأَنْبِيَـاءِ بِلا مُسَـامِ
وَأَصْحَـابٍ وَأَزْوَاجٍ وَآلٍ ... وَأَتْبَـاعٍ مَصَابِيـحِ الظَّـلامِ
وَبَعْدُ فَإِنَّ لِي حِبّاً وَخِلاً ... سَبَى قَلْبِي وَهَيَّجَ لِي غَـرامِي
بِمَنْظُومٍ وَمَنْثُـورٍ كَـدُرٍّ ... وَتَشْوِيقٍ إِلى أَعْـلَى مَقَـامِ
مُحَمَّدٍ اسْمُهُ «بَكْدَاشُ» خُوجَهْ ... لَـهُ لَقَبَانِ مِنْ خَيْرِ الْفِخَامِ
فَقِيـهٌ لَـوْذَعِـيٌّ أَلْمَعِيٌّ ... جَمِيلُ الْوَجْهِ يُلْقَى بِابْتِسَـامِ
ذَكِيُّ الْفَهْمِ ذُو نَسَبٍ شَرِيـفٍ ... لِطَـهَ يَنْتَمِـي خَيْرِ الأَنَامِ[3]
سَخِيٌّ عَـارِفٌ بِاللهِ حَـقّـاً ... لِأَهْلِ الْعِلْمِ يَخْضَعُ ذُو انْسِجَامِ
أَرادَ وَصِيَّـةً مِنِّي وَنُصْحاً ... أَنَـا أَوْلَى بِمَنْ يَبْرِي سَقَـامِي
هَلِ الْمُعْوَجُّ يَـرْجِـعُ مُسْتَقِيماً ... وَهَلْ يُرْوِي عِطَاشاً ذُو أُوَامِ[4]
فَرَاجَعَنِي لِسانُ الْحَالِ مِنْهُ ... بِالْـزَامٍ بِإِسْعَافِ الْمَرامِ / أ - ٢٤
فَقُلْتُ وَإِنَّنِي وَاللهِ عَبْـدٌ ... مُسِيءٌ مُجْرِمٌ مُخْطِي الْمَرَامِ

---

١ المن: مادة شديدة الحلاوة كانت تسقط ابان السحر على أشجار بني اسرائيل. فيجنونها ويأكلونها. (عبد الرؤوف المصري، معجم القرآن القاهرة: مطبعة حجازي ١٩٤٨ م، ج:٢ . ص: ١٩٠) .

٢ على وزن البحر الوافر، المقطوف العروض والضرب .

٣ طه: مرخم من طاهر، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ الاوام: العطش الشديد .

وَسِتْرُ اللهِ جَمَّلَني وَلَـوْلَا   عَظِيمُ الْعَفْوِ كُنْـتُ مِنَ الْهَوَامِ
عَلَيْكَ أَيَا صَدِيقِي في مَضِيقِي   بِتَقْوَى اللهِ - جَلَّ - عَلى الدَّوَامِ
وَحَكِّمْ شَرْعَهُ في كُلِّ شيءٍ   وَلازِمْ ذِكْـرَهُ وَالدَّمْعُ هَـامِ
وَصَمْتاً وَانْفِراداً وَاتِّضاعـاً   وَتَقْلِيلَ الْمَنَامِ مَـعَ الطَّعَامِ
وَأَكْثِرْ بِالصَّلاةِ عَلى النَّـبِيِّ   تَكُنْ في كُلِّ أَمْرٍ كَالْحُسَامِ
بِعِلْمِ الْفِقْـهِ تُدْرِكُ كُلَّ رُشْـدٍ   بِتَمْيِيزِ الْحَلالِ مِنَ الْحَرَامِ
وَرَاقِبْ بِالضَّمِيرِ إِلَـهِ عَرْشٍ   وَنَقِّ الْقَلْبَ مِنْ هَذَا الْحُطَامِ
وَلَا تَجْعَـلْ بِصَـدْرِكَ غَيْـرَ رَبٍّ   عَمِيمِ الْفَضْلِ عَزَّ عَنِ انْعِدَامِ
وَكُنْ في جَوْفِ لَيْلٍ ذَا اجْتِهَـادٍ   بِذِكْرٍ ثُمَّ فِكْرٍ مَـعَ قِيَـامِ
أ - ٢٥ بِذَاكَ الْوَقْتِ تُدْرِكُ كُلَّ خَيْـرٍ   وَتُرْوَى فِيهِ مِنْ صَافِي الْمُدَامِ /
وَتَسْتَخْلِي بِمَحْبُوبٍ عَظِيـمٍ   تُنَاجِيهِ مُنَاجَاةَ الْكِرَامِ
وَتُدْرِكُ مِنْ خَفِيِّ اللُّطْـفِ مِنْـهُ   أُموراً لا تُعَبَّـرُ بِالْكَـلامِ
وَأَسْرَارُ الإِلَـهِ عَلَـتْ وَعَـزَّتْ   لِذَائِقِهَـا هُيَـامٌ في هُيَـامِ
وَهَذِهِ رَشْفَةٌ مِنْ بَعْـضِ بَحْـرٍ   نَمَا لا يَنْقَضِي بَلْ هُوَ طَـامِ
فَبُشْرَاكُمْ وَبُشْرَاكُمْ بِخَيْـرٍ   وَعِزٍّ وَارْتِفَـاعٍ وَاحْتِرَامِ
لَكَ الْعُلْيَـا بِدُنْيَـا ثُمَّ أُخْـرَى   مَقَامُكُمْ عَلى أَعْـلى السَّنَامِ
وَعُـذْراً فَالْعُبَيْـدُ قَصِيرُ بَـاعٍ   قَبُولُ الْعُذْرِ مِنْ وَصْفِ الْعِظَامِ
وَجَائِزَتِي لَـدَيْكُمْ حُسْـنُ ظَـنِّي   وَصَفْحٌ وَالدُّعَـاءُ لَدَى الْخِتَامِ
بِعَفْـوِ اللهِ عَـنْ ذَنْـبِي وَمَـوْتِي   عَلى الإِسْلامِ مِنْ غَيْرِ انْتِقَامِ
وَنَيْلِي كُلَّمَا أَرْجُوهُ مِنْـهُ   جِوارُ الْمُصْطَفَى أُلْقِي خِيَامِي
وَأَنْ أَحْـظَى بِرِضْـوَانٍ عَمِيـمٍ   بِجَاهِ الْمُصْطَفَى بَدْرِ التَّمَـامِ

وما زالت الناس تلقاه بالود، على البعد، وتقدمه في الأعيان، وان لم تره بالعيان، فلما أبصره / خاصة الأمير[١] على هذه الحالة حسدوه، أ - ٢٦
وصاروا ينسبون إليه الفحشاء ونبذوه، ولله درّ شاعر «كِندة»[٢] حيث قال:

وإذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِـــنْ نَاقِـصٍ ... فَهْيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّيَ كَامِلُ[٣]

مع اختيال اليراع في مهرقه[٤]، واحتلال التاج بمفرقه[٥]، إن جـد رايت الطود وقاراً، وان هزل خلته يعاطيك عقارا، فدعوا الأمير[١] إلى رفضه، وسعوا في حل مبرم عهده ونقضه، فكان ذلك سبب خلعه عن سلطانه، واخراجه من أوطانه، بعد أن بقي برهة في قبضة الأمير[١] محبوساً، ولقي من دهره المبتسم عبوسا، واشتدت عليه المحن، وبدت له تلك الاحن[٦]، وكانت له تدبيرات تنفذ من المجن، وتدرك الليل إذا جن، يرسلها إلى الغراب فتصميه، وينكأ[٧] بها القرح فتدميه، فتسنى من الله بها انطلاقه، وانفرجت اغلاقه، ثم من الجزائر انتفى، وقلوب
الخلائق لفقده على شفا، وعاد النهار ليلا، وانقلب السرور ويلا / . أ - ٢٧

---

١ الأمير: هو الداي حسين خوجة الشريف.

٢ هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المعروف بـ «المتنبي» ولد في محلة كندة بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م وتوفي قتيلاً عند عودته من فارس إلى بغداد في شهر رمضان سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م.

٣ البيت من بحر الكامل. التام العروض والضرب.

٤ المهرق - بضم الميم وفتح الراء - الصحيفة يكتب عليها، والكلمة فارسية الأصل.

٥ المفرق: - بفتح الميم وكسر الراء وفتحها - موضع افتراق الشعر من الرأس.

٦ الاحنْ: الاحقاد، واحدها إحنة.

٧ نكأ القرحة: قشرها قبل أن تبرأ، والقرح الجرح، وفي ب: «ينكى».

المقامة الخامسة

في تغريبه من الجزائر
ورجوعه إليها بقدر الحكيم القادر

وكان ذلك أواخر المحرم الحرام، من ذلك العام[1] ، وحيث أنزل من ملك الملك، إلى حضيض الفلك، ناحت السموت[2] لأجله، وكسفت الشموس لفقده، وأعلنت أسواق العقول بكساد الفضائل والمعالي، واستئثار الوضيع على الماجد العالي، ولما ثلّ الدهر عرشه، وأحلّ سواه فرشه، وغرّبه عن أقاربه وأخوانه، ونال من اخماله وامتهانه، علمنا أن من صحب الدهر وقع في أحكامه، وتصرف بين أقسامه، من صحة وسقم، وغناء وعدم، وبعاد واقتراب، وانتزاح واغتراب، عل أن الذي أصابه ثقل علينا – لا عليه – عبثاً، وعظم عندنا لا عنده رزءاً، نسأله – تعالى – أن يجعل هذه الحادثة آخر حوادثه، وأعظم موارثه، حتى يستديم عزه في نعم

أ – ٢٨ سابغة، تنعم باله وخاطره، وتقر عينه وناظره، وتلحظه / خطوب الدهر

---

١ أي: عام ١١١٧ هـ/ ١٧٠٥ .

٢ السموت: مفردها سمت، وهي نقطة من الكرة السماوية واقعة على شاقول (الميزان) فوق الأفق، أو تحت الأفق، وسمت كوكب: الزاوية الحادثة بين سطحي دائرة ارتفاع الكوكب وخط الهاجرة .

وهو منها في حماية مكينة. ودرع من الحماية حصينة. ثم ما زالت الفلك[١] تقطع به مخاوف البحار والنوح[٢] يزجيها[٣] . ودعاء الخلق له بالسلامة ينجيها، حتى وضعته بمدينة طرابلس[٤] . فدخلها وهو من الرجوع آيس، إلى أن ذهب إلى الغوث الفريد. السيد محمد ابن سيدي سعيد، في «المنشية» في موضع يقال له: «أعرض». فلما دخل إليه أقبل عليه وعنه ما أعرض، وحياه بتحية، «فردها بأحسن منها سنية»، وقال: مرحباً بالذي دخل من الباب[٥] ، تسر به الأعداء والأحباب، وتنكب الأعادي باقتراب، والنصر مع سعودك في اصطحاب، فأوقع الماضي موقع المستقبل وشمر عن ساق الجد نحو الطريق إلى أن وصل تونس الخضراء. واجتمع بأصحابه أسود القفراء، فتألفوا في حينهم. وأرادوا الرجوع لوطنهم، فاستنشق أمير الخضراء / خبرهم، ففرق شملهم، قصداً للاختبار. ان هم من أ - ٢٩
الرجال الاحرار، وكان عقله رزيناً، فجمع نمطهم[٦] حينا. ولما رأى مولانا خامل الذكر قد انتكب، ونازلا على تلك الرتب، خاطبه بلسان الحال، لا بالمقال: مثلك - ثبت الله فؤادك، وخفف عن كاهل المكارم ما دهاك، وأذاك -، يلقي دهره غير مكترث، وينازله بصبر غير منتكث،

---

١ الفلك - بضم أوله وسكون ثانيه -: السفن.

٢ النوح: - بفتح أوله - العويل والبكاء بصياح.

٣ يزجيها: يسوقها ويدفعها.

٤ اطرابلس، ويقال لها - أيضاً - طرابلس بدون همزة في أوله: مدينة تقع على البحر الأبيض المتوسط في آخر أرض برقة بالقطر الليبي. (مراصد الاطلاع، ج: ٢، ص: ٨٨٢).

٥ يشير إلى الباب الجديد بأعلى القصبة، وهو الذي دخل منه محمد بكداش فيما بعد. وهذا يعتبر تنبؤاً من محمد بن سيدي سعيد.

٦ النمط: الجماعة من الناس أمرهم واحد.

ويبسم عند قطوبه، ويفل شباة[١] خطوبه، فما هي إلا خمرة[٢] ثم تنجلي، وخطرة[٣] يليها من الصبر الجميل ما يلي، لا جرم أن الحر حيث كان حر، وان الدر برغم من جهله در. ثم ان المولى – أيده الله – قال: ضاق – بالتغرب – ذرعي. واجتث منه أصلي وفرعي. فقال له الأمير المذكور: لا شك اني كنت كلما اردتم الرحيل تصاممت. ونكثت من عرى التلوي[٤]
أ - ٣٠ ما كنت أبرمت. ثم اني علمت أن ذلك القول / كان زوراً.وشى به من غصّ أن يرانا زائراً ومزوراً. فانقشعت تلك المخيلة[٥]. وظهرت العلة الدخيلة. فتعين علي تجديد العهد الرائق. وكف أيدي تلك العوائق.

فأعطاهم الزاد والخيل، وصاروا يكمنون النهار ويسيرون الليل. إلى أن وصلوا للبساتين[٦]. وبقوا يومين متحيلين، وفشا خبرهم في البلاد، فأعمى الله وأصم أهل الفساد، وبقوا كأنهم مقرّنون في الاصفاد، ألم يعلموا: ﴿إنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[٧].حتى أشار صاحب الرأي السديد[٨]، بالدخول صباحاً من باب الجديد، فوقعت الواقعة، وما أدراك ما الواقعة!

---

١ شباة كل شيء حدّه ومن السيف قدر ما يقطع به.
٢ خمرة: غفوة.
٣ خطرة: نكبة.
٤ التلوي: التعويص، يقال: لوى عليه الأمر تلوية عوصه.
٥ المخيلة: المظنة، ومن السحب: المنذرة بالمطر.
٦ أي البساتين التي بضواحي الجزائر.
٧ اقتباس من الذكر الحكيم، سورة «الفجر» الآية: ١٤.
٨ المشير هو محمد بكداش.

المقامة السادسة

في استفتاح الملك صباحا .
وما جرى لأهل الدولة غُدُوًّا ورواحا

كان ذلك في التسعة والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة ثمان عشرة[1] ومائة وألف[2] ، وقد اجتمع من العساكر ما ينيّف على اثنى عشر ألف. واستفتح / الملك يوم الجمعة والناس ينتظرون مجتمعه. فلما أ - ٣١
طلع عليهم بدره بين أنجمه، تأسفوا لقلة وفده. ولم يعلموا أنه اعتمد على قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكم فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾[3] . وما أحقه بقول القائل[4] ، من شعراء الأوائل:

وَمَــا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَــارُنَــا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ[5]

---

١ في الأصل: «ثمانية عشر» .

٢ الموافقة لسنة ١٧٠٧ م .

٣ سورة «آل عمران» . الآية: ١٦٠ .

٤ هو السموأل بن عاديا اليهودي من شعراء الجاهلية في القرن السادس ق.م .

٥ البيت من قصيدة له شهيرة مطلعها :

فلما رأيت ما أخذهم من الذهول، وسمعت شهادتهم بأن وصفه تتحير فيه العقول، أنشدت متمثلا[1] :

اللهُ أكبرُ مِلْءَ شيء حُزْتَهُ ... حتَّى استكَانَ لِأَمْرِكَ الْعُظَمَاءُ
شهِدتْ لَكَ الْأَعْداءُ أنَّك مَاجِدٌ ... والْحَقُّ مَا شهِدَتْ بِهِ الأعْداءُ[2]

وبويع[3] له بالخلافة، وما أعظمها خلافة، وأبو الفتوح صهره الأمير حسن[4]، يفعل بين يديه كل حسن، من الذبّ عنه بسيفه ولسانه،
٣٢ والفتك بمن يروم الخروج عن سلطانه، وهو - أعزه الله - ممن لا يضاهيه / النجم في مراقيه[5]، وان لسعت عقارب السعي جسد الملك كان أحكم راقيه[6]، فأقسم بالله ليعقدن على رأسه من الملك إكليلاً، يرد اللحظ عن سناه كليلا، وليطوعن له شرق البلاد وغربها، وليحملن على طاعته عجم الرجال وعربها. والأربعة الاخرون واقفون بالباب، يمهدون الملك بافصاح خطاب، فمنهم صاحب السيف المحدود، الليث الهمام الحاج محمود، فطالما صال في المضمار وجال، وولّي من يومه أمينا على بيت المال،

• إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل
وهي من بحر الطويل المقبوض العروض المحذوف الضرب .

١ في الأصل: «ممتلا» .

٢ هذان البيتان من بحر الكامل، الصحيح العروض، المقطوع الضرب .

٣ في الأصل: «بيع» .

٤ الأمير حسن: هو صهر محمد بكداش ووزيره. توفي سنة ١١٢٢ هـ/ ١٧١٠ م : قتيلا
Berbrugger: Epitaphe d'Ouzoun-Hassan Le Conquérant d'Ouran en 1708 Revue Africaine, IX P: 122-126).

٥ مراقيه: أحدها المرق والمرقاة بفتح الميم في الأولى، وبكسرها والفتح في الثانية .

٦ الراقي: من يصنع الرقية .

والفتى الأمجد، الحسام المهند، الذي جمع الباس، مع صغر الرأس، وصار وكيلا، وعلى ما يتحصل ويخرج كفيلا، والآخر الذي ما زال يخوض بحار الهلك، حتى تنحى عن خزانة الملك. والذي أفرده الزمان لفخره باللسان، ما لم تعلمه الجوارح، حتى غدا رائح.

ولنذكر ما كان من أمر الشريف[1] ومعشره. واخراجهم إلى بدو
البلاد من حضره[2]، ومن أوقد ناراً صلي بحرها، ومن أسال دماء / الفتنة ٣٣ - أ
غرق في بحرها، وكان حفيده أصلبهم فيها عوداً، وأقبسهم بروقا وأصولهم رعوداً، فلما انجلى ليلها، وتقلص ظلها، وانتشرت الراية وبويع الاجل[3]، وعلموا أن ملكهم اضمحل، وان سعدهم قد أفل، فبروا الاولياء[4] عن عجل، فأتي بالأمير[5] من والي دادا[6]، ولم يشعر أللقتل أم للخلاص انقادا؟ ولما ظفر أمير المؤمنين ببطلهم ومقدامهم، وأخذهم بنواصيهم وأقدامهم وعاقبهم على جرأتهم واقدامهم، جعلهم جميعاً في مركب، ونجاهم اقتحام البحر من العطب، فلما توسطوا لججه، واقتحموا ثبجه[7]،

---

١ الشريف: الداي حسن خوجة الشريف.

٢ الضمير يعود على «البلاد».

٣ في ب: «وبيع» و «الأجل» صفة لمحمد باكداش.

٤ أي: أطاعوهم.

٥ هو الداي حسن خوجة الشريف المخلوع.

٦ أي: من ضريح «والي دادا» المتوفى سنة ٩٦١ هـ (١٥٥٤ م) بالجزائر ودفن بقرب ضريح عبد الرحمن الثعالبي. أصله تركي من مدينة «ازمير» قدم إلى الجزائر زمن قدوم أوائل الأتراك. وما زال ضريحه يزار إلى الآن.

(أ - الحفناوي، محمد. تعريف الخلف برجال السلف. الجزائر: مطبعة فونتانا. ج: ٢. ص: ٦٩.
Klein Henri. Feuillets de G.L. Djazair, Alger, choix, 1937 p. 156-157)

٧ الثبج: - بفتح الثاء والباء -: من كل شيء وسطه ومعظمه ج أثباج وثبوج.

وكسا الليل عاج الموج سبجه[1] ، اضطربت الأمواج، واشتاقت النفوس سلوك الفجاج، فألجأهم الريح إلى قرية يقال لها «دلس»[2] ، وباتوا في ليلهم إلى أن عسعس، فأتت جماعة من البربر بالبنود، وخلّصوهم من القيود، ورفعوهم إلى قرية من قرى زواوة، وارتفعت عنهم الشقاوة، فبقوا هنالك تسعة وثلاثين يوماً / ثم أشرف[3] ، ودفن ضحوة الخميس أواخر ذي الحجة الحرام سنة ثمانية عشر ومائة وألف[4]. فانظر كيف كرّ عليه دهره بخطوبه، وسفر[5] له عن قطوبه، فكدر عيشه بعدما صفا وقلص برده الذي كان ضفا[6] .وكان - رحمه الله - ظاهر الصواب متى نبس[7] طاهر الأثواب من كل دنس، معجزاً ببيانه، موجزاً في كل أحيانه، وبقي الحفيد واثنان من الجند في هوان، وستقف على ما جرى فيهم بالعيان، وتمهد الملك وصفا، وبقيت قلوب الحاسدين على شفا، نحمدك يا من جعل قضايا أميرنا هذا وجودية[8] منتشرة، ورياح نصره مبشرة، ووجوه الدين بها يتيحه الله للملكه المكين مستبشرة، وقدرة عزمه مؤثرة، وصنفات كماله على توحيد جلاله متكثرة، ونهار نصره آياته مبصره .

١ السبج :- بفتح السين والباء - كساء أسود .

٢ دلس: مدينة صغيرة على البحر الأبيض المتوسط بالقطر الجزائري، أسسها معز الدولة بن صمادح والي الأندلس سنة ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م ، بإيعاز الملك المنصور ببجاية (عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزائر : المطبعة العربية، ١٩٥٤ م، ج:١ ، ص: ٣٢٠) .

٣ أي: اشرفت على الموت ودنت منه، والمراد - هنا - أنه قد توفي بالفعل .

٤ الموافقة لسنة ١٧٠٧ م .

٥ سفر : كشف وأبدى .

٦ سبغ، واتسع .

٧ نبس: تكلم، وأغلب كلمة «نبس» تستعمل في سياق النفي، يقال: «ما نبس بكلمة» أي: ما لفظ بها.

٨ وجودية: موجودة وظاهرة للعيان .

المقامة السابعة

في اسمه وأهل مملكته ورسمه / أ - ٣٥

هو أمير المؤمنين محمد بن علي بن محمد، الشريف، الحسني النكداني[١]. ملك رفع للاقمار لواء، وألقى على شمس النهار بهجة وضياء، سارت بمجادته[٢] الاخبار، وحق فيه وفي بداهته الاعتبار، جياد سعوده إلى الغاية القصوى ذات استباق، وأكؤس فتوحه تحثها أيدي اصطباح[٣] واغتباق[٤]، وعقود كرمه ذات انتظام في لبات[٥] العفاة واتساق، وأثر فضله في أقطار البلاد كواكب آفاق، قام سعده، وقعد ضده[٦]

صفته: أبيض اللون طويل القامة، معتدل الهامة، اشهل /[٧] العينين، خفيف الساقين .

---

١ في ب: «النكدلي» .

٢ بمجادته: بمجده، وعزه، وشرفه .

٣ الاصطباح: تناول الخمر في الصباح، ويقال لخمرها الصبوح .

٤ الاغتباق: تناول الخمر في العشي، ويقال لخمرها الغبوق .

٥ لبات: جمع لبة، وهي موضع القلادة من الصدر .

٦ الضد: العدو .

٧ أشهل: يشوب سواد عينيه زرقة .

بنوه: من الذكور - الآن - واحد، في سيرته ماجد، ذكي الفهم، حافظ فوق ما يصوره الوهم، ينطق بمخارج الحروف، وبالحياء والندى موصوف، مستعذب المقاطع[١]، كأنما صور من نور ساطع، أبهى من الظبي الخجل، وأحلى من الأمن عند / الخائف الوجل، يهب عاطراً نشره، ولا يغبّ - حياء - بشره، تجتليه بساما، وتنتضيه حساما، ان وافاك أبرم عقد أخائه. وأعفاك من زهوه وانتحائه[٢]. ماء صفائه وارف يكاد يقطر. وسماء احتفائه واكف[٣] - أبدا - يمطر، وله أدب لو نشر لكان بردا محبرا[٤]، أو تنسّم لهب مسكا وعنبرا.

اصهاره: منهم أبو الفتوح حسن[٥]، الحلو البسن[٦]، طويل النجاد[٧] قوي العزم لا يرده عن أمره راد، أكرم الناس عطاء. وأولاهم حياء، لكنه لم يزل في وجوه الوفود بساما، وفي حومة الحروب عبوسا ومن عداته نقاما، وفي أحكامه رئيسا. ولما صاهر شيخ الجلالة وفتاها، ومبدأ الفضائل ومنتهاها، أكرم سريرته، وحشد سيرته، فصار له كرم كانسجام الامطار، وشيم كالنسيم المعطار، وكان[٨] - قبل - قام زمانا على المدامة معتكفا،

---

١ المقاطع: أواخر الكلمات عند النطق.

٢ الانتحاء: العظمة والكبر والفخر.

٣ واكف: سائل ومنهمر.

٤ البرد المحبر: الناعم الموشى.

٥ هو زوج ابنته ووزيره «حسن أوزن».

٦ البسن: يقال ابسن، إذا أحسنت سحنته، والسحنة: الهيئة واللون.

٧ طويل النجاد: كناية عن طول القامة. والنجاد حمائل السيف.

٨ الضمير: من اسم (كان) يعود على الصهر حسن أوزن. وكلمة «أوزن» - بضم أوله - صفة لـ «حسن»، ومعناها - في اللغة التركية -: طويل القامة.

ولثغور البطالة مرتشفا، لا يغدو إلا ثملا، ولا يروح / إلا بنشوة مشتملا، أ - ٣٧
ثم فاء عن تلك الساحة، واختار تعب النفس عن تلك الراحة، فراح حلف خشوع، وأصبح بين سجود وركوع، ولما زوجه ابنته، أشحذ عدته، وفي ذلك اليوم صرف الزمان عنه صرفه، وغمض عنه الحدثان طرفه، وزفت إليه المعالي أبكارها، واطلعت عليه شموسها وأقمارها، وهزت إليه المدام[1] اعطاف ندّامه[2]، وصار السعد من خدامه، وقد نسك وعفّ، وأمسك عن الشهوات وكفّ، ولم يبق فيه للطرب بقية تقبل أنسا، ولا تستحسن من أجناس اللهو جنسا، فحياه - يوماً - فتى وسيم بكاس طمعا، ان يخرق من توبته ما كان له رقعا، وأطعمه بفتور لحظه حسب أنه يفتنه، وتثور فيه فتنه، فأعرض اعراض زاهد، غير كلف بالمحاسن ولا واجد، وأما أبو الوفا، السيد مصطفى. فسيرته سيرة النبلاء، وشيمه شيم الفضلاء، له بدائع مائسة[3] الاعطاف، مستعذبات الجنى والقطاف، تتنسمها زهر كمام، ويتوسمها بدر تمام، يلقى الناس بابتسام، ويعاملهم بأحسن المرام، وكانت معاملته مع الفقراء والمساكين، / وقضاء حوائج أ - ٣٨
المسلمين، وكرمه منسجم الغمائم، وهممه السامية منذ نيطت عليه التمائم، وأما اخدانه[4] الباقون، فهم بالوقار والسكينة موسمون[5]، وأما لقبه فـ «بكداش»

---

١ المدام: المطر الدائم.
٢ الندام: - جمع نادم - وهو الآسف والتائب.
٣ مائسة: متبخترة.
٤ في ب: «احتانه».
٥ في ب: «مسمون».

الدال المهملة، معناه – بلغة الفرس –: الذي لا نظير له[1] .

وزراؤه: الأربعة الفضلا، الجالسون بازاء المولى، كل واحد موكل بدفتاره[2]، على ما يتحصل ويخرج لداره[3] .

كتابه: الاثنان الفرقدان، اللذان[4] – خلف الوزرا –، يسطران، بما أمرا .

نقش خاتمه: «الواثق بالله العلي، محمد بكداش بن علي» .

ترجمانه: الأصيل الجليل، السيد أحمد المكنى بابن «آقليل» .

قضاته: الأربعة العاملون، الذين هم بالحق فاصلون، منهم أبو علي حسين فارس المنابر، وأستاذ الأكابر، وقيوم البيان، ورئيس علوم / اللسان، وعلامة تفسير القرآن، وحجة النحو / المعضودة بالبرهان، تعرض عليه ٣٩ – أ
أنظار الزمخشري في البيان، فيزيف واهيها، وينبه من الغفلة ساهيها، ويرد إلى الجد – بحسن الاقتباس – لاهيها، ويشظى[5] بدرياق[6] الاشعرية دواهيها، وكل ما يورده من فنون البيان فمحوطة من نحو سيبويه بسياج حصين، مستند من صحة النظر إلى رأي أصيل وعقل رصين،

---

١ قال الجامعي: «وفي بعض الكتب العربية المترجمة من اللغة التركية: ان «بكداش» بمعنى شبيه. (شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ٣٠ . مخطوط خاص) .

٢ الدفتار: السجل .

٣ لداره: الضمير يعود على محمد بكداش، والمراد بالدار – هنا – بيت المال .

٤ في ب: «الذين» .

٥ ويشظى: يفرق، ويبدد، وفي ب: «يشكي» .

٦ الدرياق: لغة في الترياق، وهي مادة تدفع السموم .

محلى من بدائع البديع باسلاك الجواهر ، مبتسماً من ألقابه الحسنة عن مؤنقات أزاهر ، يطرز مجالس أفادته من نوادر الآداب بكل والجة الأذان، دون استئذان .

وكل واقرة في الاسماع، من غير استماع، وكل ثابتة في الصدور ، ملتئمة الاعجاز بالصدور ، وكل ساكنة في القلوب، وافية بالغرض المطلوب، وتمكّن في التظهير لآيات الكتاب العزيز ، وما صدر عن أرباب البلاغة باللفظ الوجيز ، والايضاح لغوامض ما مثل به أهل البديع ، بكل معنى بديع ، من قطعة[1] طائرة بالجناح، / وحديث ثابت المسندات أ - ٠، الصحاح، أو آية موسومة بالاعجاز ، وافية بوعد لا يأتون بمثله بالانجاز ، تتسابق إلى مجلس تدريسه[2] صدور أعلام، وتتضاءل بالنسبة إلى تفهيمه عقول راجحة وأحلام ،وهم يلتقطون فرائده فرادى وأتواما ، ويغتبطون بمجالسة ذاته العلمية اجلالا واعظاما، ويصابحونه ويماسونه توقيراً واكراماً، وما منهم إلا من تقفوه لمّة[3] من الطلبة تلتمس فائدته، وترتقب في المسجد الأعظم ايفادته، فكان أحق المنهومين في الدرجة الفاضلة بالتقديم ، وأولاهم بالتكميل لغرضه الاشرف والتتميم، وإذا ارتقى لصهوات المنابر فهو فارسها الصنديد، وبطلها الكمي غير الهيَّابة ولا الرعديد، وبحرها الملقى إلى شاطئه بمعجب الجواهر ، وروضها المتحف برونق الأزاهر ، فقلما تخلف عن الاستفادة منه نجيب من الطلبه، أو مدرك ظفر من البغية

---

١ من قطعة: الشواهد الشعرية .

٢ في ب: «تدريسه» .

٣ لمّة: جماعة .

بما أمله وفاز من الأمنية بما طلبه، وكلهم يمدون إلى كنوز علومه الجمة
٤١ - أ يدي الافتقار، ويلحظون رتبته / السامية بعين التجلة والوقار، وله في
الآداب غرائب تستجلي، ودرر تستحلى .

ومنهم: أبو زيد عبد الرحمن الأرضي، الشريف المرتضي، وهو ليّن الجانب، محافظ على أداء الواجب، ولي الفتيا، وسلك فيها سبيل أهل العليا، ولم يعدل فيها عما يحمد من مذهبه من الوقار والسكينة، والاستمساك بحبال الديانة المتينة، واجتناب الكبر الذي هو للشريف أكمل الزينه، والتحلي باخلاق المجادة[1] بدورها الثمينة، والاستظهار بالعدالة التي هي ثمرة العقول الرهينة، والجد في مقامات المفاوضة إذا لجـأت النفوس إلى معاقلها الحصينة، وهو في ذلك كله محمود السيرة، متطابق العلنية والسريرة، ميمون السفارة والنقيبة، عائد من الثناء الأجمل بملء الحقيبة، والدول توجب له الحق، وتخوله من حظوتها المستحق. وتجعل متبوأه – يوم الحفل – مشهوداً، وتكرمه غيبة وشهوداً، وتنزله منزلة من آثار الصدق
٤٢ - أ واليقين. وسلك إلى الله سبيل المتقين . /

ومنهم: ابن عبد الله، محمد، بن محمد، بن محمد، بن محمد، المكنى بـ «ابن آقوجيل» الذي حاز الخصل في حلبة السبق، وتجارى معه قضاة أوانه فسلموا[2] له أنه سبق، وهو مقتدر في الطبع على انشاء الرسائل، وتقرير الادلة والوسائل، ويحسن كرائم الظهائر[3]، وتحرير الخطب

١ المجادة: الشرف والمجد .

٢ في ب: «سلما» .

٣ الظهائر: التقارير الرسمية، التي تصدر بأمر من السلطان. وما زالت لفظة «ظهير» تستعمل في المغرب =

التي لا تختفي بها مملوآت السرائر، يقوم على ذلك كله بطبع سيال، وخاطر إلى التمسك بالله ميال، وقريحة قد عتق منها جريال[1].

ومنهم: قاضي العسكر المنصور، حامل لواء الشريعة المنشور، وهو الفقيه الأجل، اللوذعي[2] الاعدل، أبو حفص عمر بن الفقيه العلامة، الدراكة الفهامة، أبو عبد الله سيدي محمد ... التونسي الدار والمنشأ فرع المجادة والاصالة، ووارث السيادة عن كلالة، ملىء حياء وعلما، واتقد ذكاء وفهماً، وضربت الامثال بنباهته، وسارت الرفاق بظرافته، إلى فراسة إياسية[3]، والمعية إلياسية[4]. مع أدب بارع، / وقدم ثنايا المجد أ - ٤٣
فارع، حتى صار مفيد الحكام، وتحفة الأحكام، والمنهل المورود، والمنهج المقصود، والجوهرة اليتيمة، والدرة السليمة، والكنز الذي لا ينفد، وملتقى الابحر التي منها يستمد، وأما أمير المؤمنين فهو الذي بلغت همته في طلب العلم السماء، وجلت أسرته الظلماء، له الرتب المكينة، وعليه الوقار والسكينة، أخرم يراعه العوالي، واستخدم الاحرار والموالي، وأقام بدولة أهل الجزائر وأقعد، وتبوأ سماكها واقتعد، فسما به قدرها، وهمى بسيبه من سماء الفضل قطرها، وحسنت سيرها، وأمّنت غيرها، وحمدت

الأقصى.

١ الجريال، والجريالة: الخمر، أو لونها.

٢ اللوذعي واللوذع: الذكي الذهن، الفصيح اللسان.

٣ إياسية: نسبة إلى إياس بن معاوية قاضي البصرة، اشتهر بذكائه وعدله حتى ضرب به المثل، فيقال: «أزكن من إياس».

٤ إلياسية: نسبة إلى الياس النبي عليه السلام!

أيامها، ووردت جمام[1] الأماني حيامها[2] ، وله أدب غض المقاطف، رطب المعاطف، إن نثر فالنجوم في أفلاكها، أو نظم فالجواهر في أسلاكها، قد أخذ بمجامع القلوب كلمه، وأغذّ في طريق الابداع قلمه، وكيف لا وهو علم البراعة، وقيوم الصناعة، لا أعلم اني لقيت من سن
أ - ٤٤ الطفولة، إلى ما فوق زمان الكهولة أبرع منه في هذه الطريقة، ولا / أقوى شاهداً فيها منه على الحقيقة، جمع النظم والنثر ، والخطابة والشعر ، مجيداً في طريقيهما، سابقاً لفريقيهما، وقلما اجتمع لأحد الاجادة في الفنين، والارتياح من راح[3] الدنين[4] ، فاذا نثر وسجع ، وردّد الفقر ورجع ، وكتب ونكّت، وأجاب وبكت[5] ، وأومأ وأشار ، ونبه وأثار ، وأقام واقعد، وأبرق وأرعد، وصوب وصعد، ووعد وتوعد، ونمق وحبر ، وطبق وعبر ، وأوجز وحرر ، وأصل وقرر ، وأعاد وكرر ، أحرز ذوق ابن أبي الخصال الخصل[6]،

---

١ الجمام : بتثليث الجيم: ما علا راس الميكال فوق طفافه، والجمام - بفتح الجيم - الممتلىء من المكاييل، والمراد به - هنا - الاناء الممتلىء ماء .

٢ الحيام: العطش .

٣ الراح: الخمر ، سميت بذلك لأن شاربها يرتاح بعد شربها .

٤ الدنين: مفرده دن وهو وعاء للخمر .

٥ بكّت: اسكت خصمه بحجج دامغة .

٦ ابن أبي الخصال: هو أبو عبد الله محمد بن مسعود بن الطيب بن فرج بن أبي الخصال الغافقي وزير الأندلس وشاعرها، ويلقب بذي الوزارتين، ولد سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م بقرية «فرغليط» من قرى «شقورة» ونشأ بقرطبة وغرناطة، وأقام مدة بفاس، وحاز قصب السبق في الفقه والأدب حتى قيل: «لم ينطلق اسم كاتب الأندلس على أحد كابن أبي الخصال»، له عدة مؤلفات مفيدة جدا، منها: «ظل الغمامة في مناقب بعض الصحابة» و «منهاج المناقب» و «مناقب العشر» ومجموعة ترسله وشعره في خمس مجلدات، ومن شعره الرقيق - عندما وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه، فحجب عنه :

جِئْناكَ لِحَاجَـةِ الْمَمْطُولِ صَاحِبُهَا ... وَأَنْتَ تَنْعَمُ وَالإخْـوانُ فِي بُـؤسٍ
وَقَدْ وَقَفْنَـا طَوِيلاً عِنْدَ بَابِكُـم ... ثُمَّ انْصَرَفْنَا عَلَى رَأْيِ ابْنِ عَبْدُوسٍ -

وشهر في ميدان البلاغة النصل، وإذا ادعى الامامة ادعى الأصل، وإذا خط واستعمل المد والمط، والبريَ والقط[1]، فالوشي المرقوم، واللؤلؤ المنظوم، والزهر المنضود[2]، والطلح المخضود[3]، والظل الممدود، والحسن لا المحصور ولا المعدود، والابداع الذي لا تقيده الرسوم ولا تحصره الحدود، فافتتنت فيه النواظر، وتهادته الأقلام والمحابر / وتقاصرت عنه اليواقيت والجواهر أ - ٤٥
وسلمت له في الحسن الحدائق اليانعة والأزاهر، ونظرته بعين المقة[4] الشهبان والزواهر، ولولا أن يظن بي الغلو من أولياء غله، ويعتقد في الاغراق في غير محله، لاجدت في أوصافه، على شرط انصافه، ولأغربت في النعوت بحسب نفاسة المنعوت، والأولى الاقتصار على توفية بعض حقوقه، ما لم يؤد إلى عقوقه، والاختصار من التعريف بمقداره، في زمان ابداره[5].

= وابن عبدوس المشار إليه في البيت، هو الوزير أبو عامر بن عبدوس القائل :

لَنَـا قَاضٍ لَـهُ خُلُـقٌ أَقَلُّ ذَمِيمِهِ النَّزَقْ
إذا جِئْنَاهُ يَحْجُبُنَا فَنَلْعَنُـــهُ وَنَفْتَـرِقْ

وقد استشهد ابن أبي الخصال في فتنة المصامدة بقرطبة سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م . (أ - أحمد بن يحيى الضبي، بغية الملتمس، في تاريخ رجال أهل الأندلس . ص: ١٢١ . ب - أحمد المقري، نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، بتحقيق محمد محيي الدين، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٤٩ ، ج: ٤ ، ص: ٢٥٠ - ٢٥١) .

١ القط: قطع رأس القلم عرضا بعد بريه .
٢ المنضود: المضموم بعضه إلى بعض في شكل منسق .
٣ المخضود: المنزوع الأشواك. والطلح: نوع من الأشجار الضخمة لها أشواك ابرية .
٤ المقة: المحبة والمودة .
٥ ابداره: طلوع بدره، وهو كناية عن ارتقائه إلى كرسي الحكم وتسميته دايا .

المقامة الثامنة

في تهنئة الشعراء ومدحهم له ، وتعريف كل واحد بما سطره أو نقله

فأول من راسله بالقصائد السيد يحيى بن أحمد بن أحمد بن محمد ابن أبي القاسم بن أبي راشد وهو العلامة المودود، الكارع في مشرع[1] الفقه لا ممنوع من ذلك ولا مصدود، ولي الكتابة في بني «مولة»، فكانت مطابقة معلولة، مشتركاً في الولاية مع رئيسها سيدي مسعود[2]، مشاطراً له في
أ - ٤٦ الرياسة مع سير - في الرعايا - محمود / ، بعث القصيدة وأجاد في نظامها، وأجال بيد الاغراب[3] عن الاعراب في مراميها، وكشف عن فنون الأدب في الدخول لجامها[4]، وكان له بالشيخ أبي عبد الله محمد المغربي اعتلاق[5] يدعيه، وتلميذاً[6] يزعم - بملازمته له - أن كل ما كان يلقيه له فانه كان يعيه، وان هذه القصيدة من نتائج افادته، ومن

---

١ المشرع: منبع الماء ومورد الشارب .

٢ يوجد ضريحه بـ «المدنيّة» (SALAMBIER) على مقربة جداً من محطة «المصعد» (TELEPHERIQUE). وما زال مقامه يزار إلى الآن .

٣ الاغراب: التقصي والامعان في البحث .

٤ الجام: جمع جامات، وأجوام واجؤم، وجوم، وهي الكاس، والكلمة فارسية الأصل .

٥ اعتلاق: هوية وصحبة صادقة. وكانت وفاة محمد المغربي سنة ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م .

٦ تلميذا: خبر لكان المحذوفة مع اسمها، تقديره: وكان السيد يحيى تلميذا .

بدائع ما حصله بين يديه من استفادته، وإليه كان يعزو صوابه .

وإياه كان يسأل ويتلقى جوابه. ومن هذه القصيدة[١] :

كَمُلَ الْهَنَاءُ وَطَارَتِ الأَهْــوَالُ ... وَأُزِ يحَـتِ الأَحْـزانُ وَالأَوْجَالُ
وَبَدَتْ بُدُورُ السَّعْدِ وَارْتَفَعَ الشَّقَا ... وَتَظَاهَــرَ الإِسْعَادُ وَالإِقْبَــالُ
وَالْخَيْرُ عَــمَّ وَالزَّمَــانُ مُسَاعِــدٌ ... وَدَنَا الْمُنَى وَالْيُمْــنُ وَالإِكْمَالُ
وَالأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ بُــرُوداً حَاكَهَا ... زَمَنُ الرَّبِيعِ الْوَابِلِ الْهَطَّالُ[٢]
وَتَبَسَّمَتْ - فَرَحاً - ثُغُورُ أَزَاهِــرٍ[٣] ... بِمُحَمَّدٍ وَدَنَتْ بِــهِ الأَمَالُ / أ - ٤٧
مَلِكٌ تَفَرَّدَ بِالْكَمَالِ وَلَمْ يَــكُــنْ ... لِكَمَالِهِ فِي السَّالِفِينَ مِثَــالُ
هَتَفَتْ بِدَوْلَتِهِ الطُّيُورُ وَبُشِّــرَتْ ... بِسُعُودِهِ الصُّلَحَاءُ[٤] وَالأَبْــدَالُ
كَرُمَتْ عَنَاصِرُهُ وَطَــابَ نُجَارُهُ[٥] ... وَزَكَتْ لَهُ الأَعْمَالُ وَالأَحْوَالُ
ذُو هَيْبَةٍ مَلأَتْ[٦] قُلُوبَ عُدَاتِهِ[٧] ... فَعَرَاهُمُ دُونَ الأَنَــامِ سَفَالُ[٨]
دَانَتْ لَــهُ الآنَــامُ[٩] طُرًّا مِثْلَمَــا ... دَانَتْ لِلَيْثِ الْغَابَــةِ الأَشْبَالُ
خَضَعَتْ لِسَطْوَتِهِ الْمُلُوكُ وَسَلَّمَتْ ... لِجَلالِهِ الأُمَــرَاءُ وَالأَقْيَــالُ[١٠]

---

١ هذه القصيدة من بحر الكامل، صحيحة العروض مقطوعة الضرب .

٢ الوابل، والهطال: صفتان لـ «زمن الربيع»، و «الهطّال» نعت مقطوع .

٣ أزاهر: صرف لضرورة الوزن .

٤ في ب: «الصلاح» .

٥ النجار - بكسر النون وضمها - الأصل والحسب .

٦ فاعل «ملأت» ضمير يعود على «هبة» .

٧ العداة: مفرده العادي، وهو المعتدي .

٨ السفال: نقيض العلو، والسفالة: النذالة والخساسة، و «الانام» في البيت بقصر الهمزة .

٩ دانت له: مدينة له، و «الانام» بمد الهمزة .

١٠ الاقيال: مفرده قيل - بكسر القاف وفتحها - الرئيس، والأصل فيه هو الملك من ملوك حمير سمي بذلك لأنه إذا قال قولا نفذه ووفّى به .

فَاقَ[1] الْمُلُوكَ الْغالِبِينَ نَدًى كَمَا سَارَتْ بِصِدقِ عَزْمِـهِ الأَمْثَالُ
غَيْثٌ إذا مَـا جِئْتَهُ مُسْتَرْفِـــداً وَافَاكَ مِنْهُ بَشَاشَــةٌ وَنَــوَالُ
تَاهَتْ بِهِ أَرْضُ «الجَزَائِرِ» وَاغْتَدَتْ زَهْواً بِهِ عَنْ غَيْرِهَا تَخْتَــالُ
يَا مَلِكاً فَاقَ الْمُلُوكَ بِأَسْرِهِــمْ[2] فَلَهُ عَلَيْهِمْ رِفْعَــةٌ وَكَمَــالُ
وَسَمَيْدَعاً[3] وَرِثَ السِّيَادَةَ وَالنَّدَى فَإِلَيْهِ صَارَ الْجُودُ وَالإِفْضَالُ
أ - ٤٨ أَظْهَرْتَ رَسْمَ الْعَدْلِ فَاتَّضَحَ الْهُدَى وَصَلُحْتَ فَانْصَلَحَتْ بِكَ الْعُمَّالُ/[4]
خُذْهَا إِلَيْكَ عَقِيلَةً أَهْـدَيْتُهَـــا وَعَلَيْهَا مِنْ حُسْنِ الْبَدِيعِ جَمَالُ[5]
فَافْتَضَّهَا بِكْراً بَدَتْ مِن خِزْرِهَــا فَنِكَاحُ أَبْكَارِ الْقَرِيضِ حَلالُ
دُمْ فِي الإِمَارَةِ ظَافِراً وَمُظَفَّــراً وَلِذَا لَكَ التَّعْظِيمُ وَالإِجْـــلالُ

وهناه النحرير الظريف، أبو عبد الله محمد البونصي الشريف - وهو رجل مليء حياء، وقنى[6] استحياء، وطود سبل ووقار، وروضة يانعة الأزهار، وسمت صفحات المهارق[7] غرره، وانتظمت بلبات المغارب والمشارق درره، ان نطق رأيت البيان متسربا من لسانه، والاحسان منتسباً لاحسانه، حوى العلوم وحازها، وتحقق حقائق العرب ومجازها، وروى قصائدها وأرجازها، وعلم اطالتها وايجازها وهو في الطب موافق العلاج،

---

١ فاق: في ب: «ظهر».
٢ في ب: «بأسرها».
٣ السميدع: ج سمادع، وهو السيد الكريم، والشريف الشجاع، ويطلق أيضاً على السيف الحاد.
٤ العمال: البايات والاغوات، ومن يمت إلى حاشية محمد بكداش.
٥ الشطر الثاني من البيت مختل الوزن.
٦ قنى .. استحياء: يقال قنى الرجل الحياء إذا ألزمه.
٧ المهارق: مفرده مهرق، وهو كل ما يكتب عليه من جلد وغيره ...

واضح المنهاج، وله نظم تزهو به نحور الكعاب، ويستسهل – لدى سماعه – سلوك الصعاب، بقصيدة ان استجليتها استحليتها، وان مقلتها[١]، نقلتها، وهي هذه[٢] :

بِشَارَةُ خَيْرٍ قَـدْ أَتَتْ عَقِبَ الْمَسَـا
بِفَرْقَدِ سَعْدٍ فِي السَّعَادَةِ قَـدْ رَسَـا / أ – ٤٩
فَهَبَّ نَسِيمُ السَّعْـدِ حِـينَ شُرُوقِـهِ
وَمِنْ حُسْنِهِ أَنْ جَـاء ذَا الحي قَـدْ كَسَا
وَقَـدْ ضَحِكَتْ أَزْهَـارُ رَوْضَةِ حَيِّنَـا
تَأَرُّجُهَـا[٣] يَشْفِي الْقُلُـوبَ مِـنَ الأَسَى[٤]
رَبَتْ أَرْضُنَا حَتَّى اضْمَحَلَّتْ كِلاَمُهَا[٥]
/ فَكَمْ مِنْ أَقَـاحٍ / أَنْبَتَتْهَـا ونَرْجِسَا
وَبُلْبُـلُ رَوْضٍ لاِبْتِهَـاجٍ مُسَجِّـعٌ[٦]
عَـلى دَوْحَـةٍ مِـنْ بَانِهِ[٧] مُتَطَوِّسَـا[٨]

---

١ مقلتها: أبصرتها بمقلة عينيك .

٢ القصيدة من بحر الطويل، المقبوض العروض والضرب .

٣ تأرج الشيء: فاحت منه رائحة طيبة، فهو أرج .

٤ الأسى: الحزن .

٥ الكلام: مفرده كلم – بفتح ثم سكون – وهو الجرح، ويجمع – أيضاً – على كلوم، فهو كليم ومكلوم .

٦ التسجيع: مدّ الصوت، وترديده .

٧ البان: نوع من الأشجار يشبه به القدود المعتدلة، والضمير فيه يعود على روض .

٨ متطوسا: متشكلا بشكل الطاووس .

عَلاَنَــا ابْتِهَـاجٌ مِــنْ سُرورٍ بَــدَا لَنَـا
كَأَنَّا لَبِسْنَا بِالْمَسَرَّاتِ سُنْدُسَــا[1]

فنلنا - وَأَيْــمُ اللهِ - كُــلَّ مَسَرَّةٍ
بِصُبْحٍ سَعِيدٍ بِالْهَنَــاءِ تَنَفَّسَــا

وَنَــادَى لِسَــانُ الْحَالِ : أَهْلَ «جَزَائِرٍ»
هَنِيئاً لَكُــمْ طِيبُــوا بِــذَا السَّعْـدِ أَنْفُسَا

أَيَا طَالِــعَ الإِسْعَادِ يَــوْمَ عَــرُوبَــةٍ[2]
وِدَادُكَ أَلْقَى فِي الْفُؤَادِ تَــأَنُّسَا

وَيَا يُوسُـفٌ[3] إِنِّي لَيَعْقُوبُ عَصْرِنَــا
وَقَــدْ فَنَّدُونِي[4] فِي هَــوَاكَ وفِي الأَسَــا[5]

لَقَــدْ كَــانَ مِــنْ عَهْدِ الصِّبَاءِ[6] وِدَادُنَا
تَبَوَّأَتَ[7] مِنْ صَدْرِي الْحَشَاشَةَ[8] مَجْلِسَا

نَفَيْتَ بِأَنِّي لَسْتَ أَنْتَ بِخَاطِرِي
فَحَاشَا وَمَــا ظَنِّي مَقَالُكَ مِنْ جَسَا[9]

---

١ السندس: نوع من الديباج، أو نسيج الحرير، والكلمة فارسية الأصل .

٢ يوم العروبة: - بفتح العين -: يوم الجمعة، وقد وافق هذا اليوم منسلخ ذي القعدة الحرام من سنة ١١١٨ هـ (الموافق لشهر مارس من سنة ١٧٠٧ م)، وهو اليوم الذي تولى فيه محمد بكداش دايا على الجزائر

٣ يوسف: بالتنوين لضرورة الوزن .

٤ فندوني: خطأوني .

٥ في ب: «وقد فندوني من هواك وللأسا» .

٦ الصباء: لغة في «الصبا»، وهو الصغر .

٧ تبوأت: سكنت .

٨ الحشاشة: - بالنصب - مفعول به، وهي بقية الروح في المريض .

٩ جسا: لغة في «جسأ»، بمعنى صلب، وتحجّر، وأعرض، والمراد به - هنا - المعنى الأخير

نَأَيْتَ فَنَاءَتْ مِنْ نَوَاكَ مَسَرَّتِي
وَجِسْمِي كَسَاهُ الْوَجْـدُ بَعْدَكَ أَبْـؤُسَا / أ – ٥٠
أَبَيْتَ فَأَلْفَيْتَ الْعِـدَا بِتَرافُـةٍ
فَجَرَّعْتَهُمْ سُمَّ الأَرَاقِـمِ أَكْؤُسَا
وأَزَحْتَ عَـنْ قَلْـبِي سَقَامـاً أَصَابَـهُ
وَعَـادَ لَـهُ ثَوْبُ التَّنَعُّمِ مَلْبَسَا
فَلَمَّا حَوَانَا عَرْشُ مَجْدٍ حَلَلْتَهُ
وَأَحْسَنَ مَثْوانَـا الإِلَـهُ تَقَدَّسَـا
تَنَفَّسَتِ الصَّعْدَاءَ[1] قَوْمٌ أَذَلَّهُمْ
بِقَهْرِهِ ذُو الْبَطْشِ الشَّدِيـدِ وَأَبْلَسَـا[2]
فَقُلْنَا لَهُمْ : «مُوتُوا – كَمَا قَالَ رَبُّنَا –
بِغَيظِكُمُ» فَالْفَضْلُ عَنَّا تَبَجَّسَـا
فَـلا زِلْـتَ تَسْمُو وَالزَّمَـانُ مُسَاعِـدٌ
وَنَجْمُـكَ مِـنْ سَعْدِ السُّعودِ تَأَسَّسَا
أَيَا صَائِلاً فِي الْمَلْحَمَاتِ غَضَنْفَراً[3]
فَمَـا أَسَدٌ يَلْقَاكَ إِلَّا تَبَرْبَسا[4]

---

١ الصعداء: – بفتح الصاد وسكون العين – المشقة، والتعب، ولعله يريد «الصعداء» – بضم الصاد وفتح العين – وهو التنفس الطويل من ازاحة همّ أو تعب .

٢ ابلس: قل خيره، وكثر شره، والضمير في «ابلس» يعود على ذي «البطش الشديد» .

٣ غضنفراً: أسداً .

٤ تبربسا: مشى مِشيةَ الكلب

لَكَ النَّصْرُ والتَّأْييدُ وَالْعِزُّ وَالعُـلا
وَكُلُّ شُجَاعٍ إنْ رَآكَ تَأَوَّسَـا[١]
لِيَخْشَاكَ كِسْرَى في الْمُلُـوكِ وَقَيْـصَرٌ
وَتَعْلُوهُمَا بَعْدَ الْجَلالِ[٢] تَبَعْنُسَا[٣]
وَمُنْذُ حَلَلْتَ الْمُلْكَ زَالَ عَنَاؤُنَـا
فَلَمْ نَشْكُ - مَـا دُمْتَ - الْكَآبَةَ والأَسَى
أَيَا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ نِلْتَ عَرِيكَـةً
وَيَا قَمَراً إنْ جَـنَّ لَيْـلٌ وَعَسْعَسَـا
وَيَا سَيِّدَ الشُّجْعَـانِ لَيْـثَ أَجَـامِهِـمْ
وَيَا مَـنْ بِتُرْسِ الْمَجْـدِ حَقّاً تَتَرَّسَـا
سَطَوْتَ عَـلى الأَعْـداءِ سَطْوَةَ قَسْـوَرٍ
وَلَمْ تَخْشَ مِـنْ رَيْبِ الزَّمَـانِ تَعَبُّسَـا
تَأَهَّلْتَ لِلْمُلْكِ الَّذِي عَـزَّ قَدْرُهُ
جَلَيْتَ[٤] بِإِشْرَاقِ الشَّرِيعَةِ طِرْمِسَا[٥]
فَأَشْرَقَ نُـورُ الْحَقِّ بَعْدَ خَفَائِـهِ
وَقَـدْ خَابَ[٦] مَنْ زَاغَ الْهُدَى وَتَنَكَّسَا

---

١ تأوسا: هكذا في النسختين. ولعله «تهوسا».
٢ الجلال: في ب: «انجلال».
٣ تبعنسا: هكذا في النسختين. ولعلّها من بَعْنَسَ الرجل اذا ذلَّ بخدمة أو بغيرها
٤ هكذا في النسختين. بمعنى «جلوت» بالواو.
٥ الطرمس: الظلمة الشديدة.
٦ في ب: «خاء».

فَإِنْ قِيلَ أَحْيَا الشَّرْعَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ
فَقُلْ ذَاكَ فَجرٌ قبْل شَمْسٍ تَقَبَّسَا / (١)

فَذَا شَمْسُ إِكْلِيلِ الْمُلُوكِ بِأَسْرِهِمْ
وَمِنْ عَهْدِ سَامٍ لَمْ تَفُقْهُ وَمَا عَسَى(٢)

فَإِنْ لَامَنِي فِيهِ الْوُشَاةُ أَجَبْتُهُمْ
أَلا إِنَّكُمْ فِي هَفْوَةٍ مِنْ دُجىً غَسَا(٣)

وَلَوْ أَنَّهمْ يَدْرُون - تَاللهِ - مَجْدَهُ
لَعمْرَ كُلٌّ بِالْمَمَادِحِ أَطْرُسَا

عَلى أَنَّهُ طَوْدُ الْحُرُوبِ تَهَابُهُ
أُسُود إِذَا مَا الْحَرْبُ حُمَّ وَأَوْطَسَا (٤)

وَذُو حُظْوَةٍ مِنْ قَبْلِ ذَا وَمَكَانَةٍ
غَضَنْفَرُ غِيلٍ(٥) فِي الأَنَامِ تَأَنَّسَا

تَدَرَّعَ حِلْماً وَارْتَدَى بِجَلالِهِ
وفي كَنَفِ الإِلْطَافِ لا زَالَ مَحْرَسَا

أَدِيبٌ أَرِيبٌ ذُو حَيَاءٍ وَعِفَّةٍ
سَخِيٌّ كَرِيمُ الطَّبْعِ وَدْقٌ تَبجَّسَا(٦)

---

١ تقبسا: أضاء.
٢ أي: وما عسى الملوك أن تفقه.
٣ غسا: اشتدت ظلمته والمراد به - هنا - الليل.
٤ أوطس: اشتدت وتلاحمت فيها الأبطال. وقد ذكر «الحرب» مع أنها مؤنثة.
٥ الغضنفر: الأسد، والغيل: الأجمة التي تسكنها الأسود.
٦ ودق تبجّس: مطر هطل.

تُوَافِيكَ – مُـذْ تَلْقَاهُ مِنْهُ – بَشَاشَةٌ
/ وَطَلْـقٌ مُحَيَّاهُ الْعَجِيبُ تَـأَنَّسَا
فَمَحْمُودَةٌ(١) أَوْصَافُـهُ وَمُحَمَّـدٌ
لَـهُ عَلَمٌ مِنْـهُ الْجِنَاسُ تَجَنَّسا
حَيِيٌّ بَهِيُّ الْوَجْنَتَيْنِ تَخَـالُهُ
هِـلالاً إذَا جَـنَّ الظَّلامُ وَغَلَّسا
أَطَـالَ إِلَـهُ الْعَرْشِ مُدَّتَهُ الَّتِي
تُؤَنِّسُ مِسْكِينـاً وَتَـرْحَمُ آيِسا(٢)
وَإِنِّي لأَرْضَى أَنْ تُمَـدَّ حَيَاتُهُ
بِبِضْعِ حَيَاتِي مَا أَنا مُتَطَيْلِسَا(٣)
وَمَـنْ لامَـنِي فِي مَدْحِنَـا لِأَمِيرِنَا
فَأَرْقَمُ أَعْمَى فِي لِسَانِـهِ قَـدْ لَسَـا(٤)
فَدُونَكَهَا(٥) عَـذْرَاءَ بِكْراً تَخَالُهَـا
عَلَيْهَا دِيبَاجُ الْحُسْنِ خزًّا مُـوَرَّسَـا
وَثَمَّ صَلاةُ اللهِ بَعْـدَ سَلامِــهِ
عَلَى الْمُصْطَفَى مَـا جَـنَّ لَيْلٌ وَحَنْدَسَا(٦)

١ في جميع النسخ: «محمودة» وزيادة الفاء من قلمنا ليستقيم الوزن .
٢ في ب: «موسا» .
٣ متطيلسا: لابساً الطيلسان، وهو كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء، لا سيا الأعاجم .
٤ الارقم: أخبث الحيات، و «لسا»: أكل أكلاً خفيفاً، والمراد بالأكل – هنا – اللسع .
٥ في ب: «فهاكها عذراء بنت بكر تخالها» .
٦ حندس: اظلم .

وَأَصْحَابِـهِ وَآلآلِ طـرًّا يَنَالَهُمْ
مِـنَ اللهِ رِضْوَانٌ صَبَاحـاً وَفي مَسَــا

ومنها الشريف الأصلي، ابراهيم القنيلي. وهو رجل حصيف العقل صحيح النقل، راجح الحلم، راسخ العلم، تام الادراك نافذ الفهم، مصون الظن عن ملابسة الوهم، إذا حبر الرسائل، وأجرى دمع الحبر السائل، أو نظر المسائل، وأجاب بمطلوبه السائل. فالحدائق فتحت أزاهرها / ، أ - ٥٣ والزواخر[١] أوفدت على شاطئها جواهرها، وإذا نظم القريض، ونزه عن الزحاف الاعاريض، فالماء القراح، والاري[٢] المنشور والراح ، والانس الذي نتيجته الافـــراح ، والمعهد الذي طاب منه المغدى والمراح. والقلائد التي تطابق فيها المعنى الصحيح واللفظ الصراح، وله منظومات معجبة في فنون العلم أحكمها، وأبرز في صون تأليف محكمها، وكانت له قوة في الالغاز والاحاجي[٣] ، يستطيع بها النفوذ ممن يحاجي[٤] ، ويرفع بها الاشكال عمن يغالط في سبيل النباهة ويداجي[٥] . ويعتقد فيه الاستقصار لنظر المناجي، وكان كثيراً ما يخاطب بها صاحب الاود[٦] ، وخلاصة الاجد[٧] ، أمير المؤمنين بالدار السلطانية ووقعت بينهما في هذا الفن

---

١ الزواخر : البحور .
٢ الأري : العسل .
٣ الأحاجي : مفرده احجية، وهو الكلام المغلق .
٤ يحاجي : يغالبه في الحجى ، أي : في العقل والفطنة .
٥ يداجي : يداري ، ويخفي مراده .
٦ الأود : - بفتح الهمزة والواو - : الكد والتعب ، والحمل الثقيل ، ويراد به - هنا - حمل الرئاسة ، وصاحب الأود ، هو محمد بكداش .
٧ الاجد :- بضم أوله - القوة والعزيمة .

طرق تستلمح، فتستلقح. وتحف تستقبل، فتستنبل، وأعاجيب تستلحظ، فتستحفظ. وهذا نظمه الرائق، الذي أزهرت من معانيه الحدائق[1] : / أ - ٥٤

أَحْمَدُ اللهَ في ابْتِدَاءِ نِظَامي ... مَادِحـاً لِلأَميرِ فَخْـرِ الزَّمَانِ
وَصَلاةُ الإِلَـهِ ثُمَّ سَـلامٌ ... لِمُحَمَّدٍ صَاحِبِ الإِحْسَانِ[2]
وَعَلى آلِـهِ وَأَصْحَابِهِ مَـا ... دَامَ في الأُفْقِ يَطْلُـعُ الْقَمَرانِ
طَابَ شُرْبُ الْمُدَامِ في الْبسْتَـانِ ... بَيْن رَوْضٍ وَجَـدْوَلٍ وَأَغَـانِ
وَأَقَـاحٍ يَبْدُو بِثَغْـرٍ نَضيـدٍ ... قَدْ حَكَى جَوْهَراً بِجيدِ الْحِسَانِ
وَخُـزَامَى وَنرْجِـسٌ وَوُرُودٌ ... أَبْيضُ سَاطِـعٌ وَأَحْمَرُ قَـانِ
فَـاحَ نَشْرُ الرِّيَاضِ مِسْكاً فَتيقـاً ... عَنْبراً طَيِّباً فَأَحْيَـا جَنَـاني
أُنساً بِالْهَـزَارِ يَشْـدُو بِشِعْـرٍ ... رَائِـقٍ مُتْقَـنٍ عَـلى الأَلْحَانِ
بُلْبُلٌ مُطْرِبٌ يُجيبُ غِنَـاهُ ... بِلَذيذِ الْغِنَـاءِ طَـابَ لِغَانِ[3]
فَانْثَنَى الْغُصْنُ في الرِّيَاضِ غِرَاساً ... مِنْ نَسيمِ شَذَاهُ في الأَكْـوَانِ
قَدْ كَسَا سُنْدُساً وَقَلَّدَ دُرّاً ... جيدَهُ الطَّلُّ زَاهِرَ الأَرْدَانِ
أ - ٥٥ شِم[4] تَـرَ نِرجِساً رَنَـا بِلَحَاظٍ ... مِثْلَ خَـدٍّ الشَّقِيـق والسَّوْسَانِ
فَهوَ مِـنْ شَوْقِهِ إِلَيْهِـمْ تَـراهُ ... سَائِلاً دَمْعُهُ طُـولَ الأَحْيَانِ[5]
إِنْ تَسَلْ عَنْ سَحابٍ نَدٍّ وَعُـودٍ[6] ... قَدْ زجي فَوْقَنَا بِأَحْلى مَكَـانِ
لَؤلُؤٌ طَلُّـهُ وَأَطْيَبُ مَـاءٍ ... مِنْ وُرُودِ الرِّياضِ لِلإِنسانِ

---

١ القصيدة من بحر الخفيف الصحيح العروض والضرب .
٢ الشطر الثاني من البيت دخله التشعيث .
٣ الغاني: من استغنى بالمال، وهو الغني .
٤ شم: من شام يشيم، أي: نظر، وفي الشطر الأول من البيت اختلال في الوزن .
٥ في ب: «من الأجفان» .
٦ «الند» و «العود» ضربان من الطيب يتبخر بهما، و «السحاب»: الدخان المتولد عنهما عند التبخير .

وَنَدِيمٌ يَشْدُو بِشِعْرٍ رَقِيقٍ ... فَوْقَ رَوْضٍ بِرَنَّةِ الْعِيدَانِ
نَحْنُ فِي رَوْضَةٍ أَدَرْنَا كُؤُوساً ... مِنْ مَدَامِ الْهَوَى مَعَ الْإِخْوَانِ
نِعْمَةٌ لَوْ تُبَاعُ كَانَ قَلِيلاً ... حَقُّهَا فِي الْوُجُودِ لِلْأَعْيَانِ
خَمْرُنَا لَفْظُنَا بِأَحْلَى حَدِيثٍ ... فِي مَدِيحِ الْأَمِيرِ قُطْبِ الزَّمَانِ
اسْمُهُ مُحَمَّدٌ بِ«بَكْدَاش» لُقِّبَ[1] ... مَعْدِنُ الْفَضْلِ زَائِدُ الْعِرْفَانِ
الْإِمَامُ الْهُمَامُ مَنْ فَاضَ بَحْراً ... مِنْ عُلُومِ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ
جَاهِدٌ فَاضِلٌ نَسِيبٌ شَرِيفٌ ... أَجْهَدُ الْجَاهِدِينَ لِلْوَهْرَانِي[2]
ذُو حَيَاءٍ وَعِفَّةٍ وَسَخَاءٍ ... وَوَفَاءٍ وَصِدْقِ نُطْقِ لِسَانِ
لَوْ تَرَاهُ وَقَدْ بَدَا كَقَضِيبٍ ... عَمَّهُ الْحُسْنُ عَاطِرُ الْأَرْدَانِ / أ - ٥٦
قَدْ بَدَا فَوْقَهُ مُحَيَّاهُ بَدْراً ... نَيِّراً مُشْرِقاً عَلَى الْأَكْوَانِ
قَدْ هَدَى فَاهْتَدَى لِأَقْوَامِ رُشْدٍ ... وَهْوَ فَرْدُ الزَّمَانِ وَالْأَقْرَانِ
مَنْ نَدَاهُ عَلَى الْأَنَامِ كَقَطْرٍ ... سَحَّ مِنْ كَفِّهِ عَلَى الْأَزْمَانِ
شَمْسُ عِرْفَانِهِ أَنَارَتْ قُلُوباً ... بَعْدَ إِظْلَامِهَا مِنَ الْعِصْيَانِ
فَاهْتَدَى مَنْ هَدَاهُ رَبِّي صِرَاطاً ... فِيهِ قَدْ قَادَهُ لِأَعْلَى الْجِنَانِ
أُمَّ بَابَ الْوَلِيِّ «بَكْدَاش» يُدْعَى ... نُورُهُ قَدْ بَدَا بِأُفْقٍ يَمَانِي[3]
قَدْ بَدَا فِي الْعُيُونِ أَبْهَى جَمَالٍ ... وَجَلَالٍ فَكَمْ لَهُ مِنْ شَانِ
هُوَ شَمْسُ الْهُدَى أَنَارَتْ بِشَرْقٍ ... ثُمَّ فِي الْغَرْبِ قَدْ سَرَى مُذْ زَمَانِ

---

١ الشطر الأول من البيت مختل الوزن .

٢ الجاهد: من يسهر الليالي من أجل عبادة الله، ويطلق أيضاً على المجاهد لاعلاء كلمة الله . والوهراني: هو سيدي محمد الهواري دفين وهران والمتوفى بها سنة ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩ م، (محمد بن مريم، البستان، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر: المطبعة الثعالبية، ١٩٠٨ م، ص: ٢٢٨ - ٢٣٦) .

٣ يماني: نسبة إلى اليمن، لأن في القديم كان اليمن منبع الحكمة والعرفان، وفي ب: «بالأفق يمان» .

وَاجِبٌ مَدْحُـهُ عَلى الناسِ طُرًّا   عَمَّهُمْ بِشْرُهُ مَعَ الإِحْسَانِ
فَاقَ كُلَّ الأَنَـامِ حِسًّا وَحُسْنـاً   وَكَمَالاً فَيالَـهُ مِـنْ شان !
إنْ بَـدَا وَجْهُـهُ يُنِـيرُ ضِيَـاءً   قُلْتُ: بَـدْرٌ عَلى قِوَامِ الْبَانِ[1]
أَوْ بَـدَا في الظَّـلامِ عَادَ كَيَـومٍ   أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ عَلى الأَكْوَانِ /
قَـدْ حَمَى قَلْبَـهُ وَطرفـا حَـوَاهُ   عَنْ نَعيمٍ يَزُولُ أَوْ في الْجِنَانِ
قَـدْ حَبَاه الإِلَـهُ أَعْلى مُنَـاهُ   إِذْ يَرَى عَبْدَهُ فَنَـالَ الأَمَاني
هِمَّـةٌ قَـدْ سَمَتْ لأَعْلى مَقَـامٍ   كَمْ ثَنَى دُونَهُ عِنَـانَ حِصَانِ
عَالِمٌ فَاضِلٌ يُرُوقُكَ مِنْـهُ   إنْ بَـدَا لَفْظُهُ رَقِيـقَ الْمَعَاني
في عُلُومِ الجَمِيلِ[2] يُنْبِئْكَ[3] دَأْباً[4]   كَم جَلَا مُشْكِلاً بِأَحْلى بَيَـانِ
يَقْطَعُ اللَّيْـلَ ذَاكِـراً وَرُكُـوعـاً   يَدْعُو رَبًّا حَبَـاهُ بِـالْقُـرْآنِ
فَيْضُ جُودِ الإِلَـهِ يَغْشَـاهُ دَأْبـاً   وَسُرُورٌ مُضَاعَفٌ هُوَ ثانِ
رَحْمَـةٌ لِلأَنَـامِ عَمَّـتْ وَجَلَّـتْ   كَمْ جَلَتَ ظُلْمَةً مِن الْعِصْيَانِ
أَنْتَ أَحْلى مِـنَ الحَيَاةِ لِجِسْمِـي   وَوِصَالٌ لِعَاشِقٍ مُتَفَانِ
ثُمَّ أَحْـلى مِـنَ النَّعِـيمِ مَقَامـاً   في رِيَاضِ الْجِنَانِ مَعْ وِلْدَانِ
فُقْتَ مَـاءً مَـعَ النَّسِيمِ بِظِـلٍّ   وَسْطَ رَوْضٍ لِسَائِـرٍ ظمـآنِ
كُلَّ يَوْمٍ أَرَاكَ تُبْـدِي جَمَـالاً   وَكَلامـاً يَطِيبُ لِلاذانِ /

---

١ البان: شجر معتدل القوام .

٢ لعلّه يريد علوم القرآن، من تفسير وقراءات، أو يريد بـ «الجميل» النبي ﷺ ، وعلومه أحاديثه المروية، وأفعاله المتبعة والله أعلم بحقيقة المراد .

٣ ينبئك : بالجزم لوقوعه جواباً لأن الشرطية في البيت الذي قبله .

٤ دأبا: دائماً باستمرار .

يَا إمَامَ الانَامِ هَلْ أَنْـتَ تَـدْري ... باكْتِآبِ الْكَئِيبِ وَالْحَيْـران
كَيْفَ يَحْلُو لِطَرْفِ عَيْـنِي مَنامٌ ... وَقُلَيْبِي يَطِيرُ بالْخفقَان
مِثْلَ رَبْعٍ أَبْكِي عَلَيْـهِ انْتِحَاباً ... بدُمُوعٍ تَفِيضُ كَالْغُدْرَان
أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي قَد حَبَاهُ ... رَبُّـهُ بِالْهُدَى مَـعَ الإحْسَان
هَلْ تَرَى مَنْ أَتَى لِبَابِكَ يَـرْجُـو ... مِنْ نَوالٍ يَفِيضُ كَالطُّـوفَـان
دَعْـوَةً قَـدْ أَنَـاخَ عِنْـدَكَ فِيهَا ... رَحْلَهُ قَلْبُـهُ عَـلى النِّيـرَان
مِنْ غَـرامٍ أَلَـمَّ فِيـهِ بِشَـوْقٍ ... زَائِـدٍ وُجْـدُهُ إلى الأَوْطَـان
أَنْـتَ مَاشَيْتَـنِي بِبَـابِـكَ يَوْمـاً ... خَاضِعاً بَاكِيـاً لِمَا قَدْ عَـرَاني
أَيُّهَا السَّيِّدُ الْجَلِيلُ رُوَيْـداً ... كَيْفَ تَرْضَى إيـابي بِالْحِرْمان
أَنْـتَ نُـورٌ وَرَحْمَـةٌ وَسُـرُورٌ ... صَاغَكَ اللّهُ بُغْيَـةَ الإنْسَان
إنَّ لي حَاجَـةً لَـدَيْـكَ زَمَـاناً ... / كَمْ أَرَاهَا[1] / تَذُوبُ بِالنِّسْيَان
نَبْتَغِي قُرْبَكُمْ جَمِيـعَ الزَّمَـانِ ... لِنَرَى وُدَّكُمْ وَيُجْلَى كَمَاني / [2] أ - ٥٩
مَا تَرَى مَا اعْتَرَى فُؤادِي وَجِسْمِي ... مِـنْ خُمُولٍ وَأَعْظَم الأَشْجَان
وَاكْتِآبٍ وَلَوْعَـةٍ وَغَـرامٍ ... طَارَ قَلْبِي بِهَا إلى الأَذْهَان[3]
حَاشَا لله أَنْ تُخَيِّبَ عَبْـداً ... خَاضِعاً بَاكِياً عَـلى الإخْـوَان
مِنْ غَرامٍ لَوْ حَلَّ مِثْلُـهُ طَـوْداً ... دُكَّ ذَا الطَّوْدُ - سَيِّدِي - بعِيَان
كَيْفَ يَحْلُو لَـهُ الْمَنامُ بِلَيْـلٍ ... يَرْعَى فِيهِ النَّجْمَ[4] في النِّيرَان

١ «كم أراها»: ساقط من ب .
٢ الكمان: السكة التي يحرث بها الأرض، وجلاء الكمان كناية عن الغنى .
٣ في ب: «به إلى الأوان» .
٤ في ب: «النجوم» .

لَوْ تَرَانِي عَلى الْفِرَاشِ عَلِيلاً — طَارَ أَحْلى الْمَنَامِ مِنْ أَجْفَانِ
إِي ! وَحَقِّ الإِلَـهِ مَا لَكَ مِنِّي — سَيِّدِي – رَحْمَةٌ تَرِقُّ لِشَانِ
كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْكَ أَمْرِي وَحَالِي — ذُبْتُ مِنْ حِرْقَتِي فَلَسْتُ أَرَانِي
عَادَ شِعْرِي بِمَا مَدَحْتُكَ دُرًّا — أَخْجَلَ الْبَدْرَ زَائِدَ اللَّمَعَانِ
طَابَ لَفْظاً إِلى الْقُلُوبِ كَمَاءٍ — مُعْرَباً مُتْقَناً رَقِيقَ الْمَعَانِي
كَيْفَ لا سَيِّدِي وَمَدْحُكَ[1] يَحْلُو — مَعَ مَرِّ الزَّمَانِ لِلإِنْسَانِ

ولـه أيضاً[2] : /

لَكَ الْحَمْدُ يَا مَنْ أَدْخَلَ الأُمَرَاءَ فِي
قِبَابِ مُخَدَّرَاتِ[3] فِيهَا نَصِيبُ
وَعَاطِرَةِ الأَنْفَاسِ أَمَّا قِوَامُهَا
فَغُصْنٌ وَأَمَّا رِدْفُهَا فَكَثِيبُ[4]
مُوَرَّدَةِ الْخَدَّيْنِ كَالْبَدْرِ وَجْهُهَا
بَدَا تَحْتَ لَيْلٍ مَا أَرَاهُ يَغِيبُ
أَدُرٌّ – بِفِيهَا مَا أَرَاهُ – مُنَضَّدٌ
حَوَاهُ عَقِيقُ الْمَرْشَفَيْنِ شَنِيبُ[5]

---

١ في ب: «بمدحك».

٢ القصيدة من البحر الطويل المقبوض العروض المحذوف الضرب.

٣ حذف التنوين من «مخدرات» ليستقيم الوزن.

٤ الردف: - بكسر الراء - آخر كل شيء، ويراد به - هنا - عجز المتغزل بها. الكثيب: التل من الرمل.

٥ العقيق: خرز أحمر، ويراد به - هنا - اللحم الماسك للأسنان، الشنب: شدة بياض الأسنان.

حَلَتْ وَتَحَلَّتْ بِالْجَمَالِ عُقُودُهَا
إِذَا مَا رَأَتْ بِالْمُقْلَتَيْنِ تُصِيبُ(١)
رَنَتْ وَانْثَنَتْ كَالْغُصْنِ (عِنْدَ مُيولِهِ)(٢)
غَدَتْ وَاغْتَدَتْ ذَاتَ الْجَمَالِ رَبِيبُ
لَهَا مُقْلَةٌ حَوْرَاءُ حِرْتُ بِوَصْفِهَا
عَلَى وَجْنَةٍ فِيهَا الشَّقِيقُ خَضِيبُ(٣)
وَنُونَانِ فَوْقَ الْمُقْلَتَيْنِ تَقَوَّسَا
عَرَانِي غَرَامٌ مِنْهُمَا وَلَهِيبُ
وَغُرَّتُهَا الْغَرَّاءُ غَرَّتْ بِنُورِهَا
غَرِيباً غَدَا فِي الْعِشْقِ كَادَ يَذُوبُ
إِذَا مَا مَشَتْ تَخْتَالُ مِنْ فَرْطِ عُجْبِهَا
بِقَامَتِهَا الْهَيْفَاءِ كَيْفَ أَتُوبُ / ؟! أ - ٦١
تَعَاظَمَ وَجْدِي إِذْ بَدَا بِخُدُودِهَا
نُضَارٌ عَلَى أَصْفَى اللُّجَيْنِ مَشُوبُ(٤)
شَمَائِلُهَا فِي الْعَقْلِ أَسْرَى مُدَامَةً
شَذًى قَدْ حَوَى فُوهاً فَأَرَّجَ طِيبُ(٥)

---

١ تصيب: تؤثر في من نظرت إليه فتصيبه بسهم لحظها الفتاك .

٢ في ب: «رنت وانثنت الغصن إذ بدت» .

٣ حوراء: شديدة البياض والسواد، الشقيق: ضرب من النبات شديد الحمرة، ويقال له أيضاً «شقائق النعمان» .

٤ النضار: الذهب الخالص، اللجين: الفضة والكلمة ملازمة للتصغير .

٥ اسرى مدامة: أسرع من سريان المدامة في العقل، والمدامة - بضم أوله -: الخمر، الشذا: قوة ذكاء الرائحة، الفوه: نوافح الطيب .

وَأَطْيَبُ مِن ذَاكَ الَّذِي أَنَا ذَاكِرٌ
مَدِيحي مولى لِلأَنَامِ حَبِيبُ
إمَامٌ جَلِيلٌ جَلَّ في الْخَلْقِ قَدْرُهُ
كَرِيمٌ لَهُ في النَّائِبَاتِ أُنِيبُ
حَبِيبي أبو الْفَتْحِ مُحَمَّد فَضْلُهُ
عَزِيزٌ جَنَابٍ قَدْ حَوَاه رَحِيبُ
عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الْقُلُوبِ مُنَبِّئاً
عَنِ الْغَيْبِ فِيمَا قَالَهُ فَيُصِيبُ
يَحُلُّ رُمُوزَ الْمُشْكَلاتِ بِسُرْعَةٍ
بِأَيِّ عُلُومٍ إنْ تَسَلْهُ يُجِيبُ
رَحِيمٌ رَؤُوفٌ فَاضِلٌ مُتَوَاضِعٌ
سَخِيٌّ شُجَاعٌ لِلْقُلُوبِ طَبِيبُ
إذَا جَاءه الْمَلْهُوفُ عَادَ بِسُؤْلِهِ
وَكَمْ في حِمَاهُ طَالِبٌ وَغَرِيبُ
وَفِي وَجْهِهِ الأَسْنَى الْكَرِيمِ مِنَ الْوَرَى
سُرُورٌ وَنُورٌ لا عَرَاهُ قُطُوبُ ![1]
يَسِحُّ نَدَاهُ كُلَّ يَوْمٍ براحَةٍ
سَحابٌ حَكَاهُ في الْوُجُودِ سكُوبُ

---

١ «لا عراه قطوب»: جملة دعائية.

تَعَطَّرَتِ الأَرْجَاءُ مِنْ عَرفِ نَشْرِهِ
وَعَمَّتْ عَلى الآفَاقِ مِنْهُ هُبُوبُ / أ - ٦٢
نَهَارٌ بَدَا كَالشَّمْسِ يَسْطَعُ نُورُهُ
وفي اللَّيْلِ مِنْ بَدْرِ التَّمَامِ يَؤُوبُ

تَرَى النَّاسَ سَرْعَى يَسْأَلُونَ بِجَاهِهِ
إذا نَالَهُمْ ضَيْمٌ وَزَادَ خُطُوبُ
حَوَى الْمَجْدَ عَنْ آبَائِهِ وَعَلا بِهِ
وَلِيٌّ عَلى ذِكْرِ الإلَهِ طَرُوبُ

فَكَمْ فَكَّ مِنْ أَمْرٍ تَعَاظَمَ شَأْنُهُ
«جَزَائِرُ» عِنْدَ الأَوَّلِينَ صَعِيبُ
وَقُطْرٌ حَوَاهُ فَهْوَ لِلشَّمْلِ جَامِعٌ
فَبَاهَى عَلَى كُلِّ الْبِلادِ خَصِيبُ

لَهُ الْمَجْدُ في أُفُقِ السَّمَاءِ مَنَارُهُ
تَسَامَى عَلى كُلِّ الانَامِ حَسِيبُ
وَشِعْرِي بِهِ دُرٌّ تَلأْلأَ نُورُهُ
عَلى جِيدِ ذَاتِ الْحُسْنِ ذَاكَ عَجِيبُ

تَيَسَّرَ كَالْمَاءِ الزُّلالِ لِسَائِغٍ
وَكَمْ حَارَ فِيهِ شَاعِرٌ وَأَدِيبُ
وَذَاكَ بِحَمْدِ اللهِ مِنْهُ كَرَامَةٌ
تَحَقَّقَهَا صَاحِبِي فَلَسْتُ أُرِيبُ

وكاتبه – مادحاً، ومستعطفاً، برسالة، وقصيدة – أبو عبد الله محمد، ابن محمد القالي – شفاه الله تعالى من مرضه المتوالي – يشكو له من
أ – ٦٣ الألم، وما أصابه من الدهر حين / كرّ عليه بخطوبه وألم، فجعل له أمير المؤمنين خراجا من سبل الخيرات، .يعالج به داء النكبات، فجزاه الله خيراً من أمير، يعرف قدر البائس الفقير، ونصّ الرسالة التي كاتبه بها وأبدع في انشائها، وهي :

الحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد كل منهما يتوالى، وعلى آله ومن تبع ووالى، حمدا لله تعالى أجمل ما تزينت بـه الطروس، وتجملت به الاسطار، وثناؤه جل جلاله أفضل ما لهجت[1] به النفوس، وعمرت به الأفكار، وهو القديم الذي لا تغيره الحوادث ولا تلحقه الاغيار، ولا تحيط به العقول ولا تدركه الأبصار، فله الحمد على ما ألهمنا إليه من علاء[2] شأنه وحمده، وله الشكر على ما اولانا من سوابغ آلائه ورفده، حمداً وشكراً كما يجب بجلاله، وكما يحق لمجده وكماله، وكما ينبغي لذاته العالية من التعظيم والاكبار، جلّ الله تعالى
أ – ٦٤ مالك الملك، ومقيم قسطاس العدل بما أراده من اغراس[3] السيادة في الترك، ومطلع اقمارهم / السعيدة في آفاق المعالي، فانجلت بهم غياهب الظلم الحالك، عبرة لذوي البصائر ونزهة لأولي الأبصار، جمع – سبحانه وتعالى – بهم كلمة الدين الحنيف، وأثرهم بهذا الملك الكبير وهذا العز

---

١ في ب: «لـجت».
٢ في ب: «علی».
٣ في ب: «إعزاز».

المنيف، وشرفهم بما وهبهم من الرتب العالية وهم أهل للرفعة والتشريف، وخصهم بمكارم الأخلاق ونزاهة الأقدار، وجعلهم - بهذا القطر - رحمة للعباد، وأخمد بشوكتهم نار الفتنة والعناد، فسلكت بهم السبل وأمنت بهم البلاد، لطفاً منه - سبحانه - بهذه الاقطار. فنسأل الله - تعالى - وهو أفضل من دعي فأجاب، وأكرم من استتيب فأتاب - ان يبقى جنابهم السعيد عالياً[1] على كل جناب، وأن يخلّد الملك فيهم على مرور الدهور وانقضاء الاعمار، وأفضل الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام - صلى الله عليه وعلى آله ما ترادفت الدهور وتعاقبت الاعصار - . /

وبعد: فإن الله تعالى منّ على المسلمين بسيدنا ومولانا سلطان الملوك والاكابر، المخصوص بأفضل الشمائل والمآثر، الإمام العادل، السلطان الفاضل، العالم العامل، صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، الذي اطلعه الله في سماء الجلالة بدراً، ورفع له في درجات الأمراء قدراً. وأجرى له على ألسنة الخلق ثناء جميلا وذكرا، فأصبح الدين مبتهجاً بكريم دولته، وجناب الكفر مهتضماً في صولته. مولانا وسيدنا محمد خوجة[2] الدولاتلي[3] أبقى الله تعالى أيامه، وأصحب النصر والتمكين الويته وأعلامه، وهو - نصره الله - أجل من استعين به فكان خير معين،

---

١ في ب: «علياً».

٢ خوجة: كلمة تركية معناها: المسجل، أو الكاتب، أو الناسخ، أو المتعلم، أو المعلم الخاص.

٣ الدولاتلي: ذو الجلالة، صاحب القوة والنفوذ، صاحب السعادة، وتطلق على رؤساء الأتراك وذوي الرتب العالية. والكلمة تركية.

وأعطي مفاتيح اليمن فتلقاها باليمين. وأفضل من امتثل قوله – صلى الله عليه وسلم: «مَنْ فَرَّجَ عَلى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، فَرَّجَ اللهُ عَلَيْهِ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الآخِرَةِ»(٣) إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية. حسبما أحاط به / علم مولانا – نصره الله – من مروي ومنقول، وهو – أيده الله – أفضل من في مدحه واستنجاده أنشد وأقول(٤):

دَامَ لَـكَ الْعِـزُّ وَالْبَقَـاءُ   كَمَا لأَعْـدَائِـكَ الْعَنَـاءُ
وَلَمْ تَـزَلْ في رَغِيـدِ عَيْـشٍ   يَخْـدِمُكَ السَّعْدُ وَالْهَنَـاءُ
لَوْ حَاتِمٌ(٥) كَـانَ حَـيّاً   لَـزَادَ مِنْهُ لَكَ الثَّنَاءُ
أَهْلُ السَّخَا(٦) في الْوَرَى نُجُومٌ   وَأَنْتَ مِـنْ فَوْقِهِمْ سَمَـاءُ
سُلْطَانُ كُـلِّ الْكِرَامِ جَمْعاً   في بَـابِـكَ الْخَيْرُ وَالْعَطَاءُ
وَلا تَكَلَّفْتَ في عَطَـاءٍ   فَكَانَ مِـنْ طَبْعِكَ السَّخَاءُ
إنْ قُلْتَ قَـوْلاً فَعَلْتَ حَـقّاً   فَكَانَ مِـنْ شَأْنِكَ الْوَفَـاءُ
وَمَـنْ غَـدَا في حِمَاكَ ضَيْفاً   لَهُ بِإنْعَامِـكَ الرِّضَـاءُ
وَمَـنْ أَتَـى يَشْتَكِيكَ ضَيْمـاً   وَأَنَّـهُ حَقَّـهُ الْعَنَـاءُ

---

٣ جاء في صحيح مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...» وخرج الطبراني من حديث كعب بن عجزة، عن النبي ﷺ قال: «.. وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ». وجاء في الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «..وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، ولم أعثر على رواية المصنف، من حيث اللفظ والصيغة، ولعلها محرفة.

٤ القصيدة من بحر البسيط المجزوء، المقطوع العروض والضرب.

٥ حاتم الجود: حاتم الطائي، الشاعر المشهور الذي ضرب المثل بسخائه وكرمه حتى قيل: «أجود من حاتم»، توفي حوالي ٦٠٥ م وله ديوان شعر مطبوع.

٦ السخا: حذفت همزة المد منه للوزن.

يَعُودُ بِالأَمْنِ فِي سُرُورٍ ... وَزَادَ مِنْهُ لَكَ الدُّعَاءُ
لا زِلْتَ بِالْعِزِ فِي نَعِيمٍ ... بِدَوْلَةٍ مَا لَهَا انْقِضَاءُ / أ - ٦٧
وَلَمْ تَزَلْ فِي هَنَاءِ بِشْرٍ ... مَا أَقْبَلَ الصُّبْحُ وَالْمَسَاءُ
بِخَاتِمِ الأَنْبِيَاءِ طَهَ ... وَمَنْ لَهُ الْحَوْضُ وَاللِّواءُ

ومع هذا فمولانا – أدام الله له الاسعاد، وبلّغه في الدارين غاية المراد –، جدير بأن يقال فيه أعظم من هذا، ولكن شدة الآلام[١]، وسوء آثارها[٢] منعني من الانبساط في الكلام، على اني أقول من كبد معلول شعرا[٣] :

وَإِنِّي وإنْ بَالَغْتُ فِي الشُّكْرِ وَالثَّنَا
عَلَيْكَ مُقِرٌّ بِالْقُصُورِ وَبِالْعَجْزِ
وَلَكِنَّ رَبِّي – بِالذِي قَدْ صَنَعْتَهُ
– يُجَازِيكَ عَنِّي فَهْوَ أَكْرَمُ مَنْ يُجْزِي

اسأل الله الكريم[٤]، رب العرش العظيم، أن يتولى مكافأة احسانك[٥]، وأن يديم علي جزيل فضلك، وجميل امتنانك، انه ولي ذلك، والقادر عليه. جمع الله على التقوى أمركم، وأعد للإسلام نصركم، والسلام. من العبد العليل، الراجي لطف الله الجميل، خديم مولانا العالي، محمد

١ في ب: «الالم».
٢ في ب: «آثاره».
٣ البيتان من بحر الطويل المقبوض العروض الصحيح الضرب.
٤ في ب: «العظيم».
٥ في ب: «مكافئة احسانه».

أ - ٦٨ ابن القالي، لطف الله به اللطف المتوالي، ولنا في مولانا هذان البيتان وهما[1] : /

أَيـا قِبْلَةَ الامَالِ يَا حَرَمَ النَّدَى
وَيَا كَعْبَـةً مَا خَابَ سَاعٍ نَوَالَهَا
إلى بَيْتِكَ الْمَعْمُورِ قَدْ جِئْتُ قَاصِداً
فَـلا بَرِحَتْ أَيْدِيكَ تُولِي نَوَالَهَـا

وكاتبه أبو عبد الله محمد بن أحمد البوني، وقد أجبره السلطان على الفتياء[2]. وكان في ذلك خيراً. وعزم على ما فيه العزم الذي لم يستطع معه في مخالفته صبرا، وكان ممن طلق الدنيا بتاتاً، وركن إلى الورع والزهد انقطاعاً بهجر هذا الزخرف المضمحل وانبتاتاً، فنفّذ الأمر عليه من المستعين نصره الله - بمراجعة مطلقته المبتوتة، واستنشاق[3] أرج الحياة المشتهاة من أنواع طيبها المفتوتة، فاجتهد في امضاء الحكم الفصل، واجراء الفرع من القضايا الواقعة على الأصل، والاحراز في شأو العدالة المطلوبة للخصل، والتشهير في ميدان الجزالة من النص الصريح[4] للنثر. فبز القضاة الجلّة وقاراً، وأزرى بالشم الشوامخ احتقارا، وأعلت به الخطة سموّ مكانة، واسندت منه إلى طود جلال فلم تخضع لسواه باستكانة، وهو شنّ قد
أ - ٦٩ وافق منها طبقة[5]، / ومجل في حلبة عزمها لم يلف فيه من سبقه، وله

١ البيتان من بحر الطويل المقبوض العروض والضرب .
٢ في ب: «الفتيا» بحذف همزة المد .
٣ في ب: «انتشاق» .
٤ النص الصريح ما لم يؤول من نصوص الآيات والاحاديث .
٥ الشن - بفتح الشين -: وعاء من جلد كان قد تشنن، أي تقبض، فجعل له طبق، أي غطاء فوافقه.

شعر يضرب في الاجادة بسهم مصيب، ويفوز من الجزالة بحظ وافر ونصيب. وقدم في رسالته - فوق نظمه - أبياتاً، لكونها مستحسنات. وكان اطلاقها على مولانا - نصره الله - عين الانصاف، ولو قيلت في بعض الاسلاف. وهي[١] :

دَامَتْ عَلَيْكَ سَوَابِـغُ النَّعْمَـاءِ   وَتَزَايَدَتْ يَا سَيِّدَ الأُمَـرَاءِ
يَا مَنْ لَهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ مَنْزِلٌ   وَمَقَامُـهُ يَعْلُو عَـلى الْجَوْزَاءِ
اللهُ أَعْطَـاكَ الشَّجَاعَةَ وَالْبَهَـا   يَـا كَامِلاً فِي دَوْلَـةِ الأُمَرَاءِ
مَنْ رَامَ بَحْراً بِالْمَكَارِمِ طَافِحاً   يَسْعَى لِبَـابِ خُصَّ بِالْعَلْيَـاءِ
يَجِدِ الَّذِي مَـا مِثْلُهُ فِي عَصْرِنَـا   كَلاَّ، وَلا فِي السَّادَةِ الْقُـدَمَاءِ

وهذا قوله[٢] :

يَا رَبَّنَـا بِالْمُصْطَفَى الْعَـدْنَـانِ   وَبِآلِـهِ وَبِصَحْبِـهِ الأَعْيَـانِ
وَالأَنْبِيا وَالرُّسْلِ وَالْقُـرْآنِ   وَالأَوْلِيَا أَهْـلِ التُّقَى وَالشَّـانِ
مَتِّعْ عِبَـادَكَ بِالَّـذِي أَمَّرْتَـهُ   فِينَـا بِلا ضُرٍّ وَلا نُقْصَـانِ / أ - ٧٠
وَهُوَ الأَمِيرُ مُحَمَّدٌ ذُو الْمَجْدِ وَالْـ   أَسْرَارِ وَالآلآءِ وَالإِحْسَانِ
الأَعْظَمُ الأَعْلَى الأَعَزُّ الأَرْ   فَـعُ الشَّانِي الَّذِي مَا مِثْلُهُ مِن ثَانِ
فِيـهِ الشَّجَاعَةُ وَالْبَرَاعَةُ وَالْوَفَـا   وَالْحِلْمُ وَالْمَعْرُوفُ قُلْ إِخْـوَانِي
جُمِعَ التُّقَى وَالْعِلْمُ فِيهِ بِلا خَفَا   فَاقْصُدْهُ[٣] صَاحِ تَجِدْهُ بِالْبُرْهَانِ

فضرب به المثل للشيئين المتفقين فقيل: «وافق شن طبقه» - بسكون الباء وفتحها - .

١ الأبيات من بحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٢ من بحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٣ في ب: «فاعيه» .

مَلِكٌ يَزِينُ مَـدِيحُـه مُـدَّاحَهُ[١] هَيْهَاتَ لا يُحْصِيهِ[٢] مِنْ إِنْسَانِ
يَرْتَاحُ قَلْبِي عِنْدَ ذِكْـرِ حَـدِيثِهِ فَالسُّقْمُ عِنْدِي ضِدَّهُ[٣] سِيَانِ
لا عَيْبَ فِيهِ سِوَى المُجُومِ ـ أَخِي ـ على وَهْرَانَ ذَاتِ الْكُفْـرِ وَالطُّغْيَـانِ
يَا صَاحِ هَذَا الأَمْرُ مِمَّا قَدْ خَبِي[٤] رَبِّي لَـهُ فِي سَابِقِ الأَزْمَـانِ
يَا رَبِّ عَجِّـلْ أَخْذَهَا بِمُحَمَّدِ الْغَـالِيِّ وَالْكَرْخِيِّ وَالْجِيلانِي[٥]
بُشْرَاكَ يَا بَكْدَاشُ قَدْ نِلْتَ الْمُنَى عَمَّرْتَ[٦] أَرْضَ الْكُفْرِ بِالإِيمَانِ
فَاللهُ يُبْقِي ذِكْرَكُمْ حَسَناً وَيُعْـ ـلِي قَدْرَكُمْ وَيَجُـودُ بِالرِّضْوَانِ
ثُمَّ الصَّلاةُ مَعَ السَّلامِ[٧] عَلَى حُسَا مِ[٨] الرُّسْلِ وَالآيَـاتِ وَالْبُرْهَانِ /
وَآلالِ وَالأَصْحَابِ وَالأَزْوَاجِ مَا هَـبَّ النَّسِيمُ بِسَاحَـةِ الْبُسْتَانِ

أمدنا الله تعالى بقبس من أنواركم الشريفة[٩]، وأيدنا بنفس من

---

١ مديحه فاعل «ليزين»، ومداحه – بضم الميم – مفعول به .
٢ في ب: «ان يحصيه» .
٣ في ب: «وضده» .
٤ خبى الشيء: لغة في خبأه إذا أخفاه وستره .
٥ يريد «بمحمد الغالي» سيدي محمدا الهوّاري دفين وهران، المتقدم الذكر. وبـ «الكرخي» أبا محفوظ معروفا ابن فيروز الكرخي الصوفي المشهور، المتوفى سنة ٢٠٠ هـ/ ٨١٦م ببغداد وقبره يزار هناك . وبـ «الجيلاني» عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة القادرية المشهورة، والمتوفى سنة ٥٦١ هـ/ ١١٦٦م ببغداد، وما زال قبره يزار هناك. (أ – أبو عبد الرحمن السّلمي، طبقات الصوفية بتحقيق نور الدين شريبة، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥٣م، ص: ٨٣ . ب – محيي الدين بن عبد القادر، كتاب القلائد في مناقب الشيخ عبد القادر. القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٣٣١ هـ . ص: ٣ – ١٤٠) .
٦ في ب: «وعمرت» .
٧ في ب: «والسلام» .
٨ في ب: «حام» .
٩ الشريفة: المشرقة .

أنفاسكم المريقة[١]. وبسط لنا مائدة من موائد كرمكم العميمة، ومنحنا موهبة من مواهب نعمكم العظيمة، عنصر[٢] المكارم، ونخبة العوالم، الصدر الشهير، والطالع المنير، الخليفة الأمير، تاج الأكابر الفخام، وفخر الأمراء العظام، والمورد العذب للخاص والعام. أبي عبد الله مولانا سيدي محمد أدام الله تعالى أيامه، ووالى عليه فضائله وإكرامه.

وهنأه الأديب أبو عبد الله محمد، الملقب «بابن يوسف الجزائري»، وهو لم يكن أفسح منه في الشعر باعا، وأتم باللغة اطلاعا. وكان يتعاطى في شبيبته من الشعر ما يشهد له بالنبل، وسلوكه من طرقه المختلفة على أقوم السبل، وأخذه من فنونه بما شاء الابداع، وتعاطيه من صنوفه لكل ما تستلذه الاسماع. فكرع في سلسبيله العذب، وحلى جيد نجابته بلؤلؤها الرطب، وامتدح / - بقلائده متوسلا، ولاغراضه الطلبية متوصلا، بقصيدة من ماجد كامل، من بحر الكامل - وهي[٣] :

بُشْرَى لِمَنْ بِقُدُومِهِ خُذِلَ الْعِدَا ... وَانْزَاحَتِ الْبَأْسَاءُ وانْـزَاحَ الرَّدَا
وَبَدَتْ بُدُورُ السَّعْدِ فِي أُفُقِ الْهَنَا ... وَبِحَيِّنَا حَادِي الْمَسَرَّةِ قَدْ حَدَا[٤]
وَبَلابِلُ الأَفْرَاحِ فِي رَوْضِ الْمُنَى ... فَرِحاً وَإِجْلالاً لَـهُ كُلٌّ شَدَا[٥]
وَحَدَائِقُ الإِحْسَانِ فَاحَ أَرِيجُهَا ... وَهَمَى عَلَى أَرْجَائِهَا فَيْضُ النَّدَا

١ المريقة: الخارجة.
٢ في ب: «عنصر».
٣ من بحر الكامل الصحيح العروض والضرب معا.
٤ حادى المسرة: المتغني بها.
٥ في ب: «شذا».

فَتَعطَّرَتْ أَرجَاؤُهَا وَتَزَخْرَفَتْ وَالْعِزُّ فِيهَا لَم يَدَعْ شَيْئاً سُدَى
مَنَحَ النَّسِيمُ عَبِيرَهَا لِذَوِي النُّهَى[1] فِي كُلِّ مُغْتَبَقٍ[2] يَفُوحُ وَمُغْتَدَى
وَالأَرْضُ رَوَّضَها[3] الْهَنَا بِقُدُومِهِ وَالْكَوْنُ أَرْدِيَةُ السُّرُورِ بِهَا ارْتَدَى
قَدْ فَاضَ فِي الأَفَاقِ نُورُ سُعُودِهِ وَأَمَامَهُ نَصْرُ الْمُهَيْمِنِ قَدْ غَدَا
قَمَرٌ جلى الْمَوْلى بِهِ مَا قَدْ دَجَى طَوْدٌ بِهِ أَرْسَى الْبِلادُ وَقَدْ هَدَى
أ - ٧٣ فَاعْمَلْ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ كَمَالَهُ وَامْدَحْ بِأَنْوَاعِ الْقَرِيضِ مَدَى المدى/
مَنْ قَدْ يُقَرِّضُ مَنْ عَدَاهُ فَقَدْ يَكُنْ مُسْتَثْنِياً فِيمَا يَقُولُ بِ «مَا عَدَا»
أَزْكَى وَلِيٍّ فِي الْعِبَادِ وَمَنْ بِهِ بِالنَّصْرِ عَنْ أَعْدَائِهِ فَتَعَوَّدَا
مُسْتَنْصِرٌ بِاللهِ فِي حَرَكَاتِهِ وَمُؤَيَّدٌ بِالْعِزِّ مِنْهُ فَأَيَّدَا
مَنْ يَمَّمَ السَّلَفَ السَّعِيدَ وَأَمَّهُ وَاقْتَصَّ اثَارَ السَّعَادَةِ وَالْهُدَى
أَبْدَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ لِلنَّاسِ مِنْ شِيَمِ الأَفَاضِلِ مَا بَدَا
وَعَلا عَلى مُلْكِ الْجَزَائِرِ واسْتَوَى مُذْ سُلَّ سَيْفُ الْعَزْمِ مِنه وَجُرِّدَا
فَاهْتَزَّتْ الأَرْجَاءُ مِنْ فَرَحٍ لَهُ وَبَدَا السُّرُورُ لَنَا بِهِ وَتَجَرَّدَا
طَابَتْ بِهِ الأَيَّامُ لِي فَكَأَنَّهَا أَعْيَادُ[4] وَالسَّرَّاءُ فِيهَا أُخْلِدَا
وَأَرَى الزَّمَانَ النَّاضِرَ الطَّلْقَ الْهَنَا لِذَوِي النُّهَى[5] مِنْ حِزْبِهِ وَمَنِ اقْتَدَى
حَتَّى تَرَاءَتْ آيَةُ اللهِ الَّتِي نَادَى مُنَادٍ فِي الْعِبَادِ بِهَا نَدَا[6]

---

١ في ب: «لأولي النهي».
٢ مغتبق: مكان شرب الخمر مشية، والمغتدى: مكان شربها صباحا.
٣ روضها: جعلها روضة غناء.
٤ اعياد: بحذف التنوين منه لمقتضى الوزن.
٥ في ب: «لأولي النهي».
٦ ندا: جمعهم يقال: ندا القوم إذا جمعهم في النادي، أي جمعهم تحت لواء شريعة الله ورسوله.

وَلَقَدْ عَلا بَيْنَ الْمُلُوكِ بِعَدْلِـهِ ... وَجَرَى مِنَ الْعَلْيَاءِ اقصاءَ مَدَى
فَرْعٌ زَكَا مِنْ نَبْعِهِ بَيْـنَ الْـوَرَى ... مِنْهَا الْمَكَارِمُ وَالْفَضَائِلُ تُجْتَدَى[1] /
وَالدَّهْرُ أَصْبَـحَ مُقْتَفى[2] آثارُهُ ... وَلأَمْرِهِ بَيْـنَ الْعِبَـادِ مُقَيَّـدَا
قَدْ قَسَّمَ الأَيَّامَ بَيْـنَ نَعَـائِمٍ[3] ... لِمَنْ اهْتَدَى وغصائِصٍ[4] لِمَنْ اعتَدَى
حَـلَّ الْبَرَايَـا مِنْ ذراهُ بِجنَّةٍ[5] ... لا تُشْتَكَى فِيهَا الإِسَاءَةُ وَالصَّدَى[6]
مِنْ كَوْثَرِ الإِحْسَانِ فِي أَرْجَائِهَا ... مَا لَيْسَ يُوصَفُ مِنْ نَوالٍ مَعْ جدى[7]
فَنَوَالُـهُ قَبْلَ السُّؤَالِ مُقَـدَّمٌ ... يَكْفِيكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ مِنَ النَّدَى
فِي عَسْكَرٍ مِنْ حِزْبِهِ ذِي نَجْدَةٍ ... فِي الْمُعْضِلاتِ بِهِمْ يُعِزُّ وَيُهْتَدَى
مِن كُلِّ ضِرْغَامٍ[8] بَصِيرٍ بِالْوَغَى ... وَجْهُ الْعَدُوِّ إذا رَآهُ تَـوَجَّـدَا[9]
وَالنَّصْرُ مَكْتُوبٌ عَلَى رَايَاتِهِـمْ ... نَصْرٌ مِنَ اللهِ الْكَرِيمِ عَلَى الْعِدَا
فَوَزِيرُهُ[10] وَكَفِيلُهُ «حَسَنٌ» الَّذِي ... سَاقَ الْجُيُوشَ إلى الْجِهَادِ وَمَهَّدَا
يُزْجِي عَسَاكِرَهُ لِوَهْرَانَ الَّـتِي ... أَضْحَى بِهَا الإِشْرَاكُ مُلْتَحِمَ السَّدَى

---

١ تجدى: تطلب وتلتمس .
٢ مقتفى: صوابه مقتفيا .
٣ نعائم: بالتنوين لمقتضى الوزن، والمعروف في «النعمة» تجمع على نعم .
٤ غصائص: بالتنوين لمقتضى الوزن، والمعروف في «الغصة» تجمع على غصص كغرفة وغرف، والمراد بالغصة – هنا – الهم والحزن المستمران .
٥ في الشطر الأول من البيت داره، في جميع النسخ التي بين يدينا. ولعل الأصل ذراه بمعنى كنف .
٦ الصدى: الصوت المزعج .
٧ في ب: «ومن جدا» .
٨ في جميع النسخ «ذرغام» والتصويب من قلمنا .
٩ توجد حزن ورهب لرؤيته .
١٠ فوزيره: في ب: «وزيره» .

يَا رَبِّ يَسِّرْ عَنْ أَيْدِيهِمْ فَتْحَهَا ... رَبِّي وَكُنْ لَهُمَا[1] مُعِيناً مُنْجِدَا
أ - ٧٥ وَتَعُودُ لِلإِسْلَامِ دَارَ مُقَامِهِ ... وَبِهَا مَنَارُ الْمُسْلِمِينَ مُشَيَّدَا /
وَيَزُولُ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ... مَا غَيَّرَ الإِشْرَاكَ - قَبْلُ - وَأَفْسَدَا
بِمُحَمَّدٍ وَبِآلِهِ وَبِصَحْبِهِ ... وَبِكُلِّ مَنْ قَامَ الدُّجَى وَتَهَجَّدَا
تَمِّمْ بِفَضْلٍ مِنْكَ مَا أَمَّلْتَهُ ... بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ الْمُبِينِ وبِالْهُدَى
خُذْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَقِيلَةً ... دُرّاً مُقَلَّداً الأَنِيقَ تَقَلَّدَا
فِي خِدْرِهَا تتجلّى مُخْفِرَةً أَتَتْ[2] ... فِي ثَوْبِ تَأْيِيدٍ أَتَتْكَ مُؤَيَّدَا
وَتُقَبِّلُ الْكَفَّيْنِ مِنْكَ تَوَاضُعاً ... فَالرُّوحُ مِنَّا وَالنُّفُوسُ لَكَ الْفِدَا

وهنأه ابن عبد الله محمد المستغانيمي، وهو رجل محقق النظار، وأستاذ فرائد لجين ونضار: كلا، بل جواهر ويواقيت، ومناسك أهدى لها من السعادة مواقيت، فحسب الطالب الموثوق بفهمه، المصروف لتحصيل مطامح مواقع سهمه، أن يلازم حلقة تعليمه، وان يشدّ يد الضنة[3] بما يلقن من محصول تفهيمه، فاكسير[4] الافادة انما حصله الواصلون من
أ - ٧٦ جابر صنعته، وكمياء السعادة انما يلقفها / الظافرون في نضارة روضه المخضل ونبعته، وقريض الشعر مما يمكن دخله تحت طوعه، ويندرج تحت قدرة تصرفه بجنسه ونوعه، إلا أنه لما يصدر منه عن قريحة كاتم،

١ لهما ضمير المثنى يعود على محمد بكداش وصهره ووزيره حسن أوزن. والوزن يستقيم بكلمة يديهم بدل أيديهم ويمكن عندها ارجاع الضمير إلى يديهم.
٢ مخفرة: مستحياة أشد الحياة.
٣ الضنة: كل ما يضن به ويبخل باعطائه، وفي ب: «الظنة» بظاء مشالة.
٤ الإكسير: مادة معدنية، تلقى على الفضة فتحولها إلى ذهب خالص حسب زعم بعض الكيميائيين القدامى والكلمة يونانية الأصل.

وقد سلك من البخل[١] به على طرف النقيض مما سلكه حاتم. بقصيدة سماها بـ «الكوكب النائر، في مدح أمير الجزائر»، وهي[٢] :

أَطْلَعَةَ[٣] الْبَدْرِ قَدْ نُوئِيتَ[٤] عَنْ نَظَرِي
فَهَلْ سَبِيلاً لِرُؤْيَاكُمْ يَقِي ضَرَرِي
كَتَمْتُ دَمْعِي فَأَلْقَتْهُ مَحَاجِرُهُ[٥]
وَصُنْتُ سِرِّي فَأَبْدَتْهُ[٦] يَدُ الْقَدَرِ
فَلَمْ أَجِدْ لِاكْتِتَامِ الدَّمْعِ مَمْلَكَةً
وَلَمْ أَجِدْ لِظَلَامِ الْحُبِّ مِنْ قَدَرِ
إِذَا بِرِيحِ الصَّبَا هَبَّتْ وَقَدْ سَكَنَتْ
رِيحُ الدَّبُورِ فَزَالَ الْغَيْمُ عَنَ بَصَرِي
لَا زِلْتُ أَقْتَبِسُ الآثَارَ حَيْثُ[٧] بَدَا
لِمُقْلَتِي كَوْكَبُ بِالنَّصْرِ مُتَّزِرِ[٨]
إِمَامُ عَدْلٍ حَمَاهُ الرَّبُّ حَيْثُ غَدَا
مُعْتَصِماً صَابِراً للهِ مُنْتَصِرِ[٩]

---

١ في ب: «النجد».
٢ من وزن البحر البسيط مخبون العروض والضرب معا.
٣ في ب: «اطلعت».
٤ في ب: «نؤيت». وفي الأصل نأيت.
٥ في ب: «محاجري».
٦ في ب: «فابنده».
٧ في ب: «حتى».
٨ متزر: منصوب على الحال، وقد ضحى الناظم بالقاعدة النحوية في سبيل قافيته.
٩ في ب: «منتضر»، ومنتصر منصوب على الحال. إلا أن الناظم أخل بالقاعدة النحوية من أجل سياق القافية.

ثُمَّ وَفَتْنِي يَــدُ الإِسْعَادِ فَاتَّضَحَتْ
مَعَــالِمُ الْوَصْلِ قَــدْ نِيلَتْ بِلا فَخَـرِ / أ - ٧٧
نَجْمِ الصَّبَاحِ لَقَــدْ أَقْبَلْتِ بِالْبُشَــرِ
بِعِـزَّةِ اللهِ لا بِعِـزَّةِ الْبَشَرِ
نِعْمَ الْمَجِيءُ وَرِيــحُ النَّصْرِ قَــدْ وَرَدَتْ
أَمَــامَ مَجْدِكُــمْ بِالْخَيْــرِ وَالظَّــفَــرِ
وَأَنْجُمُ السَّعْدِ أَقْبَلَتْ[1] بِأَجْمَعِهَــا
وَأَنْجُمُ النَّحْسِ أَدْبَرَتْ مَعَ الأَثَرِ
إِنَّ «الْجَزَائِرَ» قَــدْ عَنْ سَاقِهَا كَشَفَتْ
وَاسْتَبْشَرَتْ أَقْبَلَتْ عَنْكُمْ بِلا نُكَرِ
فَكُنْ لَهَا مُكْرِماً وَنَاصِحاً قَــائِماً
بِالْقِسْطِ عَــنْ حَاسِدٍ تَكْفِي وَعَنْ مُنْكَرِ[2]
أَدَارَ مُلْكِ الْوُلاةِ فَابْشِرِي فَرَحــاً[3]
إِذْ حَــلَّ فِيــكَ سَدِيــدُ الرَّأْيِ وَالنَّظَــرِ
سُلْطَانُنَــا الْمُرْتَضَى دَامَتْ سَعَادَتُهُ
وَازْدَادَ نَصْراً عَلَى نَصْرٍ مَدَى الْعُمرِ

---

١ في ب: «قد اقبلت» .

٢ القسط :- بكسر أوله وسكون ثانيه - العدل، والقسط بضم أوله وسكون ثانيه -: عود يتداوى به، والقسط - بفتح أوله مع ثانيه -:. التصلب والتيبس .

٣ ضمير المخاطب يعود على «دار الملك» .

فَقَدْ أَتى وَاحِداً في عَصْرِنَا رَافِعاً
لِـرَايَـةِ الْعِلْمِ وَالشَّرْعِ الْقَوِيمِ حَـرِي (١)
أَبَهْجَةَ الْمُلْكِ قَـدْ كُسِيتَ (٢) ثَوبَ هُـدَى
وَقَـدْ صَفَا شُرْبُ مَائِـكَ مِنَ الْقَذَرِ
أَيَّامُكُمْ أَقْبَلَتْ وَدَوْلَـــةٌ سَعِـدَتْ
وَرَحْمَـــةٌ وَسِعَتْ في الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
بِحاكِمٍ فَاضِلٍ وَعَـــالِمٍ عَـــامِلٍ
أَحْيَا الْحَنِيفِيَّةَ (٣) السَّمْحَاءَ كَالمَطَرِ
أَدَارَ مُلْكٍ فَلا تَخْشَوْنَ مِنْ أَحَدٍ
فَكُلُّ أَعْـدَائِكُمْ مِنْكُمْ عَـلى حَــذَرِ / أ - ٧٨
أَبْوَابُ «وَهْرَانَ» قَـدْ أَلْقَتْ قَـلائِدَهَـا
وَقَـدْ غَدَا جَيْشُهَا كَهَائِمِ الْحُمُرِ
وَأَدْخَلَ الرُّعْـبَ في قَلْبِ الْعُـدَاةِ (٤) وَقَـــدْ
مِـنَ السَّمَا (٥) مُطِرُوا بِالشُّهْبِ وَالْحَجَـرِ .
يَا جَيْشنا فَابْشِرُوا بِالْحُسْنَيَيْنِ لَكُـمْ
أَجَنَّةُ الْخُلْدِ أَوْ فَتْحاً هَنِيئاً مَرِي (٦)

١ حري: أجدر .
٢ في ب: «كوسيت» .
٣ الحنيفية: الدين الإسلامي على العموم، أو مذهب أبي حنيفة النعمان الذي كانت الحكومة الجزائرية تابعة له وعاملة بمقتضاه .
٤ في ب: «الكفور» .
٥ حذفت همزة المد من «السماء» لمقتضى الوزن .
٦ مري: صفة لـ «فتحا» وقد خالف الناظم القاعدة النحوية نزولا عند رغبة قافيته .

رَبّي بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى فَكُنْ نَاصِراً
لَهُمْ بِرِيحِ الصَّبَا يا خَيْرَ مُنْتَصِرِ
وَاهْزِمْ وُلاةَ الصَّلِيبِ هَزْمَ بَدْرٍ كَمَا[١]
هَزَمْتَهُمْ بِحُنَيْنٍ سَلْ عَنِ الْخَبَرِ
بِجَاهِ مَنْ خَضَعَتْ لَهُ الْمُلُوكُ وَمَنْ
تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ في دُجَى السَّحَرِ[٢]
وَجُمْلَةِ الْخُلَفَاء وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ
أَتَى لِمَكَّةَ قَاصِداً لِيَعْتَمِرِ[٣]
خُذْهَا بِكَفَّيْكَ قَدْ جَاءَت عَلَى قَدَمٍ
تَسْعَى لِبَابِ الْمُلُوكِ سَعْيَ مُفْتَقِرِ
وَبِاسْمِ قَائِدِهَا مُحَمَّد نَطَقَتْ
وَسَلَّمَتْ بَايَعَتْ طَوْعاً لِمُنْتَصِرِ

ومن مدح المولى، ورفع على علم شعره علم شكر ما أولى، واثنى عليه فأجاد، وأفادنا بثنائه انه غرف من نيل فوائد واستفاد. / الكاتب اللوذعي، ٧٩ - أ العالم الالمعي، أبو زيد السيد عبد الرحمن بن عبد الله الجامعي نسبا، الفاسي منشئاً، الجزائري داراً، وهو رجل وحيد الدهر، بل فريد العصر، لا أعلم اني لقيت مثله في طريق الآداب، ولا أشد كاهلا منه في الانتخاب،

---

١ بدر: بدون تنوين لمقتضى الوزن.

٢ اشارة إلى ما جاء في الاثر: أن النبي ﷺ كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه.

٣ ليعتمر: منصوب بان مضمرة بعد لام التعليل، بيد أن الناظم جره لمقتضى القافية.

ولو أدركه الصاحب[1] والبديع[2]، لاخذا عنه كل معنى بديع، وإذا قصد، وأخذ للشعر بمرصد، وشطّر[3] وصرّع[4]، وجنّس[5] ورصّع[6]، وطابق[7] وقابل[8]، ووازن[9] وماثل[10]، واقتنص ولمح[11]، وأومأ[12] وملح،

---

١ الصاحب: هو كافي الكفاة أبو القاسم اسماعيل المعروف بـ (الصاحب بن عباد) ولد سنة ٣٢٦ هـ - ٩٣٨ م، وتوفي سنة ٣٨٥ هـ - ٩٩٥ م، كان بحراً طافحاً بعلوم عصره، ويمّا زاخراً بمعارف وقته، فله مؤلفات كثيرة في شتى الفنون، منها: (المحيط) في اللغة في عشر مجلدات، وعنوان المعارف في التاريخ وغير ذلك.

٢ البديع: هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني المعروف بـ (بديع الزمان) صاحب المقامات المشهورة بـ «مقامات الهمذاني» توفي سنة ٣٩٣ هـ - ١٠٠٣ م.

٣ التشطير - في الشعر -: زيادة شطر آخر على كل شطر منه.

٤ التصريع - في الشعر -: جعل البيت منه ذا مصرعين.

٥ الجناس - في فن البديع -: تشابه الكلمتين في اللفظ لا في المعنى، في كله نحو: العين للباصرة، والعين لينبوع الماء. أو في بعضه نحو: قارب وقالب.

٦ الترصيع: التنظيم، والتزيين. وهو فن من فنون السجع. فالمرصع ما اتفقت ألفاظ احدى الفقرتين. أو أكثرها في الوزن والتقفية.

٧ المطابقة - عند علماء البديع -: الجمع بين معنيين متقابلين، سواء كان ذلك المعنى حقيقيا أو مجازيا.

٨ المقابلة: نوع من الطباق، وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب.

٩ الموازنة - عند علماء البديع -: أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية، كقوله تعالى: «وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ».

١٠ المماثلة: المشاكلة، وهي - عند علماء البديع -: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديراً، نحو قوله تعالى: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا».

١١ التلميح: قسم من أقسام الكناية، ويقال له: «التعريض» أيضاً، وهو ما أشير به إلى غير المعنى بدلالة السياق، نحو: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ».

١٢ الايماء: قسم من أقسام الكناية أيضاً، وهي كناية قلّت وسائطها مع وضوح الدلالة، كقول أبي تمام يصف أبله مادحاً أبا سعيد بن يوسف الثغري:

ابين فما يزرن سوى كريم   وحسبك ان يزرن أبا سعيد

ووشح[١] ، واستعار[٢] ، ورشح[٣] ، وكمّل وتمّم ، وفوق[٤] وسهم ، وأوضح وأدمج[٥] ، وسمط[٦] ودبج[٧] ، وجمع وفرق[٨] ، وبالغ[٩] وأعرق ، والتفت[١٠] / واحترس ، وضمن[١١] واقتبس[١٢] ، وأبدع وطرز ، وأعجب وأعجز فالسحر الحلال ، وماء الزلال ، والمنهل العذب ، والمنزل الرطب ، والطيب المفتوت ،

---

١ التوشيح : فن من فنون الشعر ينظم على تقاطيع وقواف معلومات ، بحيث لا يتقيد فيه الناظم بقافية واحدة ، وهو من اختراع الأندلسيين ، وسمي بالتوشيح لأنه يشبه الوشاح بأشكاله ، وتسمى القصيدة منه : موشحة .

٢ الاستعارة : هو لفظ استعمل في غير المعنى الموضوع له لمناسبة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة تصرفه عن ارادة المعنى الأصلي . كقولك : «رأيت أسدا» تعني رجلا شجاعاً .

٣ الترشيح – عند علماء البيان – : هي أن تقترن الاستعارة بما يلائم المستعار منه ، كقول كثير عزة :

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدي وهو للقلب جارح

فقد استعار السهم للنظر ، بجامع التأثير في كل . ثم رشح الاستعارة بذكر الريش الملائم للسهم .

٤ يقال : فوق السهم ، إذ جعل له فوقا ، والفوق مشق رأس السهم ، حيث يقع الوتر .

٥ الادماج – عند علماء البديع – : أن يجعل المتكلم الكلام الذي سبق المعنى من مدح أو غيره – متضمناً – معنى آخر .

٦ سمط : نظم الشعر مسمطا ، والتسميط – في الشعر – : هو أن تضم شطراً من شعرك إلى شطر شعر غيرك .

٧ التدبيج – عند علماء البلاغة – : تحسين اللفظ وتزيينه بواسطة التورية ، أو الكناية .

٨ الجمع مع التفريق – عند علماء البديع – : هو أن يجمع بين شيئين في معنى ، ويفرق بين جهتي الادخال ، كقول رشيد الدين الوطواط :

فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرها

فقد شبه وجه الحبيب وقلبه – هو – بالنار ، ثم فرق بين وجهي المشابهة بأن جعله في الوجه الضوء واللمعان ، وفي القلب الحرارة والاحتراق .

٩ المبالغة – عند علماء البديع – : هو أن يدعى لشيء وصف يزيد عما في الواقع .

١٠ الالتفات : رجوع المتكلم إلى الكلام السابق بنقضه وابطاله لنكتة ، كالتحسر والتحزن في قول زهير بن أبي سلمى :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

١١ التضمين : هو أن يأخذ الشاعر شطراً من شعر غيره بلفظه ومعناه .

١٢ الاقتباس : أن يضمن الكاتب أو الشاعر كلامه آية قرآنية ، أو حديثاً نبوياً ، أو حكمة مأثورة ، أو قاعدة علمية .

والفستق الملتوت[1] ، والفواكه والقوت ، والدّر والياقوت ، والوشي المرقوم، / أ - ٨٠ والرحيق المختوم، والصبغ الاقمر[2] ، والكبريت الأحمر ، والمسك والعنبر ، والاكسير[3] الأكبر ، صدر عنه الشعر المعجب ان لم نقل المعجز . والنظم الذي هو لوعد صدق براعته منجز ، من ذلك قوله[4] :

لَقَدْ فَتَكَتْ بِالْقَلْبِ فَتْكَ الْبَوَاتِرِ
عُيُونُ الظِّبَاءِ الآنِسِاتِ الْجَآذِرِ[5]
وَقَدَّتْ بِقَدٍّ السَّمْهَرِيِّ[6] حَشَاشَتِي
فَفَاضَتْ عُيُونِي بِالدِّمَا وَمَحَاجِرِي
رَعَى اللهُ ظَبْياً قَدْ رَعَى حَبَّ مُهْجَتِي[7]
وَلَمْ يَرْعَ فِي نَجْدٍ عَرَاراً وَحَاجِرِ[8]
وَمَا زِلْتُ أَرْعَاهُ وَيَحْسِبُ أَنَّنِي
أَخُونُ لَهُ عَهْداً فَيُصْبِحُ هَاجِرِي
وَيُظْهِرُ إِحْسَانِي إِلَيْهَا إِسَاءَةً
وَبِالْعَكْسِ مَا يُبْدِيهِ يَبْدُو لِنَاظِرِي

---

١ الملتوت : المدقوق، المسحوق .
٢ الاقمر : الأشد بياضاً والصبغ كل ما يصبغ به .
٣ الاكسير : تقدم تفسير معناه .
٤ من بحر الطويل المقبوض العروض والضرب .
٥ الجآذر : مفرده جوذر ، وجؤذر ، وجوذر : ولد البقرة الوحشية .
٦ السمهري: الرمح الصلب، ويطلق أيضاً على السيف الحاد .
٧ حب المهجة - بفتح الحاء المهملة - : سويداء القلب .
٨ الحاجر : معطوف على « نجد» وهو موضع قبل معدن النقرة بطريق مكة المكرمة. (مراصد الاطلاع ، ج ١ ، ص: ٣٧٠) .

بِـذَا حَكَمَ الْحُسْنُ الْبَدِيعُ لَهُ وَلي
وَمَا حَاكِمُ الْحُسْنِ الْبَدِيعِ بِجَائِرِ
وَإِني وإنْ أبْذَلْتُ عُذْري في الْهَوَى
فَمَا عَاذِلي فِيمَا اروم بِعاذِري
أَيحْسَنُ عَذْلٌ في ظِبَاءٍ عُيُونُهَـا
ظُبىً شَرَعَتْ فَتْكَ الأُسُود الْخَوَادِرِ
تَهُزُّ قُـدُوداً في دعوصٍ[1] كأنَّهـا
بُنُـودٌ تَثَنَّتْ في جُنُودِ «الْجَزَائِرِ» / أ - ٨١
جُنُودٌ بِهَا الإسْلامُ عَـزَّ مَنَالُـهُ
عَلى كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مُنَافِـرِ[2]
حَمَوْا بِالصِّفَاحِ الْبِيضِ مِنْ كُلِّ عَابِثٍ[3]
حِمَاهُ فَلَمْ يَعْبَثْ بِـهِ كَفُّ فَاجِـرِ
فَكَمْ كَسَّرُوا ثَغْـراً بِـهِ كَـانَـتِ الْعِـدَا
تَبَسَّمَ في وَجْــهٍ مِـنْ الدِّين كَـاشِـرِ[4]

---

١ الدعوص: كثبان من الرمل .

٢ في ب: «مناضري» .

٣ الصفاح: عرض السيوف، وفي ب: «الصحاح» .

٤ الضمير في «تبسم»: يعود على «ثغرا»، و «كاشر» صفة لـ «وجه» .

فَيَا حَادِيَى الأَضْعَانِ حُثَّ بِرَاكِبٍ
يَؤُمُّ حِمَاهُمْ رَغْبَةً في الذَّخَائِرِ
وَسِرْ بي إلى ذَاكَ الرِّبَاطِ فَإنَّهُ
ذَخِيرَةُ سَاعٍ لِلْجِهَادِ وَزَائِرِ[1]
وَإنَّكَ مَهْمَى جِئْتَهُ جِئْتَ رَوْضَةٍ
مُؤَرَّجَةٍ أَرْجَاؤُهَا بِالأَزَاهِرِ
دِيَارُ بَنِي عُثْمَانَ - حَيْثُ تَأَلَّفَتْ
ضِيَابٌ وَنُورٌ - مُسْتَقَرُّ الْمُسَافِرِ
بِلادٌ بِرَأْسِ الْغَرْبِ تَاجٌ مُكَلَّلٌ[2]
وَخَلْخَالُ سُوقِ الشَّرْقِ غَيْرِ ضَوامِرِ[3]
بَدَتْ بِمِنَصَّاتِ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا
عَرُوسٌ تَجَلَّتْ في أَعَالي الْمَنَابِرِ

---

١ في ب: «وزافر» .
٢ يقصد بالبلاد - هنا - مدينة الجزائر بدليل قوله فيما بعد :
فدعني من غرناطة وربوعها وشبّل فالحسن انتهى للجزائر
٣ سوق: ج ساق .

وَقَدْ قُلِّدَتْ مِنْ بَحْرِهَا بِمُوَشَّحٍ
وَصِيغَتْ لَهَا الأَمْوَاجُ خَلْخَالَ حَاسِرِ(١)

وَلاحَ بِهَا بَابُ الْجَزِيرَةِ مِثْلَمَا
تَبَسَّمَ ثَغْرٌ في وُجُوهِ الْبَشَائِرِ

كَأَنَّ مَجَازَ الْبَحْرِ مِعْصَمُ غَادَةٍ
٨٢ - تَحَلَّى سِوَاراً وَاكْتَسَى بِجَوَاهِرِ(٢) /

وَلِلّهِ أَبْرَاجٌ بِشَاطِيءِ بَحْرِهَا
تُحَاكِي النُّجُومَ الزُّهْرَ في عَيْنِ خَازِرِ

كَأَنَّ الرِّيَاضَ الْخُضْرَ مُحْدِقَةً بِهَا
ذَوَائِبُ أَصْدَاغِ الْوُجُوهِ النَّوَاضِرِ

غُصُونٌ وَأَنْهَارٌ وَتِلْكَ لِهَذِهِ
تَحِنُّ فَتَحْنُو لاسْتِلامِ الْغَزَائِرِ(٣)

فَتَبْدُو وَقَدْ حَاكَ النَّسِيمُ بُرُودَهَا
نِصَالَ رِمَاحٍ في زُرُودِ مُشَاجِرِ

---

١ حاسر: المرأة التي حسرت خمارها وكشفت عن وجهها .
٢ في ب: «اكتسى» بدون واو العطف .
٣ الغزائر – من الينابيع –: الماء الكثير المتدفق. وفي ب: «الغدائر» .

وَلِلّهِ مَا ضَمَّتْهُ مِنْ كُلِّ مَنْظَرٍ
حَلاوَتُــهُ مَا مَرَّ تُلْفَى بِخَاطِرِ
فَدَعْنِيَ(١) مِــنْ غَرْنَاطَــةٍ وَرُبُــوعِهَا(٢)
وشَنِّيلَ فَالْحُسْنُ انْتَهَى لِلْجَزَائِــرِ(٣)
فَمَا تَفْضُلُ الْحَمْرَاءُ(٤) بَيْضَاءَ غَــادَةٍ(٥)
مُقَرْطَفَــةً بِالْبَدْرِ ذَاتَ غَــدَائِرِ(٦)

---

١ فدعني: بفتح ياء المتكلم ليستقيم الوزن .

٢ غرناطة – بالتنوين –: لضرورة الوزن: معناه باللغة الاسبانية «الرمانة» التي هي شعار مدينة غرناطة التاريخية، وما زال هذا الشعار ماثلا فوق قصبة – الحمراء الرئيسي في شكل ثلاث رمانات صخرية كبيرة، وكانت غرناطة آخر المدن الأندلسية التي سقطت بالتسليم في الثاني من شهر ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ الموافق لاثنين من يناير سنة ١٤٩٢ م، وهي نفس السنة التي اكتشف فيها (كولومبوس) العالم الجديد – امريكا – .

٣ شنيل – بتشديد النون –: نهر بسفح «غرناطة» يسقي أجنتها ورياضها، وقد أكثر الشعراء في وصفه والتغني بمحاسنه، وقال فيه لسان الدين بن الخطيب: «ما سمي شنّيل إلا لكونه فيه ألف (نيل) يقصد بذلك أن الشين يساوي عدده ألفاً، بحساب الجمل على طريقة المغاربة، فاذا جعلنا في محله ألفاً وأضفناه إلى (نيل) أصبح ألف نيل. وقول الشاعر فيا بعد: (وما ألف شنيل ككف محمد) من المبالغة كأنه قال: «وما ألف نيل ككف محمد». (ا – أحمد المقري، نفح الطيب، طبعة أوربا. ج: ١ ، ص: ٩٤ . ب – لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، مطبعة مصر، ١٣٢٩ هـ . ج: ١ ، ص ٢٦) .

٤ الحمراء قصور شامخة وأبراج منيفة وحدائق غناء تقع على هضبة تشرف على مدينة غرناطة من الركن الجنوبي الشرقي فتسبغ على المدينة آيات من الروعة والجلال .

٥ بيضاء غادة: هي مدينة الجزائر وقد أطلق هذا الاسم على مدينة الجزائر لكونها كانت ذات قبب وأبنية بيضاء وما زالت تتمتع بهذا اللقب حتى الآن، فيقال: «الجزائر البيضاء» وقد اشتهرت بهذا الاسم ، لا سيا عند الفنانين والمغنيين .

٦ الغدائر – جمع غديرة –: وهي ظفائر الشعر المستطيل .

وَمَنْ لِرُبُوعٍ بِالْجَمَالِ وَقَدْ غَـدَتْ
كَخَطِّ زَبُورٍ فِي قَدِيمِ الدَّفَاتِرِ[1]
وَهَذِي رُبُوعٌ حَاطَهَا بِإِحَاطَةٍ
مُؤَلَّفَةٌ مِنْ سِتْرِهِ خَيْرِ سَاتِرِ
وَمَا أَلْفُ شِنِّيلٍ كَكَفٍّ «مُحَمَّدٍ»
سَلِيلِ «عَلِيٍّ[2]» ذِي الأَكُفِّ الْمَوَاطِرِ
جَرَى وَجَرَى الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فَكَانَ ذَا
أُجَاجاً وَمَا أَجْرَاهُ حُلْوَ الْعَنَاصِرِ
فَلَوْ خَصَّبَتْ كَفَّاهُ شَيْبَ جَدِيبَةٍ[3]
مِنَ الأَرْضِ شَبَّتْ بَعْدَ شَيْبِ الظَّفَائِرِ / أ - ٨٣
وَلَوْ قَابَلَ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ[4] بِوَجْهِهِ
لَمَا زَالَ يَحْكِي السِّرَّ عِنْدَ السَّرَائِرِ[5]
وَلَوْ شَاءَ إِغْنَاءَ الْوَرَى عَنْ شُمُوسِهَا
بِشَمْسِ الْحِجَى لَمْ تَفْتَقِرْ لِلظَّهَائِرِ

---

١ الزبور: كتاب سيدنا داود – عليه السلام – وهو كتاب يتضمن أناشيد وتراتيل. وهو خلو من الأحكام الشرعية.

٢ علي يريد علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – لأن محمدا بكداش ينتمي إليه، أو أباه مباشرة.

٣ في ب: «جذيبة» والجديب من الأرض: الماحل.

٤ أوجه الأرض المقابل للشمس.

٥ في ب: «لما زال يحكي في السرار سائر».

تَبَلَّجَ صُبْحُ الرَّأْيِ مِنْـهُ وَقَـدْ عَسَتْ[1]
عَلَيْـهِ لَيَالٍ مِنْ خُطُوبٍ عَـوَاقِرِ
فَمَا أَقْبَلَتْ حَتَّى تَـوَلَّتْ صُدُورُهَـا
صِرَاعـاً على أَعْجَازِهَـا جَرْيَ نَـافِـرِ
فَأَصْبَحَ في أَوْجِ السَّعَادَةِ رَاقِيـاً
وَمَـا كَانَ عَنْ نَيْلِ السِّبَاقِ بِفَاتِرِ
فَلِلَّـهِ مِنْـهُ هِمَّـةٌ عَلَوِيَّـةٌ
تَفَانَتْ عَلَى دَرْكِ الْعُلا وَالْمَفَاخِرِ
وَلَمْ تَـرْضَ غَيْرَ الْمُلْكِ مُلْكـاً وَلا أُبَتْ[2]
رُكُوباً سِوَى ظَهْرِ الْجِيَادِ الْحَرَائِرِ[3]
كَمَا أَنَّنِي لَمْ أَرْضَ[4] مَدْحِيَ مَالِكاً
سِوَاهُ وَلا عَـادَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِـرِي
وَلا وَطِئَتْ[5] رِجْلِي رُؤُوسَ الْفَلا وَلا
حَفَتْ عَيْنُ شِعْرِي نَحْوَ غَيْـرِ عَشَائِرِي[6]

---

١ عسا الليل يعسو – عساء، وعسوا: اشتدت ظلمته .

٢ ملكا - بكسر أوله – ما يملكه الإنسان .

٣ هذا الشطر لم يؤد المعنى المراد، فلو حذفت لا النافية من «ولا أبت» لاستقام المعنى وانتفى الاشكال .

٤ في ب: «نرض» .

٥ في ب: «ولا ثنيت» .

٦ حفت: من حفا البرق يحفو حفوا، إذا لمع ضعيفا معترضا في نواحي الغيم، وفي ب: «خفت» .

وَهَـا أَنَـذَا يَمَّمْتُهُ بِنْتَ فِكْرَتِي[١]
تَجُرُّ حَيَاءً مِرْطَهَا جَـرَّ حَائِرِ[٢]

وَلا زِلْتُ ادْعُو كُلَّ رَائِدِ جَنَّـةٍ
وَسَاعٍ لِنَيْلِ الْمَجْدِ أَوْ كُلَّ شَاعِرِ

خَلِيلِيَ . يَمِّمْ رَوْضَهُ فَهْـوَ يَانِـعٌ
نَضِيرٌ شَهِيٌّ نُـورُهُ لِلنَّـواظِـرِ / أ - ٨٤

وَرِدْ حَوْضَـهُ فَهْوَ الْفُرَاتُ وَلُذْ بِهِ
تَجِدْهُ حِمىً مِنْ كُلِّ طَـاغٍ وَجَائِرِ

وَكَيْفَ يَخَـافُ الدَّهْـرَ مَـنْ حَطَّ رَحْلَهُ
بِسُلْطَانِ جُنْدٍ مِنْ أُسُودٍ كَوَاسِرِ

إِمَـامٌ حَوَى عِلْماً وَفَضْلاً وَسُؤْدَداً
فَحُقَّ لَـهُ تَقْدِيمُهُ فِي الْمَـآثِرِ

سَرَى[٣] فِي جَمِيعِ الدُّورِ أَزْكَى حَـدِيثِـهِ
فَحَدِّثْ عَنِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ التَّوَاتُرِ[٤]

شَرِيفٌ زَكَا أَصْلاً وَفَرْعاً وَمَحْتِداً
إِلَى هَاشِمٍ يُنْمَى[٥] كَبِيرُ الأَكَابِرِ

أُتِيحَ لَهُ فَتْحٌ جَدِيـدٌ تَطَاوَلَتْ
لَهُ هِمَمُ الأَمْلاكِ بَـاقٍ وَغَابِرِ

---

١ بنت: منصوب على نزع الخافض، أي: بينت .
٢ المرط - بكسر أوله -: ثوب يؤتزر به .
٣ في ب: « بيراسري » .
٤ في ب: « تواتر » بدون الألف واللام .
٥ ينمي - بالبناء للمجهول -: بمعنى ينتمي .

فَلَمْ يَنَلِ الأَعْـدَاءُ مِنْهُ مُرَادَهُمْ[1]
وَمَا رَجَعُوا إِلَّا بِصَفْقَـةِ خَـاسِرِ
إلى أَنْ أَرادَ اللهُ نُصْرَةَ دِينِـهِ
فَنَبَّهَهُ تَنْبِيـهَ يَقْظَانَ حَـاسِرِ
وَجَـرَّدَ مِنْهُ الْحَزْمُ[2] سَيْفاً قِرَاعُهُ
يَفُتُّ صِمَامَ الصَّخْرِ يَـوْمَ التَّشَاجُـــرِ
فَأَضْفَى[3] عَـلى «وَهْرَانَ» جَيْشَيْنِ مِنْ نَدًى[4]
وَآخرَ مِنْ رَأْيٍ سَدِيدٍ مُـؤَازِرِ
وَجَـرَّ لَهَا الإِسْلامُ جُنْداً مُؤَيَّداً
بِتَأْيِيدِ مَنْصُورٍ مِـنَ اللهِ نَـاصِرِ
فَطَهَّرَهَـا مِنْ رِجْسِهَا وَأَعَـادَهَا
عَرُوساً تَجَلَّتْ في مَرَاقِي الْمَنَابِرِ / أ - ٨٥
فَلِلَّـهِ مَـا قَدْ كَانَ مِنْهُ وَأَجْرُهُ
عَلَيْهِ وَخَيْرُ الأَجْرِ نِعْمَةُ شَاكِرِ
وَصَلَّى إِلَهُ الْخَلْقِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
عَلى مَرْكَزِ التَّوْحِيدِ قُطْبِ الدَّوَائِرِ

---

١ في ب: «فلم يحصلوا من نيله فوق طائل».

٢ في ب: «الجزم».

٣ في ب: «فحاشى».

٤ أي: أحد هذين الجيشين، عطاؤه الفياض.

وَلا زَالَ غَيْثُ الْفَضْلِ يَنْهَـلُّ بِالرِّضَى
عَلَى الآلِ والأَصْحَـابِ فِي كُـلِّ خَاطِرِ

وواصلها بنثر لا بأس مـن اثباته هنا، لما اشتمل عليه مـن البشارة بالهنا، وتكميلاً لفائدته، وجمعاً للموصول وعائده، وهو هذا :

هذه القصيدة – حلى الله طوقها بقلائد القبول –، وسيلة للحضرة التي اقلامها موقعة لبلوغ المأمول، الحضرة السلطانية، والمثابـة المولوية، حضرة الامام المجاهد المثابر[1]، المرابط المشاغر[2]، الذي أدرك طائره الميمون أيك ادواح العلا بخفق أجنحة الوية النصر وبنوده، ولاح بدره المقرون ببرج سعوده وحدا في صعوده، السلطان المنصورة بالله عساكره، المتمثلة في أقصى البلاد أوامره، الذي هادنته الملوك وهادته[3]، وتباهت
٨٦ - أ به الدول فتهادته[4]، مالىء سجال[5] / وفوده من بحر أحسانه، وحامل سلاح جنوده في شزر إنسانه[6] :

إِنْ تَلْقَهُ لَمْ تَلْقَ إِلَّا جَحْفَـلاً وَإِذا نَظَرْتَ وَجَدْتَ ذَاتاً وَاحدا[7]

---

١ في ب: «المشابر».
٢ المشاغر: المطارد، والمهاجم.
٣ هادته: تبادلت معه الهدايا.
٤ تهادته: طلبت منه سبيل الهداية.
٥ السجال: جمع لسجل – بفتح السين وسكون الجيم – وهو الدلو الذي فيه ماء قليل أو كثير، وفي المثل: «فلان ملء الدلو» أي: كثير العطاء.
٦ شزر انسانه: الشزر: النظر بجانب العين، مع اعراض أو غضب، وانسان العين: النقطة السوداء من العين الخارجة.
٧ هذا البيت من البحر الكامل التام، صحيح العروض والضرب.

جواد أثقل حمل نعيمه الغارب[1] من نوق عفاتــه[2] الداي، أبو عبد الله محمد بن مولانا علي ضاي[3]. نصره الله على من عصاه، وملكه ناصية من شق عصاه، ولا زالت أيامه المولوية بازغة الشموس، وسياسته العلمية رائضة الشموس[4]. وسلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته، اوجبت السنة ان تتلى في جامع ثنائكم الجميل آياته.

وبعد: فإنه لما أطلعني الانتقال المعذور في فلككم السعيد. واجلسني السعي المشكور، من بساطكم الرفيع غير بعيد، وجب علي ما يجب لأمثالـكم على من فتق الله لسانه بالبيان، وملك تصريف أعنة الفصاحة بالبنان، فانشأ هذه القصيدة التي اشتملت على النزر من ثنائكم الجميلة أوصافه. إذ لا يسع أحداً نقل ماء البحر واغترافه، ولا يحسن بالعاجز إلا اعترافه. وسأشفعها – إن شاء الله – بكتاب، ولو وسعني القدر لكان
مما ينوء بالنوق ذوات الاقتاب[5] / ومن وجد في محل القول لسانا قائلا أ - ٨٧
فليقل، ومن أراد الخوض في بحر المجرة[6] فليطل[7]، ما شاء سلمـه وليطل[8]، على أن الباعث على ذلك محبة، أطارت إليكم الجسم من

---

١ الغارب: الكاهل، وهو ما بين الظهر والعنق.

٢ العفاة: مفرده عاف، وهو كل طالب فضل، أو رزق.

٣ ضاي: كلمة تركية، معناها المهم والنفيس من كل شيء.

٤ الشموس – بفتح الشين –: الممتنع الجامح من الخيل.

٥ الاقتاب: جمع قتب – بكسر القاف وسكون التاء وفتحها – وهو الرحل، وفي المثل: «هو قتب بعض بالغارب» أي: هو ملح كثيراً.

٦ المجرة: منطقة في السماء فيها نجوم كثيرة بحيث تبدو للرائي كأنها بقعة بيضاء متلألئة.

٧ فليطل: فعل أمر من أطال الرباعي، نقيض قصر.

٨ وليطل: فعل أمر من أطلّ الرباعي، بمعنى أشرف.

عشه الذي درج فيه من غير جناح، وهل على محب طار فطال من جناح[1]. وجدير بمن شحذت سبيكته الذهبية، المحن الزمانية. فخلصت من الشوب، وأذابت كورته التركيبية. فابرزت نضّراها من لباب الذوب، – أن يستعمل تدبيره في انقاذ عبد ما زال فرّارا من نار المحن، وهي تحله وتعقده. ومطارق النكبات تنتظر قبضه وترصده، فانه صدر لحكم من الله تعالى في إبداء أمركم الذي صاحبته السلامة. وأعقبته الكرامة. تعريف لكم باحوال العباد، فتفقد ونها في الشدة والرخا. والزعزاع والرخا[2]. وها أنا لا منزل آوي إليه، ولا مال أعول عليه، وان نظرت إلى بعين الرحمة. فلا أمسي إلا أغنى هذه الأمة، أبقاكم الله محط الرحال. ومنتجع الآمال.

٨٨ – أ والسلام عليكم والرحمة والبركة، حالي السكون والحركة . /

ومن ذلك قوله في معنى يفهم من نثره المتقدم عليها وهذا نصّه:

«الحمد لله الذي جعل الشعر وسيلة لا ترد، وجانباً لا يحد. وسائلا لا ينهر، وقاهراً. وأميناً يؤدّى[3] الامانات إلى أهلها. ورسولا يشفع في اخراج النفوس المصلية نار الهجر إلى جنة وصلها، والصلاة والسلام على المؤيد باسرار البلاغة اعجازاً المقدم بهذا الدين القويم صدوراً من الملل. وعلى آله وأصحابه الذين أحرزوا قصبة السبق في ميدان الشجاعة والفصاحة احرازاً، والنصر الذي تهتز لتوقيع أقلامه الأقاليم. وتضطرب لتتابع وقوعه ملل الاقانيم[4]، لمولانا الذي أنعش الله بديمة وجوده روض الإسلام أيّ

١ جناح – بضم أوله – : الريح اللينة التي لا تحرك شيئاً .

٢ الرخاء: بضم أوله: الريح اللينة التي لا تحرك شيئاً

٣ في ب: «يود» بدون ياء .

٤ الاقانيم: جمع اقنوم – بضم أوله – وهو الشخص والأصل من كل شيء، والكلمة سريانية الأصل .

انعاش، المجاهد في سبيل الله أبي عبد الله مولانا محمد بن علي بكداش. فرع الشجرة النبوية السمحاء، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، لا زالت ألوية الفتح تخفق على تاجه، وشفاه الملوك تودّ تقبيل رتاجه، هذا وانه لما نظم السعد بعقدك الثمين صدفنا، ورأينا من احسانك وترك ما عن مدح غيرك إلى مدحك صرفنا واحتفالك لذلك المحفل السعيد واتحافنا، وتواضعك في شرفك الذي شرفنا، قلنا نمدح تلك السيرة، وتحريضاً على التمسك بعرى هاتيك السريرة، مع الاعتبار عما طوق الجفون منه، حيث بلغ القلب مامنه، ومعاذ السلام الذي تذكو نفحاته، وتزكو غدواته وروحاته، وهي [1] :

هَذِي – وَحَقِّكَ – سِيرَةُ الأُمَرَاءِ ... أَهْلِ النُّهَى وَذَوِي اللُّهَى [2] الْكُرَمَاءِ
يَتَطَارَحُونَ لِذِي الْحَدِيثِ فُكَاهَةً ... لِعَبِيدِهِمْ كَتَطَارُحِ الْخُلَطَاءِ
وَيُوطِّئُونَ لِضَيْفِهِمْ أَكْنَافَهُمْ ... حَتَّى يُرَى مِنْ أَقْرَبِ الْقُرَبَاءِ
وَيُؤَنِّسُونَ جَلِيسَهُمْ فِي وَحْشَةٍ ... أُنسَ الْبَنِينَ بِصُحْبَةِ الأُبَاءِ
وَإِذَا احْتَبَوْا فَلِسَدِّ ثَغْرٍ يُخْتَشَى ... أَو فَتْحِهِ بِتَبَسُّمٍ لِعَطَاءِ
أَوْ نُكْتَةٍ عِلْمِيَّةٍ أَوْ حِكْمَةٍ ... أَدَبِيَّةٍ فِي عِفَّةٍ وَوَفَاءِ /
وَإِذَا خَلَوْا فَلِذِكْرِ ذَنْبٍ صَادِرٍ ... بِتَنَصُّلٍ وَتَوَسُّلٍ وَبُكَاءِ
وَتَعَلُّقٍ بِاللهِ فِي غُفْرَانِهِ ... بِتَضَرُّعٍ وَتَخَشُّعٍ وَبُكَاءِ
وَتَوَسُّلٍ لِنَبِيِّهِ بِمَدِيحِهِ ... نَظْماً يُقَرِّطُ أَنْجُمَ الْجَوْزَاءِ

---

١ على وزن البحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٢ اللهى: جمع لهوة – بفتح اللام وضمها – هي أجزل العطايا وأفضلها .

مَا زَالَ ذَا هِجِّيرٍ[١] كُلُّ مُبَجَّلٍ … مُتَخَلِّقٍ بِالْعَدْلِ غَيْرَ مُـــرَاءِ
لا يَمْتَطِي الْمَلِكُ اللَّبِيبُ مَطِيَّةً … مِنْ دُونِهَا تُـذْلِيـهِ لِلنَّعْمَـاءِ
وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَابَقَتْ لِكَرِيمَـةٍ … فَلِمُمْتَطِيهَا السَّبْقُ دُونَ عَنَـاءِ
وَلَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّهَا شَمسَتْ فَـلَمْ … تُرْكَبْ سِنِينَ تُجَلُّ عَنْ إِحْصَاءِ
حَتَّى أَتَيْتَ – مُحَمَّدُ – فَدَعَوْتَهَا … وَرَأَتْكَ أَنْجَبَ هَاتِــكَ النُّجَبَاءِ
فَأَتَتْكَ طَائِعَةً كَأَنْ لَمْ تَجْمَحَنْ … مُنْقَادَةً لَمْ تَجْنَحَـنْ لإِبَـــاءِ
فَاعْرُجْ بِهَا السَّمَا بِعِزٍّ دَائِـمٍ[٢] … مُتَقَدِّماً بِمُلُوكِهَا الْعُظَمَاءِ
أَنْتَ الإِمَامُ بِجَامِعِ الْحَمْدِ الَّذِي … أَعْيَى بَلاغَةَ أَخْطَبِ الْخُطَبَاءِ
أَحْيَيْتَ رَسْمَ الْمُلْكِ[٣] بَعْدَ إِمَاتَةٍ … فَمَلَكْتَـهُ بِحِيَازَةِ الأَحْيَاءِ /
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الإِمَامُ الْمُرْتَضَى … الْمُنْتَضَى سَيْفاً عَـلى الأَعْـدَاءِ
أَصْبَحْتَ وَارِثَ مَجْدِ أَمْلاكٍ فَنَتْ … أَجْسَامُهُمْ وَهُمُ[٤] مِـنَ الأَحْيَاءِ
فَبَلَغْتَ مَا لَمْ يَبْلُغُوا وَفَتَحْتَ مَـا … لَمْ يَفْتَحُوا وَجَمَعْتَ كُلَّ ثَنَـاءِ
وَجَلَسْتَ فِي دَارِ الْخِلافَةِ عَالِماً … بِحَدِيثِهَا لِلْفَصْلِ وَالإِقْرَاءِ
فَرَوَيْتَ مِــنْ مَأْمُونِهَا وَرَشِيدِهَا … مُسْتَعْصِماً بِاللهِ فِي اللأْوَاءِ
دُمْ رَاقِياً أَوْجَ السَّعَادَةِ رَامِيـــاً … بِشِهَابِ سَعْدِكَ مَـارِدَ الْبَغْضَاءِ
لَوْ قِيلَ لِلأَيَّامِ مَـاذَا تَشْتَهِي … قَالَتْ بَقَـاءَ مُحَمَّدٍ بِبَقَـــائِي
يَا سَيِّداً حَـازَ السِّيَادَةَ يَافِعاً … نَسَباً وَعِلْمـاً ذَا سَنـاً وَسَنَـاءِ

---

١ الهجير – بكسر أوله وتشديد ثانيه –: الدأب والعادة .

٢ في ب: «السماء عز دائم» .

٣ رسم الملك: علامته وشعاره .

٤ وهم: باشباع الميم لاستقامة الوزن .

لُقِّبْتَ «بَكْدَاشاً»(١) فَكُنْتَ على الْعِدَا حَجَراً أَصَمَّ مُفَتِّتَ الأَعْضَاءِ
لَوْ لَقَّبوكَ «يُومشَقاً»(٢) لَمْ يَدْهَشُوا لِتَطَابُقِ الأَفْعَالِ وَالأَسْمَاءِ
دُمْ رَاحِماً لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَاجِماً لِلْكَافِرِينَ بِوَارِسِ الْحَصْبَاءِ(٣)
إنّي – وحَقِّكَ – مِنْ هَوَاكَ مُوَلَّهٌ زِدْني ! فَدَاءُ الْحُبِّ فِيكَ دَوائي / أ - ٩٢
فَعَلَتْ شَمَائِلُكَ اللَّطِيفَةُ بِالْحِجَى فِعْلَ الشَّمُولِ(٤) وَفِعْلَةَ الإِغْفَاءِ
مَا كَانَ نَوْمي عَنْ سَنَائِكَ غَفْلَةً لَكِنْ – وحَقِّكَ – كَانَ لاسْتِحْيَاءِ
بَلْ لَمْ يَنَمْ طَرْفِي وَلَكِنْ رَدَّهُ مِنْكَ الْجَلالُ فَمَالَ لِلإِغْضَاءِ
لا زَالَ قَائِمُ سَيْفِ نَصْرِ الْحَقِّ في يُمْنَاكَ يَضْرِبُ هَامَةَ الأَعْدَاءِ
خُذْهَا إلَيْكَ قِلادَةً(٥) مَا قُلِّدَتْ مِنْ قَبْلِ جِيدِكَ جِيدَ ذَاتِ بَهَاءِ
غَيْدَاءُ(٦) تَرْفُلُ في حُلى إحْسَانِهَا تَزْرِي بِكُلِّ مَلِيحَةٍ حَسْنَاءِ

---

١ بكداش – معناه في اللسان الفارسي –: لا نظير له، وفي اللسان التركي: الحجر القاسي الأصم، وهو المراد به هنا. وقد أشار إلى معنى هذه الكلمة محمد بن ميمون في ص: ١٤٦ من هذا الكتاب .

٢ يومشقا: معناه – باللغة التركية –: اللين، وهو ضد معنى «بكداش» .

٣ وارس الحصباء: الحجارة الحمراء .

٤ الشمول: الخمر .

٥ في ب: «نفيسة» .

٦ الغيدا: اللينة الاعطاف، الناعمة البشرة .

مَا ضَمَّهَـــا قَصْرُ ابْنِ عَبَّادٍ[١] ولا قُصِرَتْ بِبَعْضِ [٢] مَقَاصِرِ الزَّهْرَاءِ[٣]
ثُمَّ الصَّلاةُ عَلى النَّبيِّ مُحَمَّـدٍ مَعْ آلِـهِ وَصَحَابِـهِ النُّجَبَـاءِ

---

١ ابن عباد: هو أحد ملوك الطوائف من بني عباد الذين تولوا حكم اشبيلية بالأندلس، أول من أسس دولتهم أبو القاسم محمد ابن عباد الشامي الأصل، وآخرهم المعتمد بن عباد أمير اشبيلية وشاعرها، وقد مات سجيناً في «اغمات» بالمغرب الأقصى سنة ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م وإليه ينسب قصر اشبيلية، فيقال «قصر المعتمد بن عباد». (الزركلي، خير الدين، الأعلام. القاهرة: مطبعة كوستا تسوماس وشركاؤه ج: ٧ ص: ٥٠).

٢ في ب: «غنّت بروض».

٣ الزهراء: مدينة صغيرة جميلة قرب قرطبة أنشأها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة ٣٢٥ هـ/ ٩٣٧ م. (عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦١ م. ص: ٣٥).

المقامة التاسعة

في ذكر الخروج لوهران بقصد غزو الكفرة.

وما حدث بعده من مقاتلة اللئام الفجرة

وذلك أنه لما ساعدتهم الأيام. ومكثوا في المدينة مائتين وخمسة أعوام[1] . وبنوا الحصون وشيدوها. وتملكوا الأوطان ومهدوها. صاروا يغزون الإسلام. من نحو أربعة أو خمسة أيام. فكم من عالم اسروا. / وكم ٩٣ أ
من شريف نصّروا ، وكم من ولدان. مرتدين إلى الآن. وكم من عروب أتراب[2] . تولغ فيهن[3] الكلاب. وكان بنو عامر[4] أول من دخل تحت بيعتهم من المسلمين. عليهم ما يستحقون من الخزي إلى يوم الدين. أمة

---

١ سقطت مدينة وهران في أيدي الاسبانيين في أواخر المحرم سنة ٩١٤ هـ أو آخر ماي ١٥٠٨ م وفي صبيحة يوم الجمعة من ٢٦ لشهر شوال سنة ١١١٩ هـ ٢٠ جانفي ١٧٠٨ م فتحها - عنوة - مصطفى أبو الشلاغم باي الايالة الوهرانية. و «أوزن حسن» خليفة الداي وصهره .

٢ العروب من النساء: الضحاكة، أو الناشزة من زوجها، والاتراب: ذوات السن الواحد .

٣ في ب: «فيهم» .

٤ بنو عامر: نسبة إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وهم بطن كبير من مضر . كانوا متفرقين في أصقاع الجزيرة العربية. وبالاخص في نواحي الشام. ومنازلهم معروفة بفلسطين بـ «برج بني عامر». وقد امتنعوا أن يشاركوا في حرب أهل الردة. واستوطنوا الشمال الافريقي. وبالاخص المغرب الأوسط (القطر الجزائري) على عهد الفاطميين ابان الزحف الهلالي سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ - ١٠٥١ م (عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كبني عامر. تحقيق محمد بن عبد الكريم بيروت. مطبعة دار الحياة ١٩٧٢ م ص: ١-٥٥ .

لا تعقل رشدها، ولا تجري إلى ما تقتضيه نعم الله عندها، ولا تقلع عن أذى تفشيه[١] قرباً وبعداً جهدها، فصاروا لا يرعون لجار ولا لغيره حرمة، ولا يرقبون في مؤمن إلاً[٢] ولا ذمة، قد أعماهم عن مصالحهم الاشر، وأضلهم ضلالا بعيداً البطر، ونبذوا المعروف وراء ظهورهم. وأتوا ما ينكر مقتديا صغيرهم بكبيرهم، وخاملهم[٣] بمشهورهم، ليس فيهم زاجر، ولا منهم إلا غاوي فاجر، يعزّون الكافر على المسلمين، ويغزونهم به في كل كمين، ومع ذلك يعطون[٤] له الجزية عن يد وهم صاغرون، ويعتقدون
أ - ٩٤ أنهم مؤمنون. ولما تفاقم أمرها وثقل على المسلمين ضرها، حرض العلماء / على القتال، بقصائد تشف على اللب وتذهب بالبال، منهم الناظم الناثر، الكثير المعالي والمآثر، الذي لا يدرك باعه، ولا يترك اقتفاؤه واتباعه، السيد ابن عبد الله، محمد، بن محمد، بن علي، بن يسعد، بن سعيد، ابن عبد الواحد ابن يحيى، بن العباس، الملقب بابن آقوجيل[٥].
ان نثر رأيت البحر الزاخر، وان نظم قلد الاجياد درًّا تباهي به وتفاخر، ومذ كان أول من بدا في الجزائر وظهر، وتسمى ببحر القريض واشتهر، تسدد إليه السهام، وتنتقده الخواطر والافهام، فلا يوصف له غرض، ولا يوجد في جوهر انسانه عرض، وهو في زمانه بدر أفاق، وموقف الاختلاف

---

١ في ب: «تفسيه».
٢ إلاً: عهداً.
٣ في ب: «خالمهم».
٤ في ب: «يعطوا».
٥ في أ: «القوجيلي الجزائري».

والاتفاق. مع جريه في ميدان التفسير إلى منتهاه، وتصرف بين سهيله[١] وسهاه[٢]، وله تصانيف في العلوم آلّف فيها ما آلّف، وتقدم فيها وما تخلف. ولو أدرك يوم الفتح[٣] لتعلق بأذيال المولى، ولهناه بقصائد / تعيها القلوب أ - ٩٥
وتتلى، ومما صدر عنه في التحريض المشار إليه، والاغراء المنبه عليه، قوله يمدح بعض ملوك المتقدمين[٤]. وهي هذه[٥] :

بِسَعَادَةٍ تَجْدِيدِكُمْ وَسُرُورِ[٦] * وَبِهِ الْهَنَاءُ عَلَى مَمَرِّ دُهُورِ
طَلَعَتْ طَوَالِعُ سَعْدِكُمْ مَقْرُونَةً * بِالْيُمْنِ وَالتَّسْدِيدِ وَالتَّيْسِيرِ
فَرِحَتْ جَزَائِرُنَا بِكُمْ وَتَأَنَّسَتْ * بِمَقَامِكُمْ فِيهَا بِحَالِ حُبُورِ
يَدْعُو الإِلٰهَ جَمِيعُ مَنْ فِيهَا لَكُمْ * بِالنَّصرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّبْشِيرِ
يَرْجُونَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ أَن لا يَرْتَقِي * فِي مُلْكِنَا - ذَا - غَيْرُكُمْ بِسَرِيرِ
فَأَجَابَنَا اللهُ الْمُجِيبُ دُعَاءَ مَنْ * يُضْطَرُّ وَهْوَ مُجِيبُ كُلِّ صَبُورِ
مُذْ قُمْتُمُ بِأُمُورِنَا وَتُصُرِّفَتْ * عَن إِذْنِكُمْ وُثِّقَتْ عُرَى التَّدْبِيرِ
دَبَّرْتُمُ أَمْرَ الْبِلادِ وَصُنْتُمُ * أَحْوَالَهَا جُهْداً مِنَ التَّغْيِيرِ
وَحَفِظْتُمُ أَمْرَ الْمُرَتَّبِ[٧] بَعْدَمَا * قَدْ كَانَ فِي ضَيْقٍ وَفِي تَعْسِيرِ / أ - ٩٦

---

١ سهيل: نجم مشرق يطلع على بلاد العرب في أواخر أيام القيظ .

٢ السهى: كوكب خفي من بنات النعش الصغير. يمتحن الناس به أبصارهم، وفي المثل: «أريها السهى وتريني القمر». والمراد أنه لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أبداها في تفسيره وتصرف في تأويله .

٣ أي يوم فتح وهران .

٤ هو أبو العباس الحاج أحمد داي تولى سنة ١١٠٦ هـ / ١٦٩٥ م ودام حكمه إلى سنة ١١٠٩ هـ / ١٦٩٨ م.

٥ القصيدة من البحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٦ وسرور - بالجر - معطوف على «بسعادة» .

٧ هذا مما يدلنا أن صاحب القصيدة كانت له جراية يتقاضاها على عهد ممدوحه .

يَهْنِي - أَبَا الْعَبَّاسِ[1] - مُلْكُ بِلادِنَا ... مَـا مِثْلُهَـا بَلَدٌ بِنَقْـدِ بَصِـيرِ
كُلُّ المَحَاسِنِ وَالمَفَاخِرِ قَدْ بَدَتْ ... فِيهَا لِرَوْنَقِ بَهْجَـةٍ وَقُصُـورِ
وَلَقَدْ عَهِدْنَاهَـا زَمَانـاً سَالِفـاً ... مَا إِنْ بِهَا حَدَثٌ بِمَرِ عُصُورِ
فَتَبَدَّلَتْ تِلْـكَ الْمَحَاسِنُ غُصَّةً ... وَعَظِيمَ أَهْـوَالٍ وَكُـلَّ عَسِيرِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِحْنَةٌ تُغْـزَى بِهَـا ... تَرْمِي الْقُلُوبَ بِدَهْشَةٍ وَشُرُورِ
تَرْمِي الْمَغَارِمَ كُلَّ حِينٍ مِثْلَمَا ... تَرْمِي عَلَى ذِي الذِّمَّـةِ الْمَقْهُورِ
ضَاقَتْ أُمُـورُ الْمُسْلِمِينَ وَكُلِّفُوا ... غُرْماً طَوِيلاً فِي مَدِيدِ شُهُورِ
وَاللهُ حَرَّمَ عِرْضَنَا وَدِمَـاءَنَـا ... وَالمَالُ - أَيْضاً - ثَالِثُ المَحْظُورِ[2]
إِلَّا إِذَا مَا الْمَرْءُ أَوْجَبَ زَلَّـةً ... بِحُدُودِهَا تُدْرَى لَدَى المَسْطُورِ[3]
بِالْقَتْلِ أَوْ بِالْقَطْعِ أَو بِالضَّرْبِ أَوْ ... بِالسِّجْنِ أَوْ بِالنَّفْيِ لِلتَّعْزِيـرِ
وَرَجَوا بِعَدْلِكَ أَنْ تُدَافِـعَ عَنْهُمُ ... شَرَّ الْعَدُوِّ بِهِمْ دِفَـاعَ غَيُـورِ
٩٧ فَاللهُ وَلَّاكَ الْعِبَادَ وَرَعْيَهُـمْ ... فَانْظُرْ لَهُمْ فِي صَالِحَاتِ أُمُورِ /
وَاشْكُرْ عَـلَى النَّعْمَاءِ رَبَّكَ إِنَّهُ ... مِنْ فَضْلِهِ يُرْجَى جَزَاءُ شُكُـورِ
إِنْ تَنْصُروا اللهَ الْعَظِيمَ جَـلالُهُ ... يَنْصُرْكُمُ وَهُـوَ الأَعَزُّ نَصِـيرِ
إِنَّ الإِمَامَ الْعَدْلَ فِي سَبْعٍ لَهُـمْ ... ظِلُّ الإِلَـهِ بِيَوْمِ نَفْخِ الصُّورِ[4]

---

١ أبا العباس: على حذف النداء. تقديره: يا أبا العباس.

٢ فيه اشارة لما رواه مسلم والترمذي في صحيحهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ».

٣ المسطور: كتاب الله الكريم.

٤ فيه اشارة لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «سبعةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ. إمامٌ عادِلٌ وشابٌّ نَشَأَ في عبادةِ اللهِ ورجل قلبُهُ مُعلَّقٌ بالمساجد، ورَجُلانِ تحابَّا في اللهِ اجتمعا عليهِ وتفرَّقا عليهِ، ورَجُلٌ دعتْهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقالَ: إني أخافُ =

وَلْتَلْتَفِتْ نَحْوَ الْجِهَادِ بِقُوَّةٍ ... وَالْكُفْرَ اقْطَعْ أَصْلَهُ بِذُكُورِ
جَهِّزْ جُيُوشاً كَالأُسُودِ وَسَرِّحَنْ ... تِلْكَ الْجَوَارِي فِي عُبَابِ بُحُورِ(1)
أَضْرِمْ عَلَى الْكُفَّارِ نَارَ الْحَرْبِ لا ... تَقْلَعْ وَلا تُهْمِلْهُمُ بِفُتُورِ(2)
وَبِغَزْوِنَا «وَهْرَانُ» ضِرْسٌ مُؤْلِمٌ ... سَهْلُ اقْتِلاعٍ فِي اعْتِنَاءِ يَسِيرِ(3)
كَمْ قَدْ أَذَتْ مِنْ مُسْلِمِينَ وَكَمْ سَبَتْ ... مِنْهُمْ بِقَهْرٍ أَسِيرَةً وَأَسِيرِ
حَلَّتْ بِأَرْضِ الْمُسْلِمِينَ فَهَلْ لَهَا ... مِنْ عَسْكَرٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ مُغِيرِ
يُرْخِي كَلاكِلَهُ عَلَيْهَا بَغْتَةً ... تَأْتِيهِمُ فِي عِزَّةِ الْمَقْدُورِ
فَانْهَضْ بِعَزْمِكَ نَحْوَهَا مُسْتَنْصِراً ... بِاللهِ فِي جِدٍّ وَفِي تَشْمِيرِ
بِعَسَاكِرٍ مِثْلِ السُّيُولِ تَزَاحَمَتْ ... لِلسَّبْقِ تَحْتَ لِوَائِكَ الْمَنْصُورِ / أ - ٩٨
أَوْ كَالسَّحَابِ بُرُوقُهُ وَرُعُودُهُ ... نَارُ الْمَكَاحِلِ(4) أُوقِدَتْ بِزَفِيرِ
تُلْقِي عَلَى الْكُفَّارِ مِنْهَا صَوَاعِقاً ... مَحْفُوفَةً بِرَصَاصِهَا الْمَسْطُورِ
وَسَوَابِقٍ كُمْتٍ وَشُهْبٍ أُضْرِمَتْ ... عِنْدَ اللِّقَا تَنْقَضُّ وَقْعَ صُخُورِ
مِنْ كُلِّ مِقْدَامٍ إِذَا نَارُ الْوَغَى ... حَمِيَتْ يَخُوضُ لَهِيبَهَا بِصُدُورِ
مَا انْ لَهَا مِنْ رَاحَةٍ إِلَّا إِذَا ... سَفَكَ الدِّمَاءَ وَكَرَّ كَرَّ هَصُورِ
بَادِرْ بِنَا نَغْزُو الْعَدُوَّ وَسَارِعَنْ ... فِي حَسْمِ شَوْكَتِهِمْ وَفِي التَّدْمِيرِ
وَأْمُرْ جُيُوشَكَ بِالتَّأَهُّبِ لِلْعِدَا ... وَالْحَزْمِ حَرِّضْ عَزْمَهُمْ لِنَفِيرِ

اللهَ، وَرَجلٌ تصدَّقَ بِصَدقة فأخفاهَا حتّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ بِمَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً، فَفَاضَتْ عيناهُ» .

١ الجواري: السفن .

٢ تهملهم: باشباع الميم ليستقيم الوزن .

٣ حذف التنوين من «اعتناء» نزولا عند رغبة الوزن .

٤ المكاحل: جمع مكحلة، وهي البندقية. والكلمة اقليمية .

أَقْصِدْ بِلادَ الْكُفْرِ شَتِّتْ شَمْلَهَا ... خَرِّبْ بِهَا[1] مَا كَانَ مِنْ مَعْمُورِ
مَزِّقْهُمُ أَيْدِي سَبَا[2] حَتَّى يَـرَوْا ... قَدْ حِيلَ بَيْنَ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِ
وَاسْبِ الذَّرَارِيَ وَالْحَرِيمَ وَعَجِّلَنْ ... لِلنَّارِ كُلَّ مُقَاتِلٍ يَفْجُـورِ[3]
اقْتُلْهُمُ قَتْلاً ذَرِيعاً واتْـرُكَـنْ ... أَشْلاءَهُمْ نَتْنـاً لِطَعْمِ نُسُـورِ
أ - ٩٩ فَإِذَا فَتَحْتَ[4] وَقَدْ ظَفِرْتَ[5] بِبُغْيَةٍ ... وَقَفَلْتَ بَعْدَ سَعْيِكَ الْمَشْكُورِ /
وَقَسَمْتَ - ثَمَّ - مَغَانِماً حِلاًّ وَقَدْ ... سِيقَ الْكُرَاعُ بِمَالِهَا الْمَوْفُـورِ
فَارْعَ الرَّعِيَّةَ خَيْرَ رَاعٍ سُسْهُـمُ ... بِسِيَاسَةٍ مِـنْ عَدْلِكَ الْمَنْشُـورِ
شَاوِرْ ذَوِي عِلْمٍ وَدِينٍ نَـاصِحٍ ... وَدَعِ الْغُوَاةَ وَكُلَّ ذِي تَزْوِيـرِ
فَالْعِلْمُ مِيرَاثُ النُّبُوءَةِ نَالَهُ ... قَوْمٌ لَهُمْ حَظٌّ مِـنَ التَّنْوِيـرِ
كَمْ فِي بِلادِكَ مِنْ نَجِيبٍ حَافِظٍ ... وَمُشَارِكٍ فِي النَّظْـمِ وَالْمَنْثُـورِ
وَمُحَقِّقٍ وَمُدَقِّـقٍ وَمُنَاظِـرٍ ... مِنْ كُلِّ دَارِكٍ لِلْحِجَى نِحْرِيرِ
وَمُحَدِّثٍ مُتَمَهِّرٍ وَمُدَرِّسٍ ... مُتَبَحِّرٍ فِي الْفِقْـهِ وَالتَّفْسِيرِ
لَكِنَّهُمْ فَقَدُوا الإِعَانَةَ وَاغْتَـدَوا ... مَا إِنْ يُرَاعِيهِمْ ذَوو التَّأْمِـيرِ
ضَاعُوا وَجَاعُوا لا مَحَالَةَ وَابْتُلُوا ... فِي ذَا الزَّمَانِ الصَّعْبِ بِالتَّقْتِيرِ

---

١ في ب: «من».

٢ جاء في المثل: تفرق القوم أيدي سبا وأيادي سبا. وسبا هذا أو سبأ - مهموز - هو الأب لعامة قبائل اليمن، والمعنى: أنهم تبددوا وتشتتوا تشتتاً لا اجتماع بعده، وسبب ذلك أن الله قد أرسل على تلك الأرض سيلاً عزيراً فأغرقها، وذهب بجناتها وقصورها. فنزح سبا بقومه وأخذوا يضربون في الأرض فضرب بهم المثل. والمراد بأيدي سبا أو أيادي سبا جنوده.

٣ يفجور: كثير الفجور.

٤ أي فتحت مدينة وهران.

٥ ظفرت في ب: «بشرت».

مُنِعُوا حُقُوقَهُمُ(1) بِمَالِ اللهِ لا   يُرْجَى لَهُم طَمَعٌ وَلَوْ بِنَقِيرِ
حَتَّى حُبَيْسٌ كَانَ يَلْتَقِطُونَهُ   حُرِمُوهُ هَذَا غَايَةُ التَّنْفِيرِ
لا يَنْبَغِي أَنْ يُحْرَمَ الأَحْبَاسَ مَنْ   إِنْ يُعطَهَا تُصْرَفْ لِكُلِّ ضَرُورِ /
وَالْبَعْضُ يُمْنَحُهَا وَيَصْرِفُهَا لَدَى   شُرْبِ الدُّخَانِ وَخِسَّةٍ وَخُمُورِ
وَلَهُمْ وُجُودُكَ بِالإِعَانَةِ ضَامِنٌ   حَتَّى يَعُودَ الْعُسْرُ بِالتَّيْسِيرِ(2)
فَارْدُدْ حُبَيْساً - قَلَّ - يَمْتَصُّونَهُ   مَصَّ النَّوَاةِ وَنُقْرَةِ الْقِطْمِيرِ
وَتُعَوَّضُونَ بِحَوْلِ رَبِّي كَثْرَةً   مِنْ مَالِ كُلِّ مُعَانِدٍ وَكَفُورِ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نَرْجُو بِهِ   عَدْلاً يَنُوطُ بِذِي الْغِنَا وَفَقِيرِ
إِنِّي نَصَحْتُكَ وَالنَّصِيحَةُ دِينُنَا   فَاقْبَلْ وَلَمْ يَنْصَحْكَ دُونَ خَبِيرِ
بِقَصِيدَةٍ مَسْبُوكَةِ الأَلْفَاظِ قَدْ   حَرَّرْتُهَا فِي غَايَةِ التَّحْرِيرِ
أَلْفَاظُهَا الدُّرُّ النَّفِيسُ تَنَظَّمَتْ   فَاقَتْ نِظَامَ «فَرَزْدَق» وَجَرِيرِ
إِذْ قَصْدُهُمْ بِنِظَامِهِمْ طَلَبُ الدُّنَا   وَالْقَصْدُ فِي ذَا النَّظْمِ نُصْحُ أَمِيرِ
مَا إِنْ بِهِ طَمَعٌ يَشِينُ وَلا هَوًى   مِنْ وَصْلِ غَانِيَةٍ وَوَصْفِ خُدُورِ
أَرْجُو بِهِ نَيْلَ الأُجُورِ مَعَ الرِّضَى   وَبِصَالِحِ الأَعْمَالِ نَيْلُ أُجُورِ
هَذِي هَدِيَّتُنَا إِلَيْكَ وَلَسْتُ ذَا   وَفْرٍ فَأَهْدِي مُثْقَلَ الْمَوْفُورِ /
فَاللهُ يُبْقِيكُمْ(3) لِنَفْعِ بِلادِنَا   ظِلاًّ ظَلِيلاً غَايَةَ التَّعْمِيرِ

وكان الأمير(4) الذي قبل مولانا أرسل خمسين من الاخبية ، يحاصرون

---

١ حقوقهم: باشباع الميم ليستقيم الوزن .
٢ في ب: « للتسيير » بلام الجر .
٣ يبقيكم - باشباع الميم -: ليستقيم الوزن .
٤ الأمير: هو الباشا السيد حسن خوجة الشريف، تولى سنة ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م .

الطائفة الباغية، ويأكلون الضرع، ويفسدون الزرع، وذلك أول صفر من سنة ثمان عشرة[1] حتى يخرج هو بنفسه، ويباشر قتالها بحسه. فلما أدركه العذل، وانقلب للجد الهزل، وصار الأمر لمولانا «بكداش». لم يقدم شيئاً على الاعتناء بجهاد الكفرة الأوباش، فجمع من حينه العسكر المنصور، وأمّر عليهم السيد حسن[2]، نصره الله وأيّده، وخلد ملكه وأيّده. ثم قام المولى في عساكره المنصورة بالله وقال: «هذا خليفتي عليكم في كل حال، تخيرته للنيابة عني في تدبيركم، والقيام بالدقيق والجليل من أموركم. وقد رسمت له من وجوه الذب والحماية، معالم الرفق والرعـاية. ما التزم الاستيفاء به. والوقوف بجده عند حده. والمسؤول في عونه من لا عون إلا من عنده / . ولن أعرفكم من حميد خصاله. وسديد فعاله. إلا بما سيبدو للعيان، ويزكو مع الامتحان، ويفشو من قبيلكم - إن شاء الله - على كل لسان، وقد أمرته أن يكون لناشئكم أبا، ولكهلكم أخا، ولذي التقويس[3] والكبر ابناً، ما أعنتموه على هذا المراد، ولزوم الانقياد. وأما من شق العصا، وبان عن الطاعة وعصى، فهو القاصي، ولو مُتَّ إليه بالرحم الداني، فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة في جميع الأحوال، يكن لكم بالبر والموالاة خير والٍ» .

فقالوا كلهم: أن نعم، لله دره من خليفة وأنعم، فأقام فيهم سوق المعارف على ساقهـا، وأبدع في انتظام مجالسها واتساقها، وأوضح رسمها،

---

١ أي سنة ١١١٨ هـ - ١٧٠٦ م .

٢ حسن: صهره أوزن حسن .

٣ لذي التقويس: لصاحب الظهر المقوس، من جرّاء الشيخوخة والكبر .

وأثبت في جبين ايوانه وسمها. ثم ارتحل من الجزائر بالعسكر المنصور. ورياح النصر تضرب اللواء المنشور. ولم يزل يجد سيره في حفظ الله إلى أن نزل بالمحلات. وطاول المدلات. فطارت نفس الكافر في أثناء منازلتهم جزعاً. وذهب روعه مقسماً بالانكاد موزعا. ونغصت عليه مُنْيَته. وجاءته منيَّته. حتى ما كان يلتفت إلى / رهج[1] يغشاه. ولا يصبخ[2] إلى رجة تقلقل حشاه. ولما افترس لذلك الأمير المتقدم هذا الليث. وطمس رسومه هذا الغيث. وخاطبه بألسنة الاغماد[3]، ورماه بداهية زنـــاد، بقي الحفيد يتشوف لافق الملك وقد أفلت نجومه. محترسا من ذلك الليث الذي افترسهم هجومه. في ظنه أنه ينتهز الفرصة في غيبته، ويسترد ذهاب دولته. ولم يدر أن مولانا - نصره الله - انما تخلف عن الجهاد ليحمي الدولة من انقراضها. ويرمي من سعى في انتقاضها. فاتت به يوماً المنية، ونخطت به تلك السنية. وبقي مولانا عزيز الدولة على رسمه، مخطوب في منابرها باسمه. والاثنان اللذان كانا من الجند مع الحفيد، اغواهمـا الشيطان المريد، حتى دبت اليهما تلك الأفاعي. واشتملت عليهما المساعي، فخرّ جميعهم من عرشهم، وعوضوا التراب من فرشهم[4]، فتبارك من لا يكيده كائد، ولا يبيد ملكه - وكل شيء بائد - . /

---

١ الرهج: غبار يتطاير أثناء الحرب.

٢ يصبخ: يصغي ويستمع.

٣ ألسنة الاغماد: السيوف.

٤ كناية عن موتهم.

المقامة العاشرة

في حصر حصن العيون[1] . وكيف

استفتحه - عنوة - المسلمون

حصر هذا الحصن حامي حمى الدين وعاضده، وقاطع ضر المعتدين وحاصده. الذي هد بعزمه الجبال الشوامخ. واجتث بحزمه الأصول الرواسخ. الأمين المؤتمن. السيد «أوزن حسن». وذلك في ليلة النصب. من شهر ربيع الأول الانور النبوي سنة تسع عشرة ومائة وألف[2] . فكان هذا الحصن أول ما نزل بساحة أهله فساء صباحهم. وشاهت وجوههم. وأحاط بهم سوء كسبهم. وحاق بهم وبال أمرهم. فقتلوا خارجه، وسوجلوا فيه القتال بكرة وعشية. ولما كاثرهم أولياء الله يعلو - بكلمتين[3] - نداؤهم. وتكاثر أزهار البطحاء المختلفة الألوان راياتهم، لجأ - سراعـا - من انتشر بذلك السهل العريض من الأمم الكافرة. والنسم الغادرة. إلى مصدر الحصن. وكانوا في هذه المرة القريبة أوسعوه تحصينا، ونصحوا[4]

---

١ حصن العيون: يقال له - أيضاً -: «برج العيون» «وبرج الونيسي» نسبة إلى أحد رؤساء المدينة المسمى بابن الونيسي شيده الاسبان لحماية العيون التي يستقى منها أهل البلاد. ويعرف عند الاسبان بـ (CASTILLOS-FERNANDO)، (عبد الرحمن الجامعي . المصدر السابق . ص: ٦٠ - ٦٢) .

٢ الموافق لـ (١٤ جوان ١٧٠٧ م) .

٣ بكلمتين: الله أكبر

٤ نصحوا أثواب عورته: خاطوها. وهي كناية عن رصّ بنيانه. وسدّ جميع منافذه .

أثواب عوراته ترميماً وتشديداً. / والمدافع تصرخ عليهم، والبونبات تنوشهم، بعد مرافعات صعبة، وحملات مرة، ومدافعات تجاه بابه استوعب لفيفهم معها التحصن، واستكملوا التمنع، وهم ألوف حذر الموت يحضرون، وإلى الملجأ يتسابقون ويهرعون، وصدقهم المسلمون الضمة فدخلوا خندق الحصن صابرين، وتسنموا سوره ظاهرين، بعد اثخان القتل واعمال السيف، وبعد أن سدت مسالكه جثث القتلى، وملئت الرحاب أشده الصرعى[1]. ثم عاطوا من تحصن بالحصن كؤوس القتال، وأرسلوا عليهم صواحب النبال، وتعلقوا بأسواره يقرعون الثنايا، ويطلعون عليهم وجوه المنايا، واستنجدت آلات النقب والقفز، وطيرت إلى ذلك المعتصم المخفور[2] من ذمة الله حجارة الرجز[3]، حتى غشيهم السماء من البارود بدخان مبين، وعذاب أليم، ورمتهم المدافع بمحارق الشيطان الرجيم، ولمنتصف اليوم بعده القوا بالإذعان إلى حكم المسلمين، فانزلوا أعلامهم آخر النهار، بعد / أن علت بنود الإسلام على الاسوار، ومن الغد عمت فيه سباياهم الظهور والاكفال، وتجاذبت مقاتلتهم[4] وجلداءهم[5] السلاسل والحبال، وصلصلت لامتطاء نبهائهم الاصفاد والاكبال، فخرجوا وقد خلفوا المنازل مملوءة بالنعم والاقوات، والأمتعة والآلات، فخلفهم المسلمون انتهابـــا

---

١ أشده الصرعى: أشدهم حيرة ودهشا.

٢ المعتصم المخفور: الحصن.

٣ الرجز: العذاب.

٤ مقاتلتهم: المقاتلة الذين يأخذون في القتال والتاء للتأنيث على تأويل الجماعة.

٥ الجلداء: ذوو الشدة وأصحاب القوة، مفرده جليد.

لكثيرها، واستلابا لخطيرها[1]، حتى لم تبق يد إلا ملئت ولا نعمة إلا سبيت، سخط من أهلك القرى لما بطرت معيشتها، وأذل الأمم لما ركبت بغيها، فسبحانه لا مبدل لكلماته، ولا دافع لنعمائه، فصمتت ألسن نواقيسهم المصطخبة، ومزقت اشلاء تماثيلهم المتبرجة. وسكبت دماء احيائهم فوق دماء من قتلوه، وجوزوا جزاء الضعف[2] بما فعلوه. فيا بردها على كبد الإسلام من نار مشبوبة وأوثاق مطروحة، وأغلاق مفضوضة، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾[3] وقفل الجيش يجلب نصر الاكفاء له، وصنع صنعا لا أعهد مثله، وقد رفعت ألويته الخافقة على رماح الفخر، وفازت سيوفه الماضية بادراك الثأر. وظل محل الصيحة،
١ ومنزل النقمة، ومسرح / الفئة الكافرة الباغية ترده أفواج من عصائب الطير تتداعى الجفلى[4]، وتتجاذب للوليمة العظمى، واستباحت سيوف الله فيها من النسم[5] أعماراً عدة، ومن الحماة أولى بأس وشدة، اوزع[6] الله شكر هذه النعماء وكتب للإسلام حسن العقبى، وأما ما أسر منهم فخمسمائة وخمسة وأربعون، ليس فيهم أنثى ولا صغير إلا المردة[7] المحاربون، وكان

---

١ الخطيرة: النفيسة الرفيعة.

٢ جزاء الضعف: جزاء مضعفا.

٣ سورة «هود» الآية: ١٠٢.

٤ الجفلى: بفتح أوله وثانيه، هي أن تدعو الناس إلى طعامك دعوة عامة من غير اختصاص. يقال: «دعي فلان في النقرى لا في الجفلى» أي: في الدعوة الخاصة لا في العامة، والنقرى: بفتح أوله وثانيه الدعوة الخاصة.

٥ النسم: جمع نسمة وهو كل ذي روح.

٦ أوزع: ألهم وأرشد، أي: ألهم الله المسلمين شكر هذه النعماء.

٧ في ب: «المتمردة».

هذا الفتح عشية عاشر جمادى الأخير في السنة المذكورة[1] ، وباء[2] المؤمنون بشفاء الصدور ، وسرور القلوب ، وقرة العيون ، وقد علموا أن الله أحمى للاخذ بثأرهم من لا ينام عن الأمة ، ولا يصانع في رعي الذمة ، وجاست خيل الله من أحواز وهران الجو الذي لم يطرق في غير هذا الوقت حماه ، ولا عرف اسمه فضلا عن مسماه ، حتى لاذ فرسان النصرانية المتنصرة – على وفور عددهم – بالاسوار ، وطارقتهم الغارة الشعواء بباب الدار[3] ، ومن جعل هذا العسكر العثماني – نصره الله – في الأمر كله ، وتوعد / الكفر بحميته في سبيل الله ومن أجله ، فقدحه – ان شاء الله – المعلى ، وحظه بالخير أجدر وأولى . حفظ الله منه على المسلمين عنصر كلمته ، ومعدن قوته ، ووهب ريح نصره ومفزع شراته ، وطية ركاب مبشراته . وواصل لنا ولمولانا ما عوّد ، ومتع بما خول وأعان على ما قلد ، وأدام بقاءه ، وأعلى بالصنائع الباهرة علاءه .

---

١ أي سنة ١١١٩ هـ (٨ سبتمبر ١٧٠٧ م) .

٢ في الأصل : «وباؤوا» والتصويب من قلمنا .

٣ قال عبد الرحمن الجامعي : «وجد في برج العيون – بعد فتحه – من النصارى ثلاثمائة واثنان وعشرون ، وقيل خمسمائة ، ومن كفرة قبيلة «قزة» ستون ، وقيل ثمانون ، ووجد فيه من الجرحى سبعة وعشرون ، ومن الموتى أربعون ، فمنّ الأمير على هؤلاء الجرحى ، وبعث بهم لأهلهم ، ووجد فيه من البارود والسلاح والأقوات والأطعمة ما يستغنى به أهله لمدة حصره . واستشهد فيه مائتان من المسلمين» .
(الجامعي ، عبد الرحمن . شرح أرجوزة الحلفاوي . ص : ٦٤) .

المقامة الحادية عشر
في استفتاح حصن الجبل[1]، وكيف نزعه من أيدي الكفرة عن عجل

لما فتحوا الحصن الأول، صعدوا للذي في شاهق الجبل، وداروا به دوران الفلك وتأهبوا للقتال حتى اضمحلت المظالم، وصار البعض يخد[2] في أساس الصحن، والبعض يعالج تسور الحصن، وكان ابتداء حصنه[3] يوم الخميس، والجند منهم قائم وجليس، إلى يوم السبت فاستفتحوه، ومن الله استمنحوه، وكان استفتاحه في السابع والعشرين من جمادى الاخرى في السنة المذكورة[4]، وعدد من أسر منه مائة وستة رجال وست
١٠٩ نسوة[5]، وتحصن بالحصن المسلمون، وانقلب على الكفار الويل / والمنون، وصاروا يضربون بمدافعهم في المدينة، ومن ثم أدركتهم الهزيمة. وكان

---

١ حصن الجبل: برج جبل المائدة، وهو المعروف بـ «برج مرجاجو» Santa Cruz الذي بناه الاسبان بايعاز رجل من بني عامر المناصرين للاسبان على المسلمين.

٢ خد يخد: من باب قتل - حفر في الأرض، وجعل فيها اخدودا.

٣ حصنه: محاصرته من كل جانب.

٤ أي: سنة ١١١٩ هـ (٢٥ سبتمبر ١٧٠٧ م).

٥ قال الجامعي: «... وهم مائة وسبعة مقاتل وثلاث نسوة، ونفّل الله المسلمين سلاحهم وخزائنهم. وألفي فيه من المدافع ستة لها بال، لا يفي بثمنها كثير مال ...» (المصدر السابق. ص: ٦٦).

يوم هذا الفتح يوم زينة، رفعت الأصوات بذكر «لا إله إلا الله» بوقار وسكينة، فلله الحمد والشكر على هذه النعمة الجسيمة، والمنة العميمة، فدخله العسكر المنصور بالله ورايته منشورة، وآيات الفتح فوقها مسطورة، والمولى أبو الفتوح قد انتظمت في دولته الفتوحات انتظام العقود، واقتضيت بغرماء عزماته ديوان الأيام اقتضاء النقود، وطلعت من ثنايا أرائه السديدة وجوه السعود، وتكلفت نيته الصالحة بنيل المقصود، وانجاز الوعود، فمتى نشرت الفتوحات الفيت في لفائف جنوده ودائعه، أودعت لامال كانت بوجوده طائعة وسامعه، أو استدعيت لأمان انثالت في أيدي سعوده وان كانت شاسعه، أبقاه الله مكلة مآرب أمره، معملة عوامل نصره، فحقق لامن الله ما يعجز اللسان عن حصره، ولا زالت عوامله مصروفة في زيد عداه وعمره، / حتى تذعن الرقاب الغلب لقهره، وتعترف الدهور بمزية ١١٠ - أ
دهره، وحيث يسر الله تعالى بفتح هذه القلعة المنيعة، والهضبة الرفيعة، سفرت الفتوحات عن غررها، ووضعت أنباء النصر على صفحات السيوف وطررها، واستبشرت الأرض بوابل مطرها، وظفرت النفوس بأقصى وطرها، فالحمد لله الذي تمم لساداتنا الصنائع تتميماً، وجلى لهم وجه السعادة أغر وسيما، وأثبت لهم في صفحات الفخر ذكراً شهيراً ومجداً عظيماً. وجعل حدّ سيوفهم الماضية يستوعب العبد سبرا وتنسيما[1]، فكلما طلبوا الأيام بديونها لم تماطل غريما، وكلما اضمروا أمراً بعيداً أصبح ببابه مقيماً، والدعاء لمقامكم الاسمى بالعز الذي لا يزال لركابه العلي لزيما. والسعد الذي يروق أولياء مقامه الرفيع خصوصا وسائر المسلمين عموما، ولا زال

١ أي: جسداً وروحاً .

جنابه المؤمل كهفا والثناء عليه رقيما، حتى يصبح روض الكفر بهبوب عزائمه هشيما، ويستنشق الإسلام من اتاحة الكرة على يديه روحاً عاطراً
أ - ١١١ ونسيماً، / وجعل سعده يتضمن اعتاب الدهر كلما عتب، وأقلام رماحه تثبت في خطها النصرة الداخلة على العتب، وخطباء الفتوح تتوقل[١] في منابر العز عُلى الرتب، والاعتداد بمقامه العلي يزيد صرفه[٢] وضوحا، والآمال في ملكه التركي يهز منه نسيم هذه الانباء غصنا مروحا، وخافت الرجاء في هذه الارجاء ينفخ في عزائمه على جهاد الاعداء روحا، ويتلو عليه من النصر كتاباً مشروحاً، وأيد الله أمره الرفيع تأييدا، والهمه شكراً لا يعدم منه مزيداً، وجعل سيفه الماضي - كلما تقلد لأبواب الفتوح - اقليدا، ويستأنف به الإسلام عزاً جديداً، ويتلع[٣] جيدا، ويملأ ببلاد التثليث توحيداً، ويذيق الكافرين بأساً شديداً، ويريهم الفتح المبين قريباً وان كانوا يرونه بعيداً، أكرم به من أمير أصبح الغرب بنور دعوته مشرقا، وأساغ ريقه وكان به شرقا، واشتمل ملاءة الأمن وكان خائفاً فرقا، وغدا به ميزاج السياسة التركية لارتفاع ضدها ميزاجا متفقا، وأنشدها لسان
أ - ١١٢ السعد: «فاشرب هنيئاً عليك السعد مرتفقا»[٤] / .

ولا شك أن هذه الغزوة المستأصلة[٥] كانت لمرض الخلاف المزمن

---

١ تتوقل: تتصعّد وترقى .

٢ الصرف : - بفتح الصاد - الفضل والاحسان .

٣ يتلع : يقال: «تلع الرجل» من باب فرح - طالت عنقه أو قامته. فهو أتلع وتليع .

٤ هذا شطر بيت من البحر البسيط التام .

٥ المستأصلة: القاطعة لاصول الكفر والطغيان .

بحرانا[1] ، وحكماً يتبع من حلول النصر بدرجات النصل قرآنا، وفتوى رضي شهاب الحسام اختيارها. وكتبت أقلام الرماح في صحف الأيام آثارها، فقلنا: هذا أمر لنا جله أو كله، ومزن لنا طله ووبله. والآن ارتفعت عن الجهاد الشواغل والشواغب، وان لا يحظى بأمله الراغب. والآن تهللت الوجوه. واستشرف الدين الحنفي لما لم يزل يرجوه. كأننا بالعزائم لأداء حق الله مصروفة، والصوارم على سبيل الجهاد موقوفة. والهمم بأن تكون كلمة الله هي العليا – مشغوفة، ومن عامل الله بنصر هذه الأقطار المسلمة مع اختلاف الكلمة بما جمع بين السيوف والاجفان. ومهد القواعد بعد الرجفان[2] ، وأمسك حبلها العاصم عند فيض الطوفان، وسدد سهام الجهاد ففتح بها ثغر وهران، ومن عامل الله في حربها بنية صالحة ظهر – والله – ربحه، وطلع بالسعادة صبحه، وقد ظهر مجمل / ذلك بما يطول شرحه، فانه لما صدق فيها عزمه، لم يسل[3] سيف العدو إلا نبا عن ضريبه، ولا اعمل[4] عزما إلا بلغ غاية غريبه، ولا سدد سهماً إلا أصاب غرضا بعيداً، ولا غرس غرسا إلا أثمر مراما سعيداً. واننا أخذنا من السرور بتمام نعمة الله عليه. واستقرار فذلكة[5] الفتح لدينا بأقصى ما يأخذه الولي

---

١ البحران: – بضم أوله وسكون ثانيه – التغير الذي يحدث دفعة واحدة في الأمراض الحادة، ويعرف – في علم الطب – بتهيّج واختلال في القوة المدركة تسببه شدة المرض .

٢ الاجفان: – جمع جفن – وهي الاغماد للسيوف .

٣ يسل: بالبناء للمجهول .

٤ اعمل: الضمير فيه يعود على الداي بكداش .

٥ الأصل في الفذلكة: خلاصة ما فصل أولا، حساباً كان أو غيره، وهي مأخوذة من قول الحاسب إذا لخص وأجمل حسابه: فذلك كذا وكذا، اشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته. وفي الأصل: «فدلكة» بالدال المهملة، وهي تدل في اللغة العامية عند التونسيين على المزاح .

الحميم، ولمحنا من اتصال سعدنا بما سناه[1] من الصنع الكريم، والله يصل سعده، ويحرس لسيدنا مجده .

---

١ سناه: سقاه .

المقامة الثانية عشر

في خصر حصن بن زهوة[1]، وكيف استفتحه المسلمون عنوة

لما فتح الله على المسلمين، وأيدهم بالنصر العزيز المبين. انتقلوا لحصر حصن ابن زهوة، وكان في ربوة، فاستحقره الأسود الحوالك، وكان الأمر أشد من ذلك، فلما قابلوه واصلت الكفار رمي الرصاص وضرب المدافع، ولم تبق لأحد من المسلمين طاقة يدافع، وما ترى منا
إلا القتيل، والآخر / في الأرض مطروح ذليل، وكان ابتداء حصره في أ - ١١٤
يوم الاحد في الثاني والعشرين من جمادى الاخرى. ثم تفاقم الأمر. وتعاظم الكفر، حتى طأطأت صناديد المسلمين رأسها، وأبدت الأسود عبوسها، فأمر الخليفة[2] بحفر اللغم، كيما يزول عنهم الحزن والغم. فمكثوا مدة في حفره حتى استكمل، وأطلقوه فلم يصل. وكذلك الثاني[3] وفي الثالث هدّ شطراً، واستفتحوه من ذلك الموضع قهراً، وقتلوا الذين

---

١ حصن بن زهوه: هو برج اليهودي، و «زهوه» هو زاوي بن كيسة اليهودي المعروف بـ «بن زهوه» بفتح التاء وسكون النون. قال عبد الرحمن الجامعي: «بن زهوه بفتح باء «بن» وسكون نونه على لغة العامّة. وليس هذا من لحن قائله. وإنما هو من حكاية اللفظ على استعماله وهو واجب في الاسماء، لا سيما عند أهل التعريف بمسمّياتها». (المصدر السابق ص: ٥٧٠ .

٢ الخليفة: هو أوزن حسن .

٣ الثاني: اللغم الثاني .

فيه جميعاً، وانقلب إليهم النصر سريعاً، وما بقي إلا القليل بعثوه لمولانا اسماعيل[1]. وكان استفتاح هذا الحصن يوم الثلاثاء الخامس من شعبان المبارك سنة تسع عشرة ومائة وألف[2]. فهنيئاً للمسلمين بقدوم هذا الفتح على يد هذا الأمين. امام له صولة جرع الكافرين كؤوس المنية، وأظهر دين الحنيفية، يحيى بعز الدين الحنيف وجهه، ويطرق بخبر الفتح على أهل «لا إله إلا الله» سمعه، ويشرح بنصر الفئة القليلة على الفئة / الكثيرة صدره، السلطان أبو الفتوح أبقاه الله عمياً فضله، رفيعاً مجده، ماضياً عزمه، معظماً قدره، وملتزماً بره، جعله الله وصهره من المهتدين بهديه، السالكين في جهاد عدو الله على نهجه، حتى استقام عمود المسلمين من بعده، وبلغ التخوم القاصية نور دعوته، أنعم الله به على المسلمين، فحصر برج اليهودي[3] اللعين، حتى ظفر منه بالمنى، فانسدل عليه الهنا، وكان - نصره الله - أصحب العسكر عجلات، تحمل انفاطا وآلات، من أنواع السيف والسهم، ومواعين النقب والهدم، إلى الحصاصيد، والسلاليم، والفؤوس، والقواطيع، ثم ألقت إليهم المحلة[4] المنصورة بالله أفلاذها،

١ مولانا اسماعيل: سلطان المغرب الأقصى. والمراد بالقليل - في كلام صاحب المقامات - تسعة أو ثمانية أشخاص. قال عبد الرحمن الجامعي: «وقتل جميع من كان في برج بن زهوه وكانوا ما ينيّف على مائة وعشرين، إلا تسعة أو ثمانية فرّوا إلى حرم الباي. وكان مدة حصر برج بن زهوه بشهرين. فاستشهد في هذه المدة نحو المائتين من المسلمين». (المصدر السابق. ص: ٧٢ - ٧٣).

٢ الموافق لـ (٦ نوفمبر ١٧٠٧ م).

٣ برج اليهودي: سمي بهذا الاسم. لأن أحداً من اليهود اسمه زاوي بن كبيسة، المعروف بابن زهوة اتفق مع الاسبان أن يعينهم على دخولهم لوهران واستيلائهم على المدينة، شريطة أن يسلموا له هذا البرج فكان ما كان وأعطي البرج وسمي باسم ملته. وكان قبل ذلك يسمى بـ «برج المرسى» (- المزاري، بن عودة. طلوع سعد السعود ص: ١٩٢. - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق. ص: ٢).

٤ المحلة: الجيش. والكلمة اقليمية النزعة.

وعينت للصلاة في جميع حروبهم أفذاذها، فصبّحوهم يوم الثلاثاء وقد صكت من به[1] طبول الجهاد، التي قدم بها الامجاد. وانتشرت حواليه رايات النصر، التي رف عليها الغر[2]، ودارت بها المقاتلة[3] المسلمة التي لا يخامرها الرعب ولا يدخلها الذعر، وهو حصن[4] منيع، ومعقل شهير / ، وبلاء مبين، وقد كان صرف إليه الكفر عزمه، وأغرى به همه. فسد ثلمه، وأصلح خلله، ونظر إلى عوراته، فأوسعها تحصيناً حتى قطع الاطماع. وبتر الآمال، إلا أن الله تعالى لا تغالب قدرته، ولا تطاول عزته. ولا يرد عن القوم الكافرين سخطه[5]، فتعلق بـه[6] المسلمون. يخوضون غمار الشهادة ويتزاحمون على مراتب المنية، ويسمحون في مبايعة الله بالنفوس الزكية، إلى أن رمى اللغم شقه، وهدّه، واستوهى بخده، فاقتحمه المسلمون وقد خلفوهم قتلى ليس لهم ظهور، فكان ثالث الفتح المسطور، ثم علت فوق الأبراج رايات الإسلام، وارتفعت كلمة التوحيد، وتناول تماثيله التدمير[7]، وأنزل ناقوسه انزال التهوير، وجلب به على المسلمين عوارق الفتح المبين، وفازت يد الإسلام من هذا المعقل العزيز عليه بقرار القلوب وقرة العيون. وشفي منه داء عضال، وكفي بلاء لا يطاق. والعدو في أثناء هذا – حسبما نتعرفه من ألسن أسراره –، مجتمع بالمدينة يتقلب بين

---

١ به: الضمير يعود على برج اليهودي .

٢ الغر: الرونق، والبهجة، والحسن .

٣ المقاتلة: الجماعة الآخذة في القتال .

٤ في ب: «مصام» .

٥ في ب: «باسه» .

٦ به: الضمير يعود على الحصن .

٧ في ب: «التدبير» .

لهيب الحنق وجماره، وقـــد بث تلك الأمة المتلاحقة إليه من اسبانية
أ - ١١٧ بين أسواره، / ووحد لها ارتقاب أمره، وانتظار أخباره، ولا شك في أن هذه القروح يصير وخزها إلى قلبه، وتثير نكاياتها من عرقوبه، وبالله تذرؤ[1]. في نحره، وبحزب الله نستعين على حزبه، وبربنا - تعالى - نستظهر على ربه المنصوب[2]، وإلاهه المنحوت، وقد سقناه بانتهاز الفرصة، وعاجلناه في سبيل الله بالعزة، ومع اليوم عدة، ومجمع الصنائع لطائفه خفيفة، وجنوده كثيرة. وما قل من كان الله معه، وما ذلّ من كان الله ناصره، إله الخلق الآمر تبارك الله رب العالمين، وقد ظهر هذا الأمر وفشى حتى سر به جميع المسلمين، وأساء جميع الكافرين، ثم شرع العسكر المنصور بالله ينظر فيما يكون عليه العمل، من قصد غيره ومصادمة سواه في اختيـــار من يغمره من الفرسان الحماة، وحذاق الرماة ويستكثر به من الاقوات. والله المستعان وعليه التكلان. نسأله تعالى أن
أ - ١١٨ يبقي سيدنا على سائر كل شدة، ويخلد ملكه ويؤبده / .

---

١ تذرؤ: تكثر وتنتشر القروح في نحره .

٢ المنصوب: الصليب .

المقامة الثالثة عشر
في استفتاح مدينة وهران، وكيف صار عز الكفرة إلى الهوان

لا شك أنها مدينة بلقاء[1] الشهرة، وغاب البسالة، ومنبت الشوكة، وعقاب القواعد المغتصبة للمسلمين، ومحتط طائفة العرب العامريين، الخصيبة النبات والمستبحرة الماء والجنات، حيث الزرع يمتار[2] منه العباد والبلاد، مدد الوفود والكروم، التي[3] استثمرها الروم، تفهق[4] لها الجوابي[5] الجوب بدم العنقـود، الجناب الأعشب، والموضع المبهت المعجب، حجراً لارقم المختالة في جلود الزرود، والليوث الباطشة فوق فيول الخيول[6]، ومصرخ النواقيس الصائلة، ومنصب التماثيل المائلة. لا يخفى أنها كانت شجى في حلق الدين، وقذى في أعين المسلمين، تنتهب المراكب براً

---

١ بلقاء الشهرة: مشهورة كما اشتهرت البلقاء. والأصل في البلقاء سواد يشوبه بياض والبلقاء ناحية من نواحي الشام. قال عبد المؤمن البغدادي: «البلقاء، كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبها عمان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة». (مراصد الاطلاع، ج: ١ ص: ٢١٩).

٢ يمتار: يموهم ومنه امتار لعياله إذا جمع لهم الطعام والمؤونة.

٣ في ب: «الذي».

٤ تفهق:- من باب فرح - تمتلىء وتفيض.

٥ الجوابي: الأحواض التي تجبى فيها الخمر، أي تجمع.

٦ فيول الخيول: كهولها.

وبحراً. وتشن الغارات على أطراف البلاد قتلا وأسراً. حتى أتى الله بهذا السيد الذي أشرقت بطلعته - في سماء هذه المملكة - شموس الفتوح.
١١٩ بما منحه الله من النصر الممنوح، فاستدعى / أهل الجهاد، وضيق عليها فسيح البلاد، واستكثر أيات القتال، ورفع المجانيق على الاعجال، وأفاض العطاء الذي تجاوز شهور الاستحقاق إلى ما ورائها مما لم يستهـل حين هلاله، ولا وسمت خيلان[١] الليالي صفحة جماله، وواصل الجيوش من المطوعة[٢] الغازين المدونين[٣]. إلى حقوقهم من المغنم المتقدم والنفل المبارك المعين، فتضاعف بذلك يقينهم. وازداد به على قتال العدو حرصهم. وطابت على الموت نفوسهم. ولما كاثرهم السواد الأعظم. والبحر الذي لا يزحم، استحموا بحمى الأبراج المشيدة، وفرج الأبواب المتعددة، وتلاحق وابل الأمم المحشودة المحشورة، من المجموعة المنصورة الموفورة. تموج بهم عرفات موقف الجهاد، ويتراكم منهم - وفرهم الله - رجل[٤] الجراد، فشره[٥] الناس إلى العدو، وخفوا إلى حومة الحرب خفوفا لم يعطف فيه المتقدم، على المتأخر، ولا انتظر المسرع لحاق المتلوم[٦]. فانهارت
١٢٠ منهم الهضاب وانهالت، وتدافعت الاودية / وسالت، وجنحت الرايات

---

١ الخيلان: - مفرده خال - وهو شامة في البدن. أو بثرة سوداء ينبت حوفا الشعر غالباً. ويغلب على شامة صفحة الخد.

٢ المطوعة: الذين تطوعوا للجهاد.

٣ المدونين: المسجلين في سجل الغنائم.

٤ الرجل: - بكسر أوله وسكون ثانيه - جمع ارجل، وهي الطائفة من الشيء. ويطلق على الجماعة العظيمة من الجراد خاصة، وهو جمع على غير لفظ واحده.

٥ فشره الناس إلى العدو: اشتد ميلهم إلى محاربته.

٦ المتلوم: المنتظر لقضاء حاجته. أو المتعرض للأئمة في الفعل السيء. وهو تأخره عن الجهاد.

إلى حومة سورها الأدنى ومالت، كأنهم سحائب الخريف حركتها الزعازع وضربت أباط[1] ركائبها البروق الخواطف، وأحاط بها من قبل أن توزع الآلات، وتبوأ مقاعد القتال كماة الرماة . ففرعوا[2] للحين سورها واقتحموا منازلها ودورها، وصدقوا حاميتها الضمة[3] . وولوا عليها شدة، حتى ازعجوهم عنها عنوة، واستلحموا منهم جملة، وتعلقوا بسور البلد وبادروا الهيعة[4] . وقد هزت رياح النصر عذبات الرايات، وسد ما بين الخافقين علو كلمة الشهادات. باختلاف الأصوات، وصكت الاسماع رعود الطبول، واستنجز المؤمنون الصابرون من ربهم ميقات الوعد المفعول، فلا ترى إلا هاويا من ذرى شرفة تخلفه جمة[5] ، أو شهيداً تتراحم على مواقفه لمّة[6] . أو ثنية تفرع[7] . أو شعاراً يسمع، ونزل الصبر، وانجز الوعد، وقذف الله الرعب في قلوب الكافرين، وأمد أولياءه بالملائكة المسومين، ففرعت أسوار المدينة، ودخلت والحمد لله عنوة، وقد شهرت / ١٢١ - أ السيوف، وتخارقت الرماح، وحق عليهم القول، وأخذتهم الرجفة، ولولا أنهم هربوا ليلا لهبروهم بالسيوف، وعاجلوهم بالحتوف، واستولوا على أقطار المدينة استيلاء عجل المجانيق عن الركوع، وصواعق الصخر عن

---

١ الاباط: جمع إبط يذكر ويؤنث، وهو باطن الكتف من كل ذي روح .

٢ ففرعوا: اعتلوا وصعدوا .

٣ الضمة: الحلبة في الرهان، لأنها تضمّ الخيل المندفعة من أوب وصوب .

٤ الهيعة: الصوت المخيف، والمفزع للعدو .

٥ الجمة: - بضم أوله وفتحه - معظم الشيء، أو الكثير منه .

٦ اللمة: المجتمع من كل شيء، ويراد به - هنا - مجموعة من المجاهدين .

٧ تفرع: - بالبناء للمجهول - يصعد عليها وتعلى .

الوقوع، ولولا أن العدو كان متأهباً للفراغ[١] ، وانه حمل متاعه إلى عدوتهم التي زعموها محـل القرار، لانطلقت الأيادي على ما لا يناله الحصر ولا يدركه العد، من الذخائر المصونة، وآنية الرقة الثقيلة، والاسلحة المستجادة وعاثت في الخزائن الطامية، والاقوات الماثلة، ودنان الادهان[٢] المدخرة، والخمور المفوهة، ابادة وعبثا، واراقة ونقلا، إلى ما يكاثر الحصى، واجزاء الهباء، وقيدت نواقيسها بالحبال التي حركت جبالها، وقلقلت هضابها[٣] ، فابرزت خاسئة فاغرة، وتركتها - بعد سلّ ألسنتها - دامية ثاغرة، وكفى الله شرهم، ودفع ضررهم، واستأثر هذا السيد - نصره الله - بالسعد

١٢٢ - أ المعجل، فدخلها خليفته[٤] وعسكره / المنصور بالله في اليوم الأغر المحجل، من شوال سنـة تسع عشرة ومائة وألف. (١١١٩ هـ)[٥] وحصلوا عليها من غير سلاح يعمل، ولا حق يهمل، ولا نفس ريعت[٦] ، ولا حرمة للدين اضيعت، فانتظمها سلك الأمير السعيد، واتصل الأمر القريب منها بالبعيد، فاقيمت فريضة الشكر - والحمد لله - لوقتها، وتليت في بساط الاعتبار بالنعم: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾[٧] . وقد كان - لما طال حصرها، واشتد على المجاهدين ضرها -،

---

١ للفراغ: لاخلاء المكان الذي كان يعمّره .

٢ الادهان: مفرده الدهان، لغة اقليمية في الزبدة المملحة .

٣ أي حبال مدينة وهران وهضابها .

٤ خليفته: هو وزيره وصهره أوزن حسن .

٥ الموافقة لـ (٢٠ جانفي ١٧٠٨ م) .

٦ ريعت: اخيفت، وارهبت من راع منه إذا خاف .

٧ اقتباس من آي الذكر الحكيم، سورة «الزخرف»، الآية: ٤٨ .

خطر بخواطر الجم الغفير، انها لا تفتح على يد هذا الأمير، بل ادعى بعضهم أنها لا تفتح أبداً، وانها لا تزداد إلا قوة ومددا، ومولانا – نصره الله – لا يثنى عنانه عن طلبها العنا، ولا يلحقه في جهادها ضعف ولا ونا، وفي تلك المدة، وهاتيك الشدة، كاتبه العالم العلامة، الدراكة الفهامـة، الأديب اللافظ، الاريب الحافظ، السالك الناسك، مقيد أوابد العلوم بعقال عقله أيّ قيد، سيدي أبو زيد الشيخ الرباني، / العـالم العرفاني، أ – ١٢٣
أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم الشهير بالقرومي، وهو – رضي الله عنه – رجل من أهل اللسان في التكلم، والصبر على التعليم والتعلم، يحمل من العلم فنونا، ويقتضى منه على الأيام ديونا، ويخطب من أنواعه بابداع حفظ، وحفظ ابداع أبكارا وعيوناً، إلا أن أرج عرفه، ونهج بالاستيلاء[1] على ما قدر له منه طرفه، وقد ارتسم في الولاية تلو أبيه، وارثا لمقامه ذلك النبيه، إلى أن استدعته الحلقات العلمية، فهلّ بها بدراً، وتقدم فيها صدراً، قد رفع الله له في أهل العلم قدراً، واستعمله فيما هو به اعرف له وأدرى، برسالة على لسان والده، وانه حان وقتها، وناح سمتها، وهي هذه :

«الأمير الذي شهدت بامامته أبرار الرجال، ووجبت بيعته وطاعته علينا في جميع الأحوال، فقمنا لله في نصحه بالدعاء له بالنصر والرشد في الأقوال والأفعال، إمام المسلمين، وخليفة رسول رب العالمين، في أحكام الله وتعظيم شعائره السيد محمد «داي» بلغة الوقت، والإمام العادل / في أ – ١٢٤

---

١ الاستيلاء: في ب: «الاستلاء».

حقيقة النعت، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، من محبكم ومعظم جلالكم بالشرع والطبع، أبي زيد، محمد، بن عبد الرحمن، ابن ابراهيم .

وبعد: مما وجب اعلامكم ببشائره لعظيم قدره، وفقد نظائره، ما أجرى الله بوارد الالهام، وتحقيق سيرة النبي – عليه السلام –، على لسان والدنا – حفظه الله – الشيخ المسن بتحقيق امامتكم، والشهادة بمنصة جلالكم، وذلك أنه أملى علينا لسبعة عشر يوماً خلت من رمضان أبياتا، جرت على لسانه بوارد الجبر، الذي هو نوع من المكالمة والمحادثة في طريق القوم[1] على بساط المشاهدة والعلم اليقيني. ونص الأبيات التي أملاها علينا هي[2] :

اللهُ أَعْـلَمُ مَا أُقَاسِي مِنْ جَوًى[3] ... عَمَّنْ بِوَهْرَانَ مِنْ ذَوِي الأَحْلَامِ[4]
يَا أَمِيرَ جَيْشٍ قَدْ عَلَيْنَا تَطَاوَلَتْ[5] ... أَيَّامُ فَتْحِكَ لَمْ تَحِنْ بِتَمَـامِ
فَانْهَضْ بِعَسْكَرِكَ الْعَرَمْرَمِ وَاسْتَعِنْ ... بِاللهِ يَنْصُرْكُمْ عَـلَى اللِّئَـامِ / أ - ٢٢٥
فَإِذَا ظَفِرْتَ بِفَتْحِهَا أَحْسِنْ[6] إِلَى ... مَنْ كَانَ عِنْدَكَ بِالرِّضَى وَمَـرَامِ

---

١ القوم: هم رجال التصوف .
٢ من وزن البحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .
٣ في ب: «الجوى» .
٤ الشطر الثاني من البيت مختل الوزن .
٥ الشطر الأول من البيت مختل الوزن .
٦ في ب: «فاحسن» .

فَاللهُ يَنْصُرُكُم وَيَشْكُرُ فِعْلَكُمْ ... وَيَزِيدُكُم فَخْراً لَـدى الإِمَامِ
وَلَقَدْ تَشَوَّقَتِ النُّفُوسُ لأَوْبَـةِ ... السَّادَاتِ وَالأَوْلادِ وَالْكِرَامِ
ثُمَّ السَّلامُ عَلى الْمُجَاهِدِ حَيْثُمَا ... وَعَلى الْوُلاةِ مِنْ ضَيْغَمٍ وَهُمَامِ[١]
وَعَلى وَلِيِّ اللهِ أَزْكَى تَحِيَّةً[٢] ... فَعَسَاهُ يُسْلِمُهَا إلى الإِســلامِ
ثُمَّ الصَّلاةُ عَلى النَّبِيِّ وَرَهْطِـهِ ... وَعَلى الْعَوَاتِكِ مِنْ ذَوِي الأَرْحَامِ

ولما أنشدنا هذه القطعة سألناه عن مراده بالأمير. فقال: هو خليفة الاجناد بالمغرب، صهر الأمير[٣] – نصر الله –. وقلنا له: ما أردت بقولك: «ويزيدكم فخراً لدى الإمام»، فقال: الإمام هو أميرنا وخليفة الرسول علينا، فهذه الشهادة من هذا الولي هي بيت القصيد البشرى لكم. لأن الامامة هي الخلافة، ولا يتصف بها إلا من كملت أحواله، وصدقت في الله أفعاله وأقواله، كما علمتم. وفي هذا كله اشارة إلى الفتح الذي
اختاره الله / في ولايتكم وخلافتكم وبقية معنى الأبيات واضحة الدلالة ١٢٦ – أ
تكميل: «العواتك» التي ختم بها هي اللواتي افتخر بهن عليه الصلاة والسلام في رميه حيث قال عليه السلام: «أنا ابن العواتك ولا فخر ..» الحديث[٤] .. فكأن الولد هزته زعازع الأشواق إلى تلك المواطن التي خص الله بها ﴿رِجَالاً

---

١ الشطر الثاني من البيت مختل الوزن.
٢ الشطر الأول من البيت مختل الوزن، ويريد بـ «ولي الله» سيدي محمد الهواري دفين مدينة وهران والمتوفى سنة ٨٤٣ هـ – ١٤٣٩ م.
٣ صهر الأمير: هو أوزن حسن.
٤ جاء في «الكبير» للطبراني، و «سنن» سعيد ابن منصور: «أَنا ابْنُ الْعَوَاتِكِ مِنْ سُلَيم». (الجامع الصغير، في أحاديث البشير النذير للسيوطي، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧ م ص: ٩٦).

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[١]. فهذه نكتة فيها من براعة حسن الختام، ومطابقة الحال لمقتضى المقام، ما لا يخفى على ذي ممارسة لصناعة المقال، وذوق في صدق الأحوال، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، نحمدك اللهم ونشكرك على ولاية من هو عالم بمحاسن الاقوال، وقائم له في سبط الأحوال والسلام». فكان الأمر كما قال هذا الشيخ - رضي الله عنه - وحقق الله أمنية الأمـير - نصره الله - فأدرك طلبه منه، فوقع هذا الفتح المبين عند استشراف النفوس إليه، بتمالؤ الصالحين عليه، ومن حينه انتشرت به في الأقطار البشائر، خصوصاً لثغر الجزائر، فكان يوم عيد، وسرور
١٢٧ - أ جديد، وطرازاً / على الحلة السيرا[٢]، وتماماً للنعمة العظمى. وأملا في ظهور الدين فقد فجع فيه الكفر بأمّ من امهاته، وكرسي مستقل بذاته، فلله الحمد وله المنة - سبحانه تعالى - ما أمنه. ثم احتفل الأمير - نصره الله - لأيام الزينة، في وقار وسكينة، وطرب جرد من الجبل تسكينه، فصارت الأسواق دوراً، وأصبح أهلها زائراً ومزوراً، وأمست الأجنـة فراديس، وجعلت الخيل كراديس[٣]، وبرزت[٤] ربات الخدور، بين شموس وبدور، فلا تبصر إلا غانية وغانياً، ولا تسمع إلا مثالثا ومثانيا[٥]،

---

١ هذا اقتباس من آي الذكر الحكيم سورة «الاحزاب» الآية ٢٣ .

٢ السيراء: برود مخططه منسوجة بالحرير وحذفت همزته نزولا عند رغبة السجع .

٣ الكراديس من الخيل: العدد الكثير منها .

٤ في ب: «وبدرت» .

٥ آلتان للطرب ذواتا وترين وثلاثة أوتار .

من مهرجان خطير ، أزرى بعرس « بوران »[1] وأيام « يزد شير »[2] ، أقبلت فيه التهاني على مولانا من كل شاعر ، ونظم في ذلك من لا يعد مع ناظم ولا ناثر ، من ذلك قول شيخنا أبي عبد الله محمد بن محمد الثّغيري[3] الذي أحيا الله به ، مآثر سلفه ، وان لم يكن درست ، وأينعت فيه ثمر قومه ، فعادت كاليوم الذي فيه غرست ، فنجم ، ونجب ، ووعظ ، وخطـ ، وأقرأ ، وتكلم ، ودرس وعلم ، وأرشد ، / وفهم ، وحكم ، وقضى وأنفذ ، أ - ١٢٨
وأمضى ، معتمداً على حفظ أصيل ، وبيان وتحصيل ، وعلم راسخ ، وبيت شامخ ، وعقل راجح . وفضل واضح ، وزكاة وطهارة ، وعفاف من الصبا كمل غراره ، فهو اليوم عين مصره ، بل فريد عصره ، وقريع مجده ، بل نسيج وحده ، يقرىء من العلم فنوناً[4] ، ويستحضر من تلك الفنون عيونا ، يستدعي خشوع الجمهور بوعظه ، ويزين مجالس الموعظة بحفظه ، وربما استدعاه طبع الأدب للخوض في لجته ، والابانة لحجته ، والمزاحمة بفوجه ،

---

١ بوران : هي خديجة بنت الحسن بن الحسين بن سهل ، تزوجها المأمون بن هارون الرشيد أيام خلافته على يد اسحاق الموصلي ، وقد صرف في عرسها آلاف الآلاف من الدنانير وفي تزويجها قصص مشحونة بها كتب الأدب ، لا سيا قصة « الزنبيل » ، وكانت « بوران » أجمل نساء عصرها وأذكاهن . توفيت سنة ٢٧١ هـ / ٨٨٤ م وقد بلغت ثمانين سنة . (الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ج : ٢ ص : ٥٦) .

٢ يزدشير أو يزدجرد : اسم لأحد ثلاثة من ملوك الفرس من بني ساسان أولهم تولى سنة ٣٩٩ م وتساهل في أمور الدين فاغتاله المجوس سنة ٤٢٠ م وثانيهم تولى سنة ٤٣٨ م وتوفي سنة ٤٥٧ م بعدما اضطهد « الارمن » وأرغمهم على اعتناق المانوية ، وثالثهم - وهو الأخير - تولى سنة ١١ هـ / ٦٣٢ م وقتل بخراسان سنة ٣٠ هـ / ٦٥١ م عند هروبه من العرب الفاتحين لبلاده أيام عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ولعل المؤلف أراد هنا الأخير . (أويس وفا ، منهاج اليقين ، مطبعة اسطنبول ، ص : ٣٩١) .

٣ في شرح الجامعي على قصيدة الحلفاوي وفتح وهران « النقبري » وفي طلوع سعد السعود للمزري : « التغربري » .

٤ في ب : « الفنونا » .

والمصادمة لموجه، بارجوزة محتوية على تاريخ عجيب. وهي[١] :

الْحَمْدُ للهِ الَّـذِي قَـدْ فَتَحَـا ... وَهْرَانَ عَنْ أَيْدِي الرِّجَالِ الصُّلَحَا
وَقَهَرَ الْقَوْمَ اللِّئَـامَ الْفَجَـرَهْ ... وَرَفَعَ الإِسْلامَ فَـوقَ الْكَفَـرَهْ
فِي مُدَّةِ السُّلْطَانِ فَخْـرِ النَّاسِ ... أَحْمَدَ خَـاقَـانَ أَبِي الْعَبَّـاسِ[٢]
مَنْ مَلَكَ الْبَرَّيْنِ وَالْبَحْرَيْـنِ ... وَمِصْرَ وَالشَّامَ بِـدُونِ مَـيْنِ
وَخَادِمُ الْحَرَمَيْنِ طُولَ الْمَدَى[٣] ... دَامَ انْتِصَارُهُ عَـلى جَمْعِ الْعِدَا /
يَا سَائِلاً عَمَّـا بِوَهْرَانَ ظَهَـرْ ... مِنْ أَخْذِهَا وَفَتْحِهَا كَمَا اشْتَهَرْ
أَخَذَهَـا الْكُفَّارُ بِالثَّبَـاتِ ... فِيمَا رَوَيْنَاهُ عَنِ الثِّقَاتِ
سَنَةَ أَرْبَـعٍ وَعَشْرَةٍ مَضَـتْ ... مِنْ بَعْدِ تِسْعِمَـائَةٍ[٤] قَدْ كَمُلَتْ
فَمِائَتَانِ مَـعَ خَمْسَةٍ سِنِـينْ ... عَدَدُ مُكْثِهَا بِأَيْدِي الْمُشْرِكِينْ
ثُمَّ بَـدَا الْعَزْمُ مِـنَ الإِلَـهِ ... وَجَاءَنَا الْفَتْحُ بِنَصْرِ اللهِ
فَفُتِحَتْ سَنَةَ تِسْعَةَ عَشَرْ ... وَمِائَةٍ مِنْ بَعْدِ أَلْفٍ[٥] تُعْتَبَـرْ
فِي سَادِسِ الْعِشْرِينَ مِنْ شُوَّالِ ... صَبِيحَةَ الْجُمُعَةِ خُـذْ مَقَـالِي
عَنْ يَدِ مَنْ صَيَّرَ الْجَـزَائِـرْ ... جَنَّةَ كُلِّ قَـاطِنٍ وَزَائِـرْ
مُحَمَّدِ الْبَكْدَاشِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ... وَحَسَنٍ صِهْرِهِ عَـالِي الصَّوْلَةِ
زَادَ الإِلَـهُ لَهُمَـا فِي النَّصْرِ ... وَالظَّفْرِ وَافْتِتَـاحِ أَرْضِ الْكُفْرِ

---

١ على وزن بحر الرجز .
٢ خاقان: امبراطور، والكلمة تركية الأصل، تولى سنة ١١١٥ هـ - ١٧٠٣ م وعزل سنة ١١٤٢ هـ - ١٧٣٠ م وتوفي سنة ١١٤٩ هـ - ١٧٣٦ م .
٣ في ب: «في طول» .
٤ الموافقة لسنة ١٥٠٨ م .
٥ الموافقة لـ (٢٠ جانفي ١٧٠٨ م) .

لا زَالَ مَنْ عَادَاهُمَا في الانْتِقَامْ ... بِالْقَهْرِ وَالنَّهْبِ عَلى طُولِ الدَّوامْ
ثُمَّ الصَّلاةُ عَنْ مُحَمَّدِ الأَمِيْنْ ... وَآلِـهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينْ /
مَا جَاهَدَ الإِسْلامُ في الْكُفَّارِ ... بِالْقَتْلِ وَالأَسْرِ وَأَخْذِ الثَّـارِ

وكاتبه شيخ الإسلام، ومدار شريعة الأحكام، أبو الوفا، السيد مصطفى، بن عبد الله البوني الخطيب، الـذي لا يستفزه الهول، ولا يعوزه وان تشعبت أفانين المقول والقول، ولا يستمدّ في هذه الطريقة إلا مدد من بيده القوة والحول، يبتدع الخطب جارية الفقر على ما ينظم في الوقت من قلادة، أو ينشىء من ظهير على فقرة معتادة، صدرت له في هذا النوع عجائب أفردته بصنعة الخطابة، وجعلت الثناء عليه لازم الاطالة والاصابة[1]، ولم يكن في عصره من حملة العلم وشيوخ الافادة أقدم منه على الأدب، ولا أوسع صدراً بما يرجع لطريقته من فنون الطلب. قرىء في حلقته على سبيل التفقه تفسير الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي[2] – رحمه الله تعالى، ورضي عنه – فأجاد فيه التدريس، وأنس الطلبة من البيان والبديع بالأمثلة الواضحة أجمل التأنيس، وهو يقرىء علم العروض ويعلمه، / ويبين من البيان ويفهمه، ويمثل جنس البديع ويحكمه، وله في الخطب الساعد المشتد، والباع[3] الممتد، والالقاء الذي تميل إليه

---

١ في ب. «وطابه».

٢ هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. ولد سنة ٧٨٥ هـ ١٣٨٣ م بـ «واد يسّر» قرب الجزائر العاصمة. وتوفي سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م بمدينة الجزائر حيث ضريحه ما زال يزار إلى الآن. (نور الدين عبد القادر. صفحات في تاريخ مدينة الجزائر. قسنطينة: مطبعة البعث. ١٩٦٥ م ص: ١٦٦)

٣ في ب: «وابتاع»

الهوادي وتمتد، والسكينة التي تحدق إليها الأبصار فلا ترتد، لم أر[١] منذ عقلت بسني، وعلقت خطابته بذهني، أحق منه في طريقة الوعظ والخطابة والامامة، ولا رأيت من شيوخنا من يتقدم أمامه، لا جرم انه استحوذ عليها. صناعة استوفى شرطها، واستكمل أسبابها، وحصل مع ارتفاع موانعها عنه آدابها، فبرز فيها، وعطف عليها، سابقاً لمن تقدم قبله، ومتبعا لمن أتى بعده، وكذلك هو في وعظه آية من آيات فاطره[٢]، يقدم فيه بترسل وسكون فلا يعدو سمع حاضره، ثم ينتقل به في درجة الترغيب والترهيب، وترجّي جنة التنعيم وتخويف درك التعـذيب، إلى أن يحصل في النفوس للخشية استعداد، وترد على القلوب من الخشوع امداد، فعند ذلك يلقي ما كان له في زويته اعداد[٣]. فترتج له المسامع، وتنهل من خشية الله المدامع، ويلين لذكر الله / المنصت السامع، ويملأ بأصوات البكاء من لجأ إلى الله المسجد الجامع، ويعلق آماله – مما قبل الله من المثوبات – الراجي الطامع. زعم من رآه أنه لم يسمع من حضرة الجزائر إلى أم القرى[٤] أخطب منه، ولا من يدانيه إلا واحداً من الأفاضل، لم يكن له بمماثل وإنما كان قريباً من أسلوبه، ومنبعثاً إلى مثل مطلوبه. وعلى هذا المهيع كانت مجالس وعظه، المتعطشة إلى الحكمة المتجافية الجنوب عن المضاجع، اعتلاقا بوراثة من خصه الله بالعصمة، وجعل بمبعثه الكريم علينا اكمال

---

١ في الأصل «لم أرى» والتصويب من قلمنا.

٢ فاطره: خالقه.

٣ اعداد: نائب فاعل لـ «يلقي».

٤ أم القرى: مكة المكرمة.

الدين واتمام النعمة، ولم تزل مواعيده الغاصـــة بأهل الخير تثبت فيها الصداقات، وتجزل فيها – ابتغاء لوجه الله – النفقات، وتباري إلى التماس الفوز بما يبذل في مرضات الله في طاعته والمنفقات، بقصيدة من مشطور الرجز، وأوجز فيها وأنجز :

يَـا سَيِّدِي مُحَمَّـدِ ، بكْدَاشِ ، نَجْلِ الأَمْجَدِ
عَلي الْـوَلِيِّ الرَّضـي الْهَاشِمِيِّ الأَنْجَـدِ
أ - ١٣٣ قَـدْ سُدْتَ كُـلَّ مَلِكٍ وَفُقْتَـهُ بِالسُّؤْدَدِ /
لَقَـدْ فَتَحْتَ وَهرَاناً بِالعَسْكَرِ الْمُـؤَيَّـدِ
بِالنَّصْرِ وَالرُّعْـبِ مَعـاً وَكُلُّ سَيْفٍ مَـاجِـدِ
وَحَسَنٌ سُلْطَـانُهمْ بَيْنَهُـمُ كَالأَسَـــدِ
وَعَـدْتَني بِمَا أُحِـبْ مِـنْ أَمَـلي وَمَقْصِدِي
أَيْـنَ الَّـذِي وَعَدْتَـني يَـا سَيِّدِي وَسَنَـدِي
أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدْ بَلَغْتُ كُـلَّ مَقْصِدِي
بِجَـاهِ سَيِّدِ الْـوَرَى الْهَاشِمِي مُحَمَّـدِ
صَلَّى عَلَيْـهِ رَبُّنَـا مَا لاحَ نُورُ الْفَرْقَدِ
صَلاةً تَتْرَى أَبَـداً لا تَنْتَهِي بِعَـدَدِ
وَآلِـــهِ وَصَحْبِـهِ ذَوِي الْوَفَـا بِالْمَوْعِـدِ

المقامة الرابعة عشر
في استفتاح برج الاحمر[1] والجديد[2]،
وكيف ألقوا لأبي الفتوح المقاليد

ولما بصروا بفتح المدينة، تمزقت قلوبهم بضربة مكينة، وتشاوروا
أ - ١٣٤ فيما / بينهم، ورأوا أن الهلاك يفضي إليهم، لكنهم اظهروا التجلد فحاربوا يوم الفتح، من المساء إلى الصبح، ثم مكثوا هنيئة من الزمان، وطلبوا الأمان، جزعاً من الموت، وأسفاً على ما يفقدونه بطول المـــدة من القوت. وخرج النصارى، وصاروا أسارى، نحو خمسمائة وستين، وألقوا أسلحتهم ومفاتيحهم[3] في الحين، وأورث الله المسلمين أرضهم وديارهم وأموالهم، وأخذوا منهم ثأرهم، وحرس الوطن بوجود الأمير حرس الله جوانب علاه، وأعانه وتولّاه فيما ولّاه، وحفظ عليه ما أولاه، كما جعل أوصاف الكمال حلاه، وعرفه عوارف السعد الرائق متجلاه، وأدخر له الفتح المبين وسناه،

---

١ البرج الأحمر وبرج المرسى اختطهما أبو الحسن المريني سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م.

٢ أي البرج الجديد الذي اختطه الاسبان. قال عبد الرحمن الشقراني: «فبرج مرجاجو، وبرج رأس العين، والبرج الجديد، وغيرها كلها اختطها الكفار. ما عدا برج اليهودي فاختطه اليهودي، وبرج المرسى، والبرج الأحمر فاختطهما أبو الحسن المريني كما مر. لكن الكفار زادوا فيهما فاتسعت دائرتهما. وذكروا أن البرج الجديد أقامته كافرة بتسعين ألف ريال كبيرة، وذكروا أنها صدقة من مالها». (القول الأوسط في أخبار ما حلّ بالمغرب الأوسط. ص: ٣١ . مخطوط خاص).

٣ في الأصل: «ومفاتحهم» بدون ياء بعد التاء، والتصويب من قلمنا.

والنصر الذاتي من غصون الرماح الذي جناه، والصنع الذي ينال به الدين الحنيف ما يتمناه، وكتب له فخراً عاطراً رياه، وسعداً مشيداً مبناه، واطلع من غرر الفتوح كل وافد يبهر محياه، ووارد - مهمى تلقاه - روح الحياة بداه، وحياه. حتى يتم بهذا القطر نور الله الذي وعد باتمامه وان كرهه الكافر وأباه، ﴿وَمَا كُنَّــا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾[1]. ثم
ترادفت بهذه / الفتوحات التهنئات، وفرعت بالبشائر الثنيات، من ذلك أ - ١٣٥
قول الأديب أبي عبد الله السيد محمد بن يوسف[2] :

مَـوْلايَ فَضْلُـكَ لِلْكُرُوبِ مُـفَـرِّجُ
وَبِتَـاجِ عِـزِّ اللهِ أَنْتَ مُتَـوَّجُ

وَجَمَعْتَ بَيْنَ مَكَـارِمٍ وَفَضَائِـلٍ
أَضْحَى بِهَا صُبْحُ الْهَنَا يَتَبَلَّجُ

وَسَعِدْتَ حقًّا مُذْ صَعِدْتَ ذُرَى الْهُـدَى
فَبَدَا لَنَـا مِنْهَا سَبِيلٌ وَمِنْهَــجُ

وَعَلَـوْتَ - فَضْلاً - مَتْنَ طَـوْدٍ بَـاذِخٍ
رَحْبِ الذُّرَى وَشِراؤُهُ[3] يَتَوَهَّــجُ

---

١ سورة : «الاعراف»، الآية ٤٣ .

٢ على وزن بحر الكامل الصحيح العروض والضرب. والمنشد كان جنديا في المعركة .

٣ الشراء: الناحية والجانب من الجبل ومن كل شيء .

وعَرَجْتَ مِعْرَاجَ الْكَمَالِ فَفُقْتَ مَنْ
فِيهِ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَعْرُجُ
وَرَكِبْتَ لُجَّةَ بَحْرِ جُودٍ دَافِقٍ
أَنْهَارُ كَوْثَرِهِ لَنَا تَثَجَّجُ[١]
أَصْبَحْتَ في أُفُقِ السَّعَادَةِ طَالِعاً
أَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ وَأَبْهَجُ
في ثَوْبِ تَأْيِيدٍ وَنَصْرٍ قَدْ صَفَا
لَمَّا أَتَى حَادِي[٢] الْمَسَرَّةِ يَعْمَجُ[٣]
وَقَدِ امْتَطَيْتَ مَطِيَّةَ الْعَزْمِ الَّتِي
بِكْراً أَتَتْ في مَشْيِهَا تَتَخَزْلَجُ[٤]
ثُمَّ اسْتَوَيْتَ عَلَى الْجَزَائِرِ قَائِماً
بِالْعَدْلِ وَالْمَوْلَى عَلَيْكَ يُفَرِّجُ
وَالدَّهْرُ قَدْ أَضْحَى لأَمْرِكَ طَائِعاً
وَبِكَ الْمَجَالِسُ لِلْوَرَى تَتَتَوَّجُ / أ - ١٣٦
وَتَطَاوَلَ الْمَوْلَى عَلَيْكَ بِفَضْلِهِ
فَبِمَدْحِكَ الشُّعَرَاءُ قَدْ تَتَهَزَّجُ[٥]

---

١ تثجّج: تكثر وتتدفق .
٢ في ب: «حاد» بدون ياء .
٣ يعمج: يسرع في سيره .
٤ تتخزلج: تتبختر .
٥ تتهزج: تترنم بانشادها. وفي ب: «يتهزج» .

يَا أَيُّهَا النِّحْرِيرُ وَالْمَلِكُ الَّذِي
كُلُّ الْمُلُوكِ أَمَامَـهُ تَتَدَحْـرَجُ
سَبَقَتْ لَـكَ الْحُسْنَى بِمَـا قَدَّمْتَ مِنْ
فِعْلٍ جَمِيلٍ نُـورُهُ يَتَـدَرَّجُ
جَهَّزْتَ حقًّا لِلْجِهَـادِ عَسَاكِراً
كُرَبُ الْوَرَى بِقُدُومِهِـمْ تَتَفَرَّجُ
مِنْ كُلِّ ضِرْغَامٍ بَصِيرٍ بالْوَغَى
نَـارُ الْحُرُوبِ بِحَزْمِهِمْ تَتَـأَجَّـجُ
أَسَدٌ لَدَى الْهَيْجَاءِ عِنْدَ لِقَائِهِـمْ
فِيهِمْ قُلُـوبُ ذَوِي النُّهَى تُسْتَبْهَـجُ
كَمْ صَادَمُوا فِي الْحَرْبِ أَقْيَالَ[1] الْعِـدَا
وَسَعَوْا بِمَيْـدَانِ الْوَغَى وَتَدَرَّجُـوا
كَمْ قَاتَلُـوا الأَبْطَـالَ يَوْمَ الْمُلْتَقَى
حَتَّى مَحَوْا دَاجِي الضَّـلالِ وَفَـرَّجُـوا
وَحَبَاهُـمُ الْمَوْلَى بِنَصْرٍ عِنْدَمَـا
رَكِبُوا الْمَطَايَـا لِلْجِهَـادِ وَأَسْرَجُوا

---

١ الاقيال: جمع قيل، وهو الملك .

حَسَنٌ خَلِيفَتك(١) الْهُمَامُ يَقُودُهُمْ
وَالْعِيسُ(٢) مَا بَيْنَ الأَكَامِ(٣) تُعَجْعِجُ(٤)

حَتَّى أَتَوْا حَقًّا لِوَهْرَانَ الَّتِى
أَمْوَاجُ(٥) بَحْرِ ظِلالِهِمْ تَتَمَوَّجُ

نَزَلُوا بِهَا وَبِحَيِّهَا قَدْ خَيَّمُوا
وَالْخَيْلُ تَسْعَى وَالْجِيَادُ تُخَزْلِجُ / أ - ١٣٧

قَوْمٌ مِنَ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ - بِفَضْلِهِ -
فَرَجٌ لَهُمْ فِي كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجُ

قَدْ حَاصَرُوا أَهْلَ الضَّلالِ لَيَالِياً
فِيهَا(٦) وَأَلْسِنَةُ الْعِدَا تَتَلَجْلَجُ

فَرَّتْ جُيُوشُ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُمْ
لَمَّا رَأَوْا بَرْقَ الْهُدَى يَتَضَرَّجُ

وَرَمَاهُمُ أَهْلُ الْهُدَى بِصَوَاعِقٍ
فَتُخُرِموا(٧) فِيهَا وَمِنْهَا أُخْرِجُوا

---

١ هو أوزن حسن صهره ووزيره .
٢ العيس: الواحد أعيس والواحدة عيساء، وهي الابل البيض، يشوب بياضها قليل من السواد .
٣ الاكام: جمع اكمة، وهو الموضع الذي أكثر ارتفاعاً مما حوله .
٤ تعجعج: تبالغ في صياحها .
٥ في ب: «أموات» .
٦ فيها: الضمير يعود على مدينة وهران .
٧ فتخرموا: هلكوا، وتشتتوا .

وَسَقَوْهُمْ كَأْسَ الْمَنَايَا وَالـرَّدَى
كَأْساً بِهَا سُمُّ[١] الأَرَاقِمِ يُمْزَجُ
فَاسْتَفْتَحُوا مِنْهَا الْحُصُونَ بِعَزْمِهِـمْ
وَمِـنَ الْمَدِينَةِ لِلْحُصُونِ عَـرَّجُوا
دَارَتْ عَلَى أَهْلِ الضَّلاَلِ دَوَائِـرٌ
شَتَّى وَهَمٌّ - قَـطُّ - لا يَتَفَـرَّجُ
ضُرِبَتْ بِبَارِقَـةِ السُّيُوفِ رِقَابُهُمْ
وَالرُّمْحُ فِيهِمْ وَالأَسِنَّةُ تُـولَـجُ
جَعَلُوا لَنَـا فَيْئاً وَرَدُّوا[٢] كَيْـدَهُـمْ
وَاللهُ شَتَّتَ شَمْلَهُمْ فَتَدَحْرَجُوا
بِالذُّلِّ بَاءُوا وَالْهَزِيمَةِ عِنْدَمَـا
حَمِيَ الْوَطِيسُ وَنَـارُهُ تَتَأَجَّـجُ
لَمْ يَبْقَ مِـنْ أَهْلِ الضَّلاَلَـةِ مُشْرِكٌ
إِلّا أَتَـى مِمَّا أَصَابَهُ يَنْشُجُ[٣] / أ - ١٣٨
قَدْ جَـدَّلُوا طَعْناً وَضَرْباً إِذْ جَثَوْا[٤]
يَـومَ اللِّقَـاءِ صَحِيحُهمْ وَالْمَخْـرَجُ

---

١ في ب: «شمس».
٢ في ب: «ووهن».
٣ ينشج: يغص بالبكاء من غير انتحاب، والمراد به - هنا - يبكي وينوح.
٤ في ب: «جشوا».

وَأَفْتَكَّهَا[1] أَهْلُ الْهِدَايَةِ مِنْهُمْ
بِالسَّيْفِ وَانْخَذَلَ الصَّحِيحُ الأَعْرَجُ
عَادَتْ إلى الإِسْلامِ دَاراً مِثْلَمَا
كَانَتْ فَصَارَ أَرِيجُهَا يَتَأَرَّجُ
أَضْحَى مُؤَذِّنُهَا يُهَلِّلُ تَـارَةً
فِيهَا وَفِيهَا تَـارَةً يَتَهَـزَّجُ
وَقِـرَاءَةُ الْقُرْآنِ في أَرْجَائِهَـا
مِنْهَا نَتَائِـجُ الاسْتِقَامَةِ تَنْتُـجُ
وَالدِّينُ أَصْبَحَ قَيِّماً وَكَفَى بِهَا
مِـنْ نِعْمَةٍ عَنَّا الْكُرُوبَ تُفَـرِّجُ
نَصْرٌ إلاهِيٌّ مِـنَ اللهِ الَّـذِي
مِنْ مَيِّتٍ حَيًّا صَحِيحاً يُخْرِجُ
نَاهِيكَ مَـا مَـنَّ الإِلَـهُ بِمَنِّهِ
وَأَتَاكَ حَادِي نَصْرِهِ يَتَـدَرَّجُ
خُـذْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّـداً
بِكْراً أَتَتْكَ عَبِيرُهَـا يَتَـوَهَّـجُ
وَتُقَبِّلُ الْكَفَّيْنِ مِنْـكَ وَلَـمْ تَـزَلْ
بِالأَمْنِ، صُبْحُ سُرُورِهَا يَتَبَلَّـجُ

---

١ وافتكها: الضمير يعود على مدينة وهران .

المقامة الخامسة عشر

في حصر حصن المرسي[١]،

وكيف افتتحه المسلمون وزال باختتامه الاسى

ولما فرّ / من المدينة الكفرة، وزعموا أنهم ناؤوا عن الذل والمحقرة، أ - ١٣٩ وأنهم إذا تفاقم عليهم الأمر، يفرون في البحر، فذهبت السفن[٢] من عندنا تحاصرهم، والمسلمون في البر تطاردهم، وهذا الحصن عظيم البنا[٣]، كأنه مدينة للسكنى، ولم يأت[٤] الوصول إليه إلا على طريق واحدة، والأمم تذهب إليه وتأتي بائدة، وبازائه حصن صغير للحرب أعدوه، فتعلقت به المسلمون وفتحوه، وتحير المسلمون لطول مكثه، حتى ايسوا من فتحه، فأمر أبو الفتوح باللغم أن يحفر، من جهة البحر، ولما أطلقوه مكثت الظلماء هنيئاً، فانقشعت عن مثل مرأى الظمآن للسراب ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[٥]. وكذلـــك الثاني والثالث وفي الرابع[٦]

---

١ حصن المرسى: هو برج المرسى الذي تقدم الكلام عليه مع بعض الأبراج في تعاليقنا.

٢ في ب: «السفون».

٣ البنا: بحذف همزة المد لاقتضاء وزن السجع.

٤ في ب: «يتأتى».

٥ هذا اقتباس من قوله تعالى في سورة «النور» الآية ٣٩: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ...﴾.

٦ أي: في اللغم الرابع، قال الجامعي: «يقوم اللغم الواحد بمائة قنطار من البارود، وربما لا يفيد شيئاً، فيعاد مرة وأخرى وثالثة ورابعة، ورأيت في بعض دفاتر الباي أنه خرج على يد خليفته القائد مصطفى المسراتي نحو الثلاثمائة آلاف قنطار من البارود». الجامعي، عبد الرحمن. شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ١٨).

استفتحوه عنوة بما فيه من البضائع. وعدد النصارى الذين فيه ثلاثة آلاف من المتمردين، ولكن هلكوا بطعام الغسلين[1]. فكانت هذه فتوحات منظومة العقود، معقودة النظام، وآلاء دائمة الاتصال، متصلة الدوام،
أ - ١٤٠ وسعودا معلومة الوضوح، / واضحة الاعلام، ونصراً يرتاح به قد القناة، ويبسم لها ثغر الحسام، وصنائع تبهر حلاها على لبات المتن الجسام، ويروق متجلاها في غرر النعم الوسام، ولا لقي المسلمون إلا ما وعدهم[2] الله تعالى، من الائه التي تترادف وتتوالى، والخير الذي انجزت وعوده، والنصر الذي صادفت بروقه ورعوده، والصنع الذي تألق في أفق الدين الحنيف سعوده، والفتح الذي تفتح به زهـــره وأورق عوده، جعلنا الله ممن استمر في مقام الشكر قيامه وقعوده، وسيدنا - نصره الله - كلما اعتلت قوى ادراكه جاءه من الله الامداد يعوده، ونحن من السرور بما يسنيه[3] الله له بحيث لا يلبس حلة فخر إلا لبسنا من الفرح مثالها، ولا يتحلى غرة فتح إلا استجلينا جمالها، ولا ينال سبب نعمة إلا حمدنا منالها، نشرب من ذلك فضل شربه، ونرده عقب ورده، ونمت إلى الله بمثل
أ - ١٤١ متات[4] مجده. فكل ما امتد لدولته العلية ظل انفسحت آمالنا وامتدت / وأدركنا سرور، بما كان من الظهور، الذي خفقت علينا رايته، والنصر الذي أنزل إلينا آيته، والفخر الذي ادخر لملك سيدنا غايته. وان عدوّنا

---

١ الغسلين: ما يسيل من جلود أهل النار ولحومهم ودمائهم .

٢ في ب: «عوذهم» .

٣ يسنيه له: يزيد في رفعته ويعلي من شأنه .

٤ المتات: ما يتقرب به إلى الإنسان كالحرمة والقرابة .

لما ضاقت عليه المسالك، وثغرت[1] أفواهها إليه المهالك، أقدم إقدام من استعجل الحمام، ولم تمطل به الأيام، وأمل انتهـاز فرصة كانت وقاية الله من دونها، واغتنام غرة كان مدد الحزم بعض عيونها، وجيء[2] بأبطال من بعد الاقدام ما نكصت، وأقدام تثبت في موقف الهول واستقرت، وأجناد عاهدت الله فوفت و برت. ولما عقدت[3] الحرب حباها[4]، ورجعت المنون الكاذبة في عقباها، فدى من دونه من الخليقة، بل لنفس الحرية بالمجد الخليقة، واقتدى بانصار رسول الله ﷺ في يوم الحديقة، فانهم رضي الله عنهم ارتابوا بأوشابهم[5]، وعلوا على أديانهم وأحسابهم، تبوأوا من الصبر حصونا، ونادى أمراؤهم اخلصونا، فخلصت منهم كتيبة كانت الحملات لا تهزها، والأهوال لا تستفزها، حتى / علت أيديها وحيّعل أ - ١٤٢
بالفتح القريب مناديها. فما كانت إلا أن اطلعت شمس غرته يحملها من الطرف العتيق فلك، وخفق منصور علمه يتبعه ملك. ويتقدمه ملك، ونهد موكبه يهديه من الراي[6] صبح ويحجبه من القتام حلك، وتراكمت من النقع جون[7] السحائب، وماجت على الأرض فحول الكتائب، وضحكت النصول في اليوم العبوس، ودارت بين الرجال للاجال الكؤوس، وأخفرت حرمات المغافر، وتجلت وقاح الحرب بالحد السافر، واشتبهت

---

١ في ب: «ثغفرت» .
٢ في ب: «اوفى» .
٣ في ب: «عقد» .
٤ حباها: جمع حبوة بالفتح والضم في أوله، وسكون ثانيه كل ما يختبى به يشتمل به من ثوب أو عمامة .
٥ الاوشاب من الناس: أخلاطهم وأراذلهم .
٦ الراي: جمع راية وهي العلامة المنصوبة لكي يراها الناس .
٧ الجون: من أسماء الاضداد للونين الأبيض والأسود، وهو المراد هنا .

الطرق، ورمدت من الاسنة العيون الزرق، وأجرى الله مقام ساداتنا من النصر على عادته ، وأثبت في درجات ذلك لاجتماع سهم سعادته، فكذبت من مناوئهم العزيمة، وصدقت عليهم الهزيمة، وادبر ادبار أمسه ومضى وهمّه نجاة نفسه، وانقلب مغلوبا مغلولا، يرى البرق سيفا مسلولا، ويحسب السحاب[1] خيولا، ويظن حمرة الشفق دما مطلولا، وخلف أنصاره حصيدا، ودياره طلولا، ثم ثنوا الاعنة وللنصر لواء بكل ثنية، وعلى كل
أ - ١٤٣ راية عناية ربانية، والوجوه بادية السفور ، / والخيل دامية النحور ، والسيوف موردة الخدود، والرماح مختصرة القدود، ومحابر الكنائن خاوية من أقلامها، وسواد السوابغ[2] خالية بعد ازدحامها. فالفتح قد فتح لكم بابه، والنصر خولكم كتائبه، وفي يدكم كتابه، فلم نكد نغطي السرور من الابتهاج والارتياح، والشكر لله على فوز القداح، وتأتّي الاقتراح، وقلنا هذا هو النبأ الذي ارتقبنا طلوع البشائر من ثنايا تلاعه، وأجزنا تلقي الركبان لرخصة استطلاعة، هذا هو الصنع السني، والفتح الهني، والنصر المثنى، والعز المتمنى، «نصر من الله وفتح قريب»، وتكييف لملك الغرب غريب، هذا هو العز الذي يخطر على وهم، هذا هو الفجر الذي أصاب قنيص النصر والفتح بسهم، فتح وهران، وما أدراك ما وهران، قاعدة للملك، وواصلة السلك، وقلادة النحر، وحاضرة البر والبحر، أسندت إلى التلّ ظهراً، وأفصحت بالفخر جهرا، وأصبحت للغرب بابا. وللقفول ركابا، ولسهام الأمل هدفا، ولدر العلماء صدفا، حسناء تسبي العقول بين التقنع

---

١ في ب: «الشعاب».

٢ السوابغ: جمع سابغة، وهي الدرع الواسعة.

والسفور، والاطماع والنفور، ولبست حلة الجناب الخصيب، وفازت من الاعتدال وأوصاف الكمال بأوفى نصيب، وقد عنّ لنا أن نختم أخبار هذه / أ - ١٤٤ الفتوحات السنية، وأيامها الزكية، بارجوزة[1] مكملة لهـا، مذكرة لما عنه القلب لهى، والقلم سها، نظمها مفتي تلمسان، المشار إليه بالبنان، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الحلفاوي، كان الله حيث يأوي. وهو رجل تقلد بالحضرة المذكورة الخطابة والتكلم في الاقراء والفتيا، وبلغ من رياسة الديانة إلى الدرجة العليا، ووصل من اقبال القلوب عليه وميلها إليه إلى الغاية القصيا، فرأس بها في الفقه واعتمد قوله في العلم، وشوور في نوازل الحكم، وقعد لتدريس الطلبة، وقصد في أيامه المعتادة للوعظ، وكتب على أسئلة الفتيا مغتبطاً بهذا الرسم، متلقياً وارداته المختلفة الأغراض بالطلاقة والبشر، وهو من أهل الصلاح، والسمت الحسن، / والتحلق، والخصوصية، والاقتصاد، والتحفظ، والورع. وقد ضرب - مع ذلك - في الأدب بسهمه، ومما اشتهر عنه من نظمه، الارجوزة المشار إليها، المنبه عليها. وهي :

لَمَّا أَرَادَ اللهُ بِالدِّينِ جِـلا[2]
عَن أَرْضِ وَهْرَانَ بَـنِي الكُفرِ جَلا[3]

---

١ تحتوي هذه الأرجوزة على ٧٢ بيتاً وخمسة فصول، الفصل الأول في ذكر دولة محمد بكداش، الفصل الثاني في وصف تجهيز الجيش وتوجهه إلى وهران، الفصل الثالث في كيفية محاصرة المدينة وبروجها، الفصل الرابع في وصف ما آل إليه المسلمون الفاتحون. والاسبان المطرودون وما افترقت عليه كلا الطائفتين، الفصل الخامس في الثناء على الله والصلاة على رسوله. وقد نظم الجامعي - شارح الأرجوزة - خمسة أبيات من نفس البحر، وأضافها إلى الأرجوزة، وقد أثبتناها في تعاليقنا ابان مناسبة ذكرها.

٢ الجلا - بكسر الجيم -: الظهور والوضوح.

٣ جلا: أي أخرجهم عن أرض وهران.

أَحَـادَ مَنْ حَادَ عَنِ الْخلافَهْ
فَاسْتَنْهَضَ فَتىً[١] لَهَـا خـلافَـهْ /
أَحَلَّـهُ مَحَـلَّ مَـنْ أَقَامَـهُ[٢]
وَلِلْقَضَاءِ عِنْـدَهُ أَقـامَـهُ
فَكَانَ ، خَيْـرَةً وَخَيْراً وَمُـنَـى
وَجَلْبَ نَفْـعٍ دَائِمٍ وَمَـأْمَنَا[٣]
وَمِـنْ عَظِيمِ لُطْفِـهِ بِالنَّـاسِ
سِرٌّ خَفِي عَنْ ذَاكِرٍ وَالنَّاسي
فَلَمْ يَكُنْ فِيـهِ مَجَالٌ لِلْوَرَى
وَإِنْ تُسَلْ عَنْ شَرْحِهِ قُلْ لا مِـرَا[٤]
هُو[٥] دَوْلَـةُ الْحَبْرِ مُحَمَّدْ «بَكْدَشِ»
«تَارِيخُهَا طِبْقَ مُحَمَّدْ بَكْدَشِ»[٦]
جَاءَتْ بِعِـزٍّ وَسَنَـاءٍ وَسَنَـا
وَالْتَذَّتِ الأَعْيُنُ فِيهَا وَسَنَا / [٧]

---

١ الفتى : هو الداي محمد بكداش .

٢ أقامه : أبعده، وأنزله عن الكرسي . والمبعد هو الداي حسين خوجه الشريف .

٣ أي بدون تطاول ولا امتنان .

٤ لا مراء : لا جدال فيه .

٥ هو : بإسكان الواو .

٦ أي : تاريخ توليته كان سنة ١١١٨ هـ - ١٧٠٧ م بحساب الجمل على طريقة المغاربة .

٧ الوسن : ثقل النوم والنعاس .

وَهْـوَ لَهَا كُفْءٌ وَظِلٌّ لِلأَنَـامْ
فَكَمْ أَرَاحَ ذَا عَنـاً وَكَمْ أَنَامْ[1]
وَكَمْ أَتَـى مِن قَبْلِـهِ الْجَزَائِـرَا
دَايٌ وَدَهْقَانٌ[2] كَمَنْ جَا زَائِرَا
فَلَمْ يَكُنْ لِلْخَلْقِ فِيهِ رَاحَـهْ
وَلَمْ يَسَلْ عَنْ غَيرِ مَا بِالرَّاحَهْ[3]
وَلا يُبَـالِي فِي الأَنَـامِ بِفَسَادْ
وَقَلَّ مَنْ رَامَ ازْدِرَا[4] بِهِمْ فَسَادْ
للهِ دَهْرٌ مُتْحِـفٌ لَنَـا بِـهِ
إِذْ ذَادَ[5] شَخْصاً لَمْ يَكُنْ بِنَابِهِ[6]
أَبْـدَى لَنَـا غُرَّتَـهُ الْوَقَّـادَهْ
لَهَا الصِّعَابُ فِي الدُّجَـا مُنْقَـادَهْ / أ - ١٤٦
فَاسْتَكَنَتْ لَـهُ الْقُلُوبُ عِنْـدَمَا
غَيَّضَ مِنْ أَجْفَانِهِنَّ عَنْدَمَا[7]

---

١ العناء: التعب والمشقة، وحذفت همزته لاقتضاء الوزن ذلك .

٢ الداي: كلمة تركية معناها: الخال والرئيس، «الدهقان»: رئيس الاقليم والماهر من الرجال والكلمة فارسية، وكذلك كلمة «خاقان»: لقب لمن يتولى الترك، و «قيصر» لقب لمن يتولى الروم «وكسرى» لقب لمن يتولى الفرس، و «النجاشي» لقت لمن يتولى الحبشة، و «تبع» لقب لمن يتولى اليمن .

٣ أي عن غير مال يكون براحة كفه .

٤ ازدرا: ازدراء وحذفت همزته للوزن .

٥ ذاد : طرد .

٦ بنابه: اسم فاعل من نبه بضم الباء .

٧ غيض: حبس ونقص، والعندم بفتح أوله: نبت أحمر كنى به عن جفاف الدموع .

بَلْ أَمَّــنْ الرَّوْعَـةَ بَعْدَ أَنْ غَــدَتْ
يَــدُ العِدَا طُولَى عَلَيْنَا وَعَدَتْ
فَكَانَ فِيهِ الأَمْنُ بَعْـدَ الْخَوْفِ
وَالنَّصْرُ لِلسُّنَّةِ بَعْــد الْحَيْــفِ
إِذْ جَمَعَ الرَّأْيَ بِعَــزْمٍ حَــازِمْ
عَلَى الْجِهَادِ لَمْ يَعُقْهُ جَازِمْ[1]
فَجَهَّزَ جَيْشاً حَمَى الدِّينَ فَسَادْ
إِذْ طَهُرَتْ بِــهِ بِقَاعٌ مِــنْ فَسَادْ[2]
فَنَهَضُوا للهِ حَــزْمَــاً وَأَعَــدْ
مَعَهُــمُ آلاتِ حَــرْبٍ لا تُعَــدْ
مِــنْ نَحْوِ بَارُودٍ وَكَـمْ مِــنْ مَــدْفَعٍ
وَمَنْجَنِيقٍ مَالَــهُ مِــنْ مَدْفَعٍ[3]
مُؤَمِّرٌ صِهْرَهُ «أَوْزَنْ حَسَنَــا»
قَرْماً[4] رِضىً فَســارَ سَيْراً حَسَنَــا

---

١ جازم: قاطع ومثبط .

٢ فساد: نال الرفعة والسؤدد .

٣ مدفع : مصدر ميمي ، أي : دفع .

٤ الأصل في القرم: الفحل من الابل، واستعير للسيد عن طريق التشبيه، وهو المراد به – هنا – .

وَالْحَــازِمَ الْعَارِفَ بَايَ مُصْطَفَى[1]
وَهْــوَ مِـنَ الأَقْيَالِ[2] فَابِقٌ[3] مُصْطَفَى
ثُمَّتَ نَادَى بِالْجِهَادِ فِي الأَفَــاقْ
فَأَعْـزَمَ الْحَازِمَ وَالْغُفْلَ أَفَــاقْ
فَسَارَعَ النَّاسُ لَهُ إِذْ طَلَبَهْ[4]
لا سِيَّمَا جَمَاعَـةٌ مِنْ طَلَبَــهْ[5]
فَنَزَلُوا الأَوَّلَ مِــنْ رَبِيــعِ
النَّبَــوِي مُنْسَلَــخَ الرَّبِيــعِ = أ - ١٤٧
فِي عَسْكَرٍ بُيُوتُهُ عُــدَّ (مَقَرْ[6])
وَتَرَكُوا الأَثْقَــالَ فِيهِ فِي مَقَرْ

---

١ باي مصطفى: هو باي وهران مصطفى أبو الشلاغم قال المزاري: «وأول بايات وهران مصطفى أبو الشلاغم بن يوسف المسراتي الذي جمع له في التولية بين الايالة الشرقية والغربية تولى بايا على مازونة وتلمسان، فهو أول من جمعت له الايالة الغربية بتمامها سنة ثمان وتسعين وألف، ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧ م ونقل كرسي المملكة من مازونة وتلمسان معا للقلعة (قلعة بني راشد»، ثم للمعسكر وجعلها قاعدة لكونها وسطا بين مازونة وبين تلمسان. ولما غزا وهران وأمده الباشا السيد محمد بكداش بالجيوش العديدة - لنظر وزيره أوزن حسن - وفتحها عنوة صبيحة يوم الجمعة السادس والعشرين من شوال سنة.تسع ومائة وألف، ١١١٩ هـ ٢٠ جانفي (١٧٠٨ م) ونقل كرسي المملكة من المعسكر إلى وهران فسكنها بأهله وجعلها قاعدة ملكه.
(المزاري. طلوع سعد السعود. ص: ١٠٣) .
٢ الاقيال: جمع قيل وهو الرئيس والملك .
٣ الفابق: كلمة تركية، معناها كبير العصافير . والعصفور: هو الشارب الطويل . وكأنه يشير إلى تلقيبه «بأبي الشلاغم» .
٤ طلبه: الضمير يعود على الجهاد، أي: طلب مصطفى أبو الشلاغم للجهاد .
٥ قال الجامعي: «وكان عدد الطلبة المجاهدين من الألف إلى السبعمائة، وكانت ارزاقهم وسلاحهم من أرزاق العسكر وخزانة الدولة . وكان يرأسهم أبو عبد الله محمد الموفق التلمساني» .
(الجامعي، عبد الرحمن. شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ٥٣) .
٦ أي: ٣٤٠ فسطاط بحساب الجمل على طريقة المغاربة، وفي كل فسطاط ٢٥ ج[illegible] .

وَقَصَدُوا حُصُونَهَا مِنْ كُلِّ شَقْ
بِزَمَنٍ تَارِيخُهُ (يَهُدُّ شَـقْ[1])
فَأَجْمَـعَ الْجَيْشُ بِذَاكَ الثَّغْرِ
جَمْعاً كَبُنْيَانٍ رَسَى أَوْ ثَغْرِ
فَحَاصَرُوا الْبِـلادَ وَالأَبْـرَاجَـا
مُرَاصِدِينَ حَوْلَهَـا مَنْ رَاجَـا
فَضَيَّقُوا مَا كَانَ مِنْهَا وَاسِعَا
إِذْ رَامَ كُلُّ كُلَّ حِصْنٍ وَسَعَى
وَنُصِبَتْ مِنْ حَوْلِهَـا مَـدَافِـعْ
لِلرَّمْيِ كُلُّ أَسَـدٍ مُـدَافِـعْ
وَمُرْعِـدَاتٌ كُورُهَا فِي الْجَـوِ
كَنَجْمِ رَجْمٍ مِـنْ سَمَاءٍ يَهْـوِي
تُلْمَـحُ مِنْ خِـلالِهَـا الْبَوَارِقْ
وَوَقْعُهَا أَمْضَى مِـنَ الصَّوَاعِـقْ
فَأَجَّجُوا نَارَ الْحُرُوبِ سَرْمَـدَا
وَتَابَعُوهَا بِاعْتِنَـا طُولَ الْمَـدَى
فَنَثَرُوا مَا نَظَمُوا مِـنْ عِقْدِهَـا[2]
وَنَقَضُوا مَـا أَبْـرَمُوا مِـنْ عَقْـدِهَا[3]

---

١ أي: كان النزول سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م على طريقة المغاربة بحساب الجمل .

٢ عقدها: بكسر أوله وسكونْ ثانيه .

٣ عقدها: بفتح اوله وسكون ثانيه .

فَكَانَ بَاكُورَةَ ذَاكَ الْفَتْـــحِ
بُـرْجُ الْعُيُونِ ضَامِناً لِلنُّجْـحِ /
عَاشِرَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الأُخْرَى
يَـومَ الثُّـلاثَاءِ مَسَاءً قَسـرَا
ثُمَّتْ حَصِينُهَا الَّـذِي تَقَنَّعَـــا
بِالسُّحْبِ وَاغْتَـالَ الأُسُودَ وَنَعَا[1]
قَلْعَةُ مَرْجَاجُو الَّتِي لَـو قُلِّعَتْ
شَوَامِخُ الأَطْـوَادِ مَا تَضَعْضَعَتْ
وَإِذْ دَعَـاهَـا اللهُ لِلإِسْـلام
أَلْقَتْ لَـهُ الْقِيَادَ بِاسْتِسْلامِ
سَابِـعَ عِشْرِينَ مِنَ الْمَذْكُـورِ
فَأَصْبَحَتْ تَرْمِـي الْعِـدَا بِالْكُورِ
وَانْحَدَرُوا لِبُرْجِ «بَنْ زَهْوَ» وَقَـدْ
حَلَّ بـِهِ مِنْ نَارِ حَـرْبٍ قَـدْ وَقَـدْ[2]
ظَنًّا بـهِ وَظَنُّهُمْ مَانِعُهُـــمْ[3]
فَكَانَ مِنْ حَيَاتِهِم[4] مَانِعَهُمْ
سُقُوا بـهِ مَـرَارَةً وَكَمْ حَلَتْ
عَيْشَتُهُمْ بـهِ دُهُوراً قَدْ خَلَتْ

---

١ نعا : صات .

٢ وقد : اشتعل .

٣ مانعهم : أي ظنوا أن برج «بن زهو» مانعهم .

٤ في ب : «من فرارهم» .

فَأَصْبَحُوا خَامِسَ شَعْبَانَ بِـهِ
كَقَتْلِ شَعْبَانَ[1] نَصِيحَ رَبِّـهِ
مِنْ بَعْـدِ لُغْمٍ هَـدَّ جُـلَّ حَرْفِـهِ
وَحَصْرُهُمْ بِهِ بِنَقْطِ حَرْفِـهِ[2]
ثُمَّ أَتَـى الْجَيْشُ لِوَهْرَانَ وَلَمْ
يَـكُ مُقَاتِلٌ بِهَـا إِلَّا أَلَـمْ
وَبِـ «الْجَدِيدِ» بُرْجِهَـا الْحَامِي لَهَـا
لَمْ تُغْنِ آلاتٌ بِهِ حَامِلَهَا /
فَفُتِحَا يَـوْمَ الْعَرُوبَـةِ مَعَـا[3]
فَتْحاً أَرَى فِي الأَنْدَلُسِ مَطْمَعَا[4]
بِسَادِسِ الْعِشْرِينَ مِـنْ شَوَّالِ
أَكْرِمْ بِذَاكَ الْعِيـدِ بِالتَّـوَالِ
وَافْتُتِـحَ «الأَحْمَرُ» فِي الْغَدِ وَقَدْ
رَأَوْا لَظَى لَهِيبِهِ[6] قَـدِ اتَّقَـدْ

---

١ شعبان: هو أحد بايات الايالة الغربية، تولى سنة ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م وقتل في غزوة قام بها ضد الاسبان الذين بوهران سنة ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧ م . وقد تقدم تفصيل ذلك .

٢ يريد الناظم بـ «حرفه» الحرف الأول من لفظه «برج مرجاجو» وهو الباء التي تساوي اثنين بحساب الجمل، فينتج المعنى أنهم بقوا محاصرين «برج مرجاجو» لمدة يومين .

٣ يوم العروبة: يوم الجمعة .

٤ أي: ان فتح مدينة وهران أطمع المسلمين في فتح الأندلس مرة ثانية .

٥ الأحمر: أي: البرج الأحمر .

٦ في ب: «رأوا لظى مدة ...» .

وَذِي خُصُونٌ عَنْهُمُ لَمْ تُغْنِ
وَعَدُّ مَأْسُورٍ بِهَا «لَمْ يُغْنِ»[٣]
وَانْتَقَلُوا مِنْ بَعدِهَـا لِلْمَرْسَى
فَأَصْبَحَ الْجَيْشُ عَلَيْهَا مُرْسَى
وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ عَلَيْهَـا وَاحْتَمَوْا
بِالْبَحْرِ وَالطَّوْدِ الَّذِي فِيهِ رَسَوْا
فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِـنَ اللهِ وَزَرْ
بَلْ مُكِّنَ الإِسْلامُ مِنْهُمْ وَنَصَرْ
فَفُتِحَتْ مِنْ بَعْدِ حَرْقٍ وَعَنَا
وَرَمْيِ مُرْعِدَاتِ عِلْجٍ[٤] بِاعْتِنَا
وَلَغَمٍ[٥] بِبُرْجِهَا قَـدْ شَقَّـهُ
وَكَانَ ذَاكَ عَامَ «هَدُّوا شَقَّهُ»[٦]
ثَالِثَ عَاشِرٍ مِـنَ الْمُحَـرَّمِ
لا جَعَلَ اللهُ بِهَا مِن مُحْرَمِ
وَانْكَسَرَتْ شَوْكَةُ مَنْ بِالْكُفْـرِ
يَلُوذُ أَوْ لَهُ اعْتَنَى بِأَمْـرِ[٧]

٣ أي: وكان عدد المأسورين بتلك الأبراج ١٠٣٠ أسيراً بحساب الجمل على طريقة المغاربة .

٤ العلج: الكافر من العجم . ويراد به – هنا – الكفار مطلقا . والمرعدات: المدافع ، والبنادق، وكل شيء له صوت مرعد، وأضيفت للعلج، لأنه صانعها .

٥ لغم: بتحريك الغين للوزن، واللغم بضم أوله وسكون ثانيه، كلمة تركية الأصل .

٦ اشارة إلى تاريخ الفتح بحساب الجمل على طريقة المغاربة، وهو سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٨ م . باسقاط ألف «هدوا» .

٧ فيه اشارة إلى قبائل بني عامر ، الذين كانوا يلوذون بالكفار ويعتنون بشؤونهم .

وَمُزِّقُوا تَمْزِيقَ آلاءِ سَبَا
وَأَصْبَحُوا مَا بَيْنَ قَتْلٍ وَسَبَا /
وَأُخْرِجُوا بِالذُّلِّ لِلإِسَارِ
في عَدَدِ «كُفْرٌ صَغَارٌ»[٨] سَارِي
وَانْقَرَضَتْ دَوْلَةُ ذِي الْفُسَّاقِ
وَالْمُلْكُ للهِ الْقَدِيمِ الْبَاقِي
وَانْتَصَفَ الإِسْلامُ مِنْهُمْ وَغَدَا
بَيْنَ قَتِيلٍ ذِي حَيَاةٍ أَبَدَا
وَذِي حَيَاةٍ لا يَزَالُ لِلْعِدَا
سَهْماً بِكُلِّ مَرْصَدٍ مُسَدَّدَا
للهِ مَنْ قَدْ صَالَ مِنْهُمْ في الثَّرَا[١]
وَمَنْ أَبَاحَ النَّفْسَ مِنْهُمْ وَالثَّرَى[٢]
وَالْحَمْدُ للهِ عَلى إِعْلائِهِ
كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ في مَلائِهِ

---

٨ أي: وكان عدد الأسارى ١٤٦١ نسمة بحساب الجمل على طريق المغاربة

١ الثراء: التراب ويراد به - هنا - الكرة الأرضية، وحذفت منه الهمزة لضرورة الوزن .

٢ الثرى: المال الكثير ، ويطلق على الخير عموماً . وقد نظم عبد الرحمن الجامعي تلميذ صاحب الأرجوزة خمسة أبيات وأضافها لها بعد هذا البيت، وهي :

وَكَانَ ذَا في دَوْلَةِ الإِمَامِ فَخْرِ الْمُلُوكِ ضَابِطِ الإِسْلامِ
مَلِكِ مِصْرَ وَالعِرَاقِ وَالْيَمَنْ وَالشَّامِ وَالْبَحْرَيْنِ خَيْرِ مُؤْتَمَنْ
أبي الْفُتُوحَاتِ الَّتِي لَمْ تُحْصَرْ كَادَتْ تَفُضُّ مُلْكَ آلِ قَيْصَرْ

نَمَّقَ ذَا[3] مَنْ لِلإِلَـهِ يَأْوِي
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَـدَ الْحَلْفَاوِي
مُصَلِّياً عَلى الَّذِي بِـهِ الْهُدَى
أَوْضَحَهَا اللهُ إِلَيْنَـا وَهَـدَى
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ كُـلِّ ضَارِبِ
أَوْ طَاعِـنٍ مِـنْ قَاطِنٍ أَوْ ضَارِبِ[4]
وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ الأَنْجَـادِ
أُسْدُ الشَّرَى فِي الْحَقِّ وَالْجِهَادِ
مَا نَصَرَ اللهُ الْحَنِيفِيَّ عَلى
أَعْـدَائِـهِ وَفَـاقَ فَضْلاً وَعَلا

وقد شرح هذه الارجوزة فكمل أخبارها، وأظهر اضمارها، العالم النحرير، البليغ / الشهير، السيد محمد عبد الرحمن المغربي المذكور قبل. ومما صدر عنه[1] عنه في التهنئة بهذه الفتوحات قوله - وهو من أبدع المنظومات[2] - . أ - ١٥١

أَحْمَدَ خَاقَانَ الْهُمَامِ الْمُرْتَضى سَيْفِ الإِلَهِ في الأَعَادِي مُنْتَضى
مَا زَالَ تَحْتَ رَايَـةِ الإِقْبَـالِ وَالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ قَرِيرَ الْبَـالِ

(المصدر السابق: ص: ١٠٢) .

٣ ذا: اسم الاشارة يعود على نظم أرجوزته .

٤ الضارب: في الشطر الأول: الضارب بالسيف وغيره في معارك الجهاد، وأما الضارب في الشطر الثاني فهو: الراحل والماشي في مناكب الأرض .

١ عنه: أي عن المغربي .

٢ على وزن البحر الوافر المقطوف العروض والضرب معا .

تَلَتْ رُسُلُ الْبَشَائِرِ يَوْمَ عِيدٍ ⁂ عَلَيْنَا سُورَةَ الْفَتْـحِ[٣] السَّعِيـدِ
فَأَحْيَتْ مِنْ رُسُومِ الْبِشْرِ رَسْماً ⁂ عَفَا[٤] بِالشِّرْكِ مُذْ زَمَنٍ مَدِيدِ
وَأَصْبَحَ وَجْـهُ دِينِ اللهِ طَلْقـاً ⁂ وَوَجْهُ الْكُفْرِ فِي حُزْنِ الْفَقِيدِ
وَيَا رَبِمَا[٤] تَبَسَّمَ ذَا ازْدِرَاءٍ ⁂ بِنَا وَيَسُومُنَا سَوْمَ الْعَبِيدِ
وَقَدْ نَفَذَ الْوَعِيدُ فَكَـانَ عِيـداً ⁂ لأَهْلِ الْحَقِّ تَنْفِيـذُ الْوَعِيدِ
فَيَا حَادِي الرَّسَائِـلِ مُسْفِرَاتٍ ⁂ بِفَتْحِ الثَّغْرِ مُسْتَحْلى الْوُرُودِ
بِحَقِّكَ إِنْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ قَبِّـلْ ⁂ مَبَاسِمَهُ عَـنِ الصَّبِّ[٥] الْبَعِيدِ
وَقُلْ «وَهْرَانُ» يَكْفِيكَ[٦] افْتِكَاكٌ ⁂ وَإِنْقَاذٌ مِـنَ الأَسْرِ الشَّدِيدِ
لَكَ الْبُشْرَى وَلِلإِسْلامِ أُخْـرَى ⁂ بِمَنْعِكَ مِنْ يَدِ الْكُفْرِ الْعَنِيـدِ
تَذَكَّرْ حَيْثُ كُنْتَ مُنَاخَ شِرْكٍ ⁂ فَعُدْتَ مَقَـامَ شُكْرٍ لِلْحَمِيدِ / أ - ١٥٢
وَكُنْتَ مَقَـامَ تَثْلِيثٍ فَأَضْحَى ⁂ يُقَرَّرُ فِيكَ تَوْحِيدُ الْمَجِيـدِ
وَبُدِّلَتِ النَّوَاقِسُ فِي الزَّوَايَـا ⁂ بِآذَانٍ وَذِكْـرٍ مِـنْ مَجِيدِ
جَزَا جَيْشَ «الْجَزَائِرِ» كُلَّ خَيْرٍ ⁂ إِلَهُ الْخَلْقِ ذُو الْمُلْكِ الْعَتِيـدِ
هُمُ الْمُسْتَنْقِذُوكَ وَقَـدْ أَحَاطَتْ ⁂ بِكَ الأَعْدَاءُ تَطْمَعُ فِي الْمَزِيدِ
وَهَا أَنْتَ الْمُجَارُ فَلَسْتَ تَخْشَى ⁂ عُدَاةَ الدِّينِ إِخْـوَانَ الْقُرُودِ

---

٣ سورة الفتح: هي الثانية والأربعون من سور القرآن الكريم، وأولى آياتها: ﴿انا فتحنا لك فتحا مبينا﴾
٤ عفا: بلي وامحى ودرس .
٤ ويا ربما: بتخفيف الباء الموحدة .
٥ الصبّ: – بفتح أوله – اسم مصدر: العاشق المتيّم .
٦ في ب: «يهنيك» .
١ جنّهم باشباع ضمة الميم ليستقيم الوزن .

فَقَدْ ذَهَبُوا وَمَا يَرْجُونَ عَـوْداً ... إِلَيْكَ فَعِشْ هَنِيئاً في خُلُودِ
وكَيْفَ وقَدْ غَدَوْا وَالرُّعْبُ يَجْرِي ... بهم بين الطَّرِيدة وَالطَّرِيدِ
وَلَوْلا اللَّيْلُ جِنّهم لأَضْحَـوْا ... نهاراً في مُغَلْغَلَةِ القُيُـودِ
وَلَوْلا أَنَّهُمْ شُرِّدُوا بِلَيْـلٍ ... لَكَانَ الْقَتْلُ أَجْدَر بِالشَّرِيدِ
وَقَـدْ ظَنُّوا بِأَنَّ لَهُـمْ نَجَـاةً ... بِمَرْسَى الثَّغْرِ مِـنْ بَعْدِ الشُّرُودِ
وَهَيْهَاتَ النَّجَاة لِمَـنْ أَحَاطَتْ ... بِـهِ نَارٌ وَبَحْرٌ في صَعِيـدِ
وَلَـوْ أَغْنَى التَّحَصُّنُ عَنْ قَتِيلٍ ... وَحَالَ السُّورُ مِنْ قَدَرِ الْمُرِيدِ / أ - ١٥٣
كَمَا فُتِحَتْ بُرُوجُهُم وَهُدَّتْ ... مَعَاقِلُهُمْ بِصَاعِقَةِ الرُّعُودِ
وَلَوْ عَقِلُوا لَمَا لَجأُوا لِشَيْءٍ ... سِوَى دِينِ التَّحِيَّةِ والسُّجُودِ
وَإِنْ لَمْ يَسْجُدُوا للهِ طَـوْعـاً ... لَقَدْ سَجَدُوا بِمُصْلِتَةِ الْهُنُـودِ
وَإِنْ فَـرُّوا سَتُدْرِكُهُـمْ قَرِيبـاً ... بِأَنْدُلُسٍ جُنُودٌ مِـنَ أُسُـودِ
أُسُودٌ غَابُهَا السُّمْرُ الْعَـوالِي ... وَمَوْرِدُهَا دِمَـاءُ ذَوِي الْجُحُودِ
إِذا غَـرَسُوا الرِّمَـاحَ جَنَوْا سَرِيعاً ... ثِمَارَ النَّصْرِ مِنَ وَرَقِ الْحَدِيـدِ
عَلَيْهِمْ مِنْ شَذَا الأَزْهَارِ أَذْكَى ... سَلامٌ لا يُعَقَّبُ بِالنُّفُودِ[٣]
(ختام نَدُّه[٤] يُهْدي) الْغَوالِي ... مُؤَرِّخُ ذَلِـكَ الْفَتْحِ السَّعِيدِ[٥]

---

٢ بروجهم: باشباع ضمة الميم لمقتضى الوزن .

٣ أي بدون مقابل .

٤ الند: عود طيب الرائحة يتبخر به، والكلمة فارسية الأصل .

٥ أي كان فتح مدينة وهران سنة ١١١٩ هـ - ١٧٠٨ م وهذا التاريخ هو المشار إليه بكلمات «ختام نده يهدى» بحساب الجمل على طريق المغاربة .

المقامة السادسة عشر
في إياب خليفة سيدنا - نصره الله - للجزائر، سالما غانما بالاسرى والذخائر

شرف باذخ، ومجد شامخ، عقد النجوم ذوائبه ، وأوخز في مفرق النسر ركائبه، استفتح وهران، وانبلج صبح النصر وبان. وقفل وألوية النصر عليه خافقة، وأسواق الظهور نافقه، وألسنة الشكر والحمد ناطقة.
١٥٤ - أ والظنون في فضله الصادق / صادقة. والكفر قد ذل واستكان. ودخل عزه في خبر كان، وعز الإسلام قد ظهر واستبان. ورسا كما رسا رضوى[1] وأبان، والخيل تلاعب الظلال مرحا ونشاطاً، وتلالا اغتباطاً. والجياد الجرد تتدافع وتتمطر، والاسل السمر تتأود وتتأطر[3]، والجهات بشادي الفتح تتعطر، اجتمعت الخلائق من كل فج عميق لميعاد لقائه[4]، وبرزت المخدرات لزينة صعوده في سماء الفتح وارتقائه. والسكك له بالاوقار[5] قد ضاقت، والأيدي قد حملت فوق ما أطاقت، والمناصل[6] قد نهرت

---

١ رضوى: جبل بين مكة والمدينة .

٣ تتأطر : تتثنى .

٤ الضمير يعود على «أوزن حسن» .

٥ الاوقار : احمال الهدايا .

٦ المناحل: السيوف .

وراقت، ونقمة الله بعدوه قد حاقت، ونعمه قد بهرت لدينا وراقت، وأساراهم في أيدينا قد أوثقت، وتخلفت قصورهم السامية قيعانا، وكنائسهم الحافلة أثراً لا عيانا. وقد أخذ الله صلبانها، واستعجل للنيران رهبانها، وأتى الله على بيوتها من القواعد فخرت، وزلزل مصانعها العالية، فاستوت على وجه الصعيد واستقرت. فما أظن أن مدينة بلغ الخراب من معمورها، واستأصل العفاء من متبحرات دورها، ما بلغ من هذه البائسة البائدة، والقوية المكابرة، غير الله محاسنها، وشرد قاطنها، فله الحمد ومنه أسأل أن يصل للإسلام عوائد النعم الجسام ويلهمنا الشكر المستدعي للمزيد من هذه / الاقسام. وإذا كان هذا الموطىء الذي يغيظ الكفار – أ - ١٥٥
يرفعه الله ويكتبه، ويعلق الثواب الجزيل ويرتبه، فكيف لا نحمد الله على تخريب هذا المصر الشهير، والقطر الخصيب الخطير. بحيث تمضي الاحقاب وهو عبرة للمعتبرين، وواعظاً للمبصرين المستبصرين، وحديثه لسان صدق في الآخرين[1].

(١) إلى هنا ينتهي نص نسخة (أ). وجاء في نسخة (ب) ما يلي: (شعر)[1]

ضَاءَتْ بِنُورِ إِيَّابِكَ الأَيَّامُ   وَاعْتَزَّ تَحْتَ لِوَائِكَ الإِسْلامُ
أَمَّا الْجَمِيعُ فَفِي أَعَمِّ مَسَرَّةٍ   لَمَّا انْجَلَى بِظُهُورِكَ الإِظْلامُ
بَادَرْتَ أَجْرَكَ فِي الْجِهَادِ مُجَاهِداً   مَا ضَاعَ عَبْدُكَ لِلثُّغُورِ ذِمَامُ
وَحَمِدْتُ مُعْتَزِماً وَسَعْدُكَ مُنْهِضٌ   نَحْوَ الْعِدَا وَدَلِيلُكَ الإِقْدَامُ

---

١ على وزن بحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب.

كَمْ وَقْعَةٍ لَـكَ فِيهِمُ[٢] مَشْهُورَةٍ ... غَصَّ الْعِرَاقُ بِذِكْرِهَـا وَالشَّـامُ
فِي مَوْضِعٍ فِيـهِ الأَسِنَّةُ والظُّبَى[٣] ... بَرْقٌ وَنَقْعُ الْعَادِيَاتِ[٤] غَمَـامُ
وَالضَّرْبُ قَدْ صَبَغَ النُّصُولَ كَأَنَّمَا ... يَنْشَقُّ عَـنْ زَهْرِ الشَّقِيقِ كِمَامُ
فَاهْنَأْ مَزِيَّةَ[٥] ظَـافِرٍ مُتَأَيِّـدٍ ... جَفَّتْ بِرِفْعَةِ شَأْنِـهِ الأَقْـلامُ
وَإِلَيْكَ وُدِّي وَاخْتِصَاصٌ سَابِـقٌ ... يَجْلُوهُ مِـن دُرِّ الْكَـلامِ نِظَامُ
إِنِّي وَإِنْ خُلِّفْتُ عَنْكَ فَلَمْ يَـزَلْ ... مِنِّي إِلَيْكَ تَحِيَّةٌ وَسَلامُ

كمل بحمد الله تعالى. وكان الفراغ من نسخه من مسودة بخط مؤلفه، في أواخر جمادى الاخرى عام احدى وعشرين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل صلاة سنية .

---

٢ فهم: باشباع ضمة الميم لمقتضى الوزن .

٣ الظبى: - بضم أوله - جمع ظبة وهو حد السيف أو السنان .

٤ العاديات: الخيل المغيرة، وجماعة من القوم المستعدين لخوض القتال .

٥ مزية: أي بمزية، وضمير المخاطب في (فاهنأ) يعود على محمد بكداش الممدوح .

وما توجيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب

المحقق: محمد بن عبد الكريم

مصادر ومراجع
«التحفة المرضية»

أ - المصادر والمراجع العربية

- ابن الخطيب (لسان الدين)، الاحاطة في اخبار عرناطة (القاهرة: ١٣٢٩ هـ) ج: ١-٢ .
- ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي (القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٨) ج : ٣ .
- ابن زاكور (محمد) نشر أزاهر البستان، فيمن أجازني بالجزائر وتطوان ، الجزائر : مطبعة فونتانا ١٢١٩ هـ - ١٩٠٢ .
- ابن سودة (عبد السلام)، دليل مؤرخ المغرب الاقصى، (الدار البيضاء : مطبعة دار الكتاب ١٩٦٠ م) ج : ١-٢ .
- ابن عباد (الصاحب)، عنوان المعارف، وذكر الخلائف تحقيق محمد حسن آل ياسين (بغداد: مطبعة دار التضامن ١٩٦٤ م) .
- ابن عمار (أحمد)، نحلت اللبيب، بأخبار الرحلة إلى الحبيب. الجزائر : مطبعة فونتانا ١٩٠٥ م .
- ابن قنفذ (أحمد القسنطيني)، الوفيات تحقيق هنري بيريس (القاهرة : بدون تاريخ) .
- ابن مريم (محمد)، البستان، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. (الجزائر : المطبعة الثعالبية ١٩٠٨ م) .
- ابن منظور (محمد)، لسان العرب (القاهرة: مطابع كوستاتسوماس وشركاه - مصورة عن طبعة بولاق القديمة المطبوعة سنة ٣٠٨ هـ) ج : ١-٢٠ .
- ابن ميمون (محمد)، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية (الجزائر : المكتبة الوطنية، تحت رقم ١٦٢٥) .
- ابن ميمون (محمد)، التحفة المرضية، في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية (مخطوط خاص) .

- أبو بكر (محمد الحزامي الهمداني)، عجالة المبتدىء، وفضالة المنتهى في النسب، تحقيق عبد الله كنون (القاهرة: المطبعة الاميرية ١٩٦٥ م).
- أبو راس (محمد)، عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار (مخطوط خاص).
- حسان حقي، الجزائر العربية (بيروت: المكتبة التجارية ١٩٦١ م).
- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (قسنطينة: مطبعة البعث ١٩٦٨ م).
- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا (الجزائر: نشر المكتبة المصرية ١٣٥٦ هـ).
- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر (القاهرة: مطبعة دار المعارف ١٩٦٣ م).
- أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون الجزائر، تحقيق صلاح الدين المنجد (بيروت: مطبعة دار الكتاب الجديد ١٩٦٢ م).
- أويس وفا، منهاج اليقين، شرح كتاب الدنيا والدين (مطبعة اسطنبول ١٣٢٨هـ).

– ب –

- البغدادي (عبد المؤمن)، مراصد الاطلاع، على أسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م) ج: ١-٢-٣.

– ث –

- ثريا عبد الفتاح ملحس، منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين. (بيروت مطابع دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٠ م).

– ج –

- الجامعي (عبد الرحمن الفاسي)، شرح أرجوزة الحلفاوي (مخطوط خاص).
- الجيلاني (محيى الدين عبد القادر)، قلائد الجواهر، في مناقب الشيخ عبد القادر (القاهرة: مطيعة البابي الحلبي، ١٣٣١ هـ).

- ح -

- الحلفاوي (محمد بن أحمد)، أرجوزة في فتح وهران (مخطوط خاص) .
- الحفناوي (أبو القاسم محمد)، تعريف الخلف برجال السلف، (الجزائر : مطبعة فونتانا) ج : ١-٢ .

- الزركلي (خير الدين)، الاعلام (القاهرة: مطبعة كوستاتسوماس وشركاؤه بلا تاريخ) ج : ٢-٣-٧ .

- السلمى (أبو عبد الرحمن محمد)، طبقات الصوفية تحقيق نور الدين شريبة (القاهرة: مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥٣م) .
- السيوطي (عبد الرحمن)، الدرر المنتثرة، في الاحاديث المشتهرة. (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٧ م) .

- الشقراني (أحمد)، القول الاوسط، في أخبار بعض من حل بالمغرب الاوسط (مخطوط خاص) .
- الشريشي (أحمد)، شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي (القاهرة: مطبعة المنيرية ١٩٥٣ م) ج : ١ .

- ض -

- الضبي (أحمد بن يحيى)، بغية الملتمس، في تاريخ رجال الأندلس. (مدريد: مطبعة روخس ١٨٩٤ م) .

- عبد الرحمن الجلالي، تاريخ الجزائر العام (الجزائر : المطبعة العربية ١٩٥٤ م) ج : ١ - ٢ .
- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٤ م) .

– عبد الماجد منعم، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٤م).
– عنان (عبد الله)، الآثار الاندلسية الباقية (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١م).
– العياشي (عبد الله)، ماء الموائد (فاس: مطبعة حجرية بلا تاريخ) ج: ١–٢.
– القزويني (محمود)، عجائب المخلوقات (القاهرة: مطبعة الاستقامة ١٩٥٤م) ج: ١ – ٢.

– م –

– مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث (بيروت: مطبعة بدران ١٩٦٤م) ج: ٣.
– محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر، في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تحقيق ممدوح حقي (بيروت: مطبعة دار اليقظة العربية ١٩٦٤م) ج: ١.
– محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: البخاري ومسلم (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٤٩م). ج: ١–٢–٣.
– محمد مصطفى، اعجام الأعلام (القاهرة: المطبعة الرحمانية ١٩٥٣م).
– مخلوف (محمد)، شجزة النور الزكية، في طبقات المالكية. (القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٥٢هـ.
– المزري (بن عودة)، طلوع سعد السعود في تاريخ وهران ومخزنها الأسود (مخطوط خاص).
– المشرفي (عبد القادر)، بهجة الناضر، في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كبني عامر (مخطوط خاص).
– المصري (عبد الرؤوف)، معجم القرآن (القاهرة: مطبعة حجازي ١٩٤٨م) ج: ١ – ٢.

- المقري (أحمد)، نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد محيي الدين (القاهرة: مطبعة السعادة ١٩٤٩ م) ج : ١-٤-٧-٩ .
- المنجد (صلاح الدين)، قواعد تحقيق المخطوطات (بيروت: دار الكتاب الجديد، بلا تاريخ) .
- المنذري (عبد العظيم)، الترغيب والترهيب (القاهرة: مطبعة علي صبيح بلا تاريخ) ج : ٤ .
- المهدي البو عبدلي. الثقافة والتوجيه بالجزائر في العهد التركي. (محاضرة ألقيت أمام ملتقى التعريف بالفكر الإسلامي المنعقد بمدرسة ترشح المعلمين بمدينة الجزائر من ١٩٦٩/١٢/٢٦ إلى ١٩٧٠/١/٢ م) .
- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر (قسنطينة: مطبعة البعث ١٩٦٥ م) .
- النووي (محيي الدين)، رياض الصالحين، تحقيق محمد رضوان، (القاهرة: مطبعة الاستقامة بلا تاريخ) .

- و -

- الورثلاني (الحسين)، نزهة الأنظار، في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثلانية). بتحقيق محمد بن شنب. الجزائر : مطبعة فونتانا .

ب - المصادر والمراجع الأجنبية

A

— Auguste Cour, l'Etablissement des Dynasties des Chérifs au Maroc et leur Rivalités avec les Turcs de la Régence d'Alger 1509 1830 (ANGERS-Imprimerie A. Burdin et Cie, 1904).

B

— Ben Cheneb, Mohamed, Mots Turcs et persans conservés dans le parler Algerien (ALGER 1922).

— Berbrugger, Epitaphe d'OUZOUN Hassen le Conquérent d'Oran en 1708 (revue Africaine IX. P. 122-126).

— Brockelmann, Geschichte de rarabischen littérature (Welmer: 1902) V. 2P. 608.

E

— Extrait de l'Encyclopédie Turque, les Dirigeants de l'Algérie pendant la période Turque (1515-1830) Tome 10 P. 324.

F

— Fagnan Catalogue général de Manuscrits (PARIS: 1893) P. 452.

— FAURE Biguet, Histoire de l'Afrique Septentrionale (PARIS: Imprimerie. M.

G

— Gorguos, Notice sur le Bey d'Oran (Revue Africaine 1857) Volume 2P. 34.

J

— J.D. Kieffer et T.X. Binchi, Dictionnaire Turc-Français (PARIS Imprimerie Royale) T. 1-2.

L

— Léon Fey, Histoire d'Oran, avant, pendant et après la domination Espagnole Oran 1858.

— Léon Calibert, l'Algerie ancienne et moderne (PARIS 1884).

— L. Péchot, Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830 (Im. Alger 1914) V. 3.

— Louis Rinn. Le Royaume d'Alger. (Alger, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire-Editeur, 1900).

— Maurice Lamartine, Comment Rédiger ou Conseils sur l'art d'écrire (Alger: Editions de l'école française par correspondance).

P

— Paul Gaffarel, l'Algerie. (PARIS: imprimerie de l'Institut 1883).

R

— R. Dozy Dictionnaire Arabe (PARIS: Leidé, 2éme Edition, 1927), Tome 1-2.

ملاحق

الملحق الأول

بعض الأشعار التي قيلت في مدينة « وهران »

لقد أحببنا أن نلحق بهذه المقامات بعض الأشعار الاستصراخية التي قيلت أثناء احتلال الاسبان لمدينة « وهران » عاصمة الغرب الجزائري، ومنها ما قيل إثر الفتح الأول وبعقب طرد الإسبان من هذه المدينة.

وقد رتبنا تلك الأشعار حسب الحروف الهجائية لقوافيها .

---

١ الفتح الأول: هو فتح مدينة «وهران» عنوة على يد الداي محمد بكداش سنة ١١١٩ هـ (١٧٠٨ م) .

قال ابن مريم[1] : وهذه الأبيات الآتية نظمها (عبد الرحمن بن موسى[2]) عند هدم الباشا حسين حصن المرسي الأعلى وهروب النصارى - دمرهم الله - للحصن الاسفل، وهي هذه :

هَنِيئاً لَكُمْ بَاشَا الْجَزَائِـرِ وَالْغَـرْبِ
بِفَتْحِ أَسَاسِ الْكُفْرِ مَرْسَى قِرَى الْكَلْبِ
سَتَفْتَحُ وَهْرَاناً وَمَرْسَاتَهـا الَّـتي
أَضَرَّتْ بِــذَا الإِقْلِيمِ طُرًّا بِلا رَيْبِ
فَثِقْ بِالإِلَهِ وَاسْتَعِنْ بِــهِ وَاصْبِرَنْ
يُنِلْكَ الْمُرَادَ يَا أَمِيري وَمَطْلَـبي
وَقَـدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَـلالُهُ
« مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً » قَدْ أَتَى ذَاكَ فِي الْكُتْبِ
وَقَـدْ قَـالَ فَارُوقٌ أَبُـو حَفْـصٍ الرِّضِي
بِيُسْرِ ين عُسْرٌ وَاحِـدٌ لَيْسَ ذَا غُلْبِ
وَحَاصِلُ أَمْـرِ فَالْوُثُـوقُ بِـرَبِّنَا
تَعَالى وَعَـزَّ عَـنْ شَرِيكٍ وَعَـنْ صَحْبِ

---

١ ابن مريم هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بـ « ابن مريم التلمساني ». أخذ عن الشيخ سعيد المقري وغيره، وقد ذكر مشايخه ومؤلفاته في كتابه « البستان ... » وهي أحد عشر تأليفاً . توفي سنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١ م) بمسقط رأسه (تلمسان) .

٢ هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن موسى الوجديجي. أخذ عن الشيخ محمد ابن هبة الله بن شقرون الوجديجي، وعن والده وعن الشيخ علي ابن يحيى السلكسيني الجادري وغيرهم، ولد في حدود ٩٢٩ هـ (١٥٢٣ م) وتوفي يوم الجمعة تاسع عشر شعبان سنة ١٠١١ هـ (١ فيفري ١٦٠٣ م). (ابن مريم محمد. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر مطبعة الثعالبية ١٩٠٨ م . ص ١٢٩) .

يُنِيلُكَ يُسْراً ثُمَّ عِــزًّا وَنُصْرَةً
وَصَلِّ عَلى خَيْرِ الأَنَامِ مَعَ الْعُرْبِ
بِيَومِ خَمِيسٍ خَمْسُمِائَــةِ مَــرَّةٍ
يُفَرِّجُ رَبّي عَنْكَ غَمَّكَ وَالْكَرْبِ

... ...

... ...

فَأَبْقَاكَ رَبّي فَاتِحــاً لِحُصُونِهِمْ
وَكَهْفاً مَنِيعاً ذَا عُلُومٍ وَذَا صَوْبِ
وَنَــوَّرَ قَلْباً مِنْكَ بِالْعِلْمِ وَالتُّقَى
وَأَعْطَاكَ مَــا تَهْوَى مِــنَ النَّصْرِ وَالْحُبِّ
وَبالنَّجْلِ مَحْمُودٍ أَقَــرَّ عُيُونَنَــا
كَفَاهُ وَقَــاهُ السُّوءَ في الْبُعْــدِ وَالْقُــرْبِ
صَلاةً وَتَسْلِيماً عَــلى أَحْمَــدَ الَّــذِي
بِــهِ سَتَنَالُ الْفَتْــحَ وَالآلِ وَالصَّحْــبِ
وَكَاتِبُهُ نَجْلُ ابْنِ مُوسَى مُحَمَّــدٍ
مُقِرٌّ بِتَقْصِيرٍ في عِلْمِــهِ وَالْقَلْــبِ [1]

وقال ابن مريم – أيضاً – :

وكان دخول المسلمين هذا الحصن ليلة السبت خمسة عشر من رمضان عام سبعة وألف[2] تمت بحمد الله وحسن عونه، ونظم هذه الأبيات

١ ابن مريم محمد. المصدر السابق. ص ١٣٢ .

٢ الموافق لـ (١١ افريل ١٥٩٩ م) .

يوم حزن الباشا – أيده الله – على من مات من المسلمين يوم الجمعة الأول في فتح الحصن ولا قوة قبالته قبل. ورود المدافع من الجزائر المحفوظة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1] :

أَمَـوْلايَ بِالْمُخْتَارِ مِـنْ آلِ غَـالِبِ
أَحِبَّتِـهُ وَالأَصْحَابَ كُلُّ الأَقَارِبِ
تُحَيِّي بِنَصْرٍ مَعْ فُتُوحٍ تَوَاتَرَتْ
عَلى نَجْلِ خَيْرِ الدِّيـنِ خَيْرِ الْمَطَـالِبِ
وَتُـرْضِيهِ يَا مَـوْلايَ في كُلِّ وِجْهَةٍ
وَتَمْنَحُـهُ عِـزًّا وَخَيْرَ الْعَـوَاقِـبِ
وَتَكْشِفُ ضُرَّهُ وَتَحْفَـظُ سِرَّهُ
تُفَرِّجُ كَرْبَـهُ بِإِعْطَا الْمَـآرِبِ
وَتَـرْعَاهُ في الدُّنْيَا وفي الأُخْـرَى دَائِمـاً
مِـنَ الْحِقْـدِ والأَضْغَـانِ كُلِّ الْمَصَائِبِ
وَتَجْعَلُـهُ مِفْتَاحَ خَيْرٍ وَفَاتِحاً
لِـذَا الْحِصْنِ يَا مَـوْلاي مُعْطِي الْمَوَاهِبِ
ولا يَخْفَى عَنْكَ – زَادَكَ اللهُ نُصْرَةً –
سُؤَالُ هِـرَقْـلٍ لابْنِ حَـرْبٍ وَصَاحِبِ

---

[1] على وزن البحر الطويل المقبوض العروض والضرب .
والناظم هو عبد الرحمن بن محمد بن موسى الوجديجي السابق الذكر .

بِقَوْلِـهِ: كَيْفَ كَـانَ إِيَّاهُ حَزْبُكُمْ ؟
سِجَالٌ جَوَابُهُ بِلا نُكْرٍ صَائِبِ

... ...

وَأَنْتَ لأَصْحَابِ النَّبِيِّ خَلِيفَةٌ
وَحِزْبُ الإِلَـهِ هُوَ أَفْضَلُ غَالِبِ
فَثِقْ بِالإِلَـهِ وَاصْبِرَنَّ تَنَلْ بِـهِ
مُرَادَكَ «وَهْرَاناً» وَمَرْسَى الْقَـوَارِبِ
وَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلالُهُ
«مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً» لَسْتَ فِي ذَا بِغَائِبِ
عَلَى قَـدْرِ تَقْوَى اللهِ تَـأْتِي الْمَـوَاهِـبُ
وَتَأْتِي عَـلى قَـدْرِ الذُّنُوبِ الْمَصَائِبُ[1]

وقال عبد الرحمن الجامعي[2] : «ووافق هذا الفتح مقدم وفود - وفيهم أديب عالم من سادة أهل مكة شرفها الله تعالى - على سيد الأمير[3] - نصره الله - وكان إذ ذاك عنده في كرم الضيافـة، فقال - في تهنئته بهذا الفتح السعيد - أبياتاً لو كانت مـاء لاستعذب السقيم ارتشافها وهي هذه[4] :

---

١ ابن مريم محمد. المصدر السابق. ص ١٣٣ .
٢ المصدر السابق. ص: ٦٦ .
٣ الأمير : هو الداي محمد بكداش .
٤ على وزن البحر البسيط، المخبون العروض والضرب .

- ر -

يَا أَمِيرُ عَلَى عَلْيَاهُ قَـدْ عُقِدَتْ ... خَنَاصِرٌ فَهُوَ فَرْدُ المَجْدِ وَالْخَطَرِ (١)
جَرَتْ لِسَعْدِكَ أَفْلاكُ السَّمَاءِ بِمَا ... تَخْتَارُ فِي الأَمْرِ مِنْ نَفْعٍ وَمِنْ ضَرَرِ
أَتَتْ لِنَجْوَاكَ أَبْكَارُ الْفُتُوحِ وَكَمْ ... رَمَتْ سِوَاكَ بِشُؤْمِ الْعَجْزِ وَالْحَصَرِ
أَرْعَبْتَ - خَوْفاً - قُلُوبَ الْكَافِرِينَ فَهُمْ ... قَتْلَى وَصَرْعَى لَدَى الْعِقْبَانِ وَالنُّسُرِ
لا زَالَ جَيْشُكَ أَنَّى سَارَ يَقْدُمُهُ ... نَصْرٌ وَفَتْحٌ مُبِينٌ غَيْرُ مُنْحَصِرِ
دَانَتْ لَكَ الأَرْضُ دَانِيهَا وَشَاسِعُهَا ... وَقَدْ أَطَاعَكَ أَهْلُ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
وَأَحْرُفُ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ الْمُبِينِ عَلَى ... لِوَاكَ قَدْ رَقَمَتْهَا أَنْمُلُ الْقَدَرِ
أَنَا لَكَ اللهُ مَا تَهْوَى وَتَطْلُبُـهُ ... مِنَ السَّعَادَةِ وَالإِقْبَـالِ وَالظَّفَـرِ
فَاللهُ يُبْقِيكَ فِي خَيْرٍ وَعَـافِيَـةٍ ... مَا دَامَ فِينَا ضِيَاءُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ (٢)

ثمّ قال عبد الرحمن الجامعي - أيضاً - : وقد كنت أوان هـذا الفتح(٣) بـ (تلمسان) اتذاكر مع بعض الاخوان في علمي النحو والبيان فصدر من أحدهم قول ينبىء بقصوره فاعملت الجهد في اصلاح خطئه، وجبر مكسوره، ثم أثبته هنا(٤) كما أثبت قولي السقيم وان صوّح(٥) النبت رعي الهشيم، وهو هذا(٦) :

---

١ الخطر : القدر . يقال : شيء خطير . أي : نفيس ذو قدر .
٢ المصدر السابق. ص : ٨٨) .
٣ هذا الفتح : فتح وهران الأول سنة ١١١٩ هـ - ١٧٠٨ م .
٤ هنا : في شرحه لارجوزة الحلفاوي .
٥ صوّح : جف، ويبس .
٦ على وزن البحر الطويل، المقبوض العروض، التام الضرب .

– ر –

سَلامٌ عَـلى الْجُنْدِ الْمُوايَّــدِ بِالنَّصْرِ
ضَرَاغِمُ خَلْـقِ اللهِ في الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ
جُيُوشٌ بِهَا الإِسْلامُ عَـزَّ مَنَالُـهُ
فَأَصْبَحَ دِينُ اللهِ مُبْتَسِمَ الثَّغْرِ
فَمَا شُغْلُهُمْ إِلّا الْجِهَادُ جَزَاهُمُ
إِلَـهُ الْوَرَى خَيراً يَفُـوقَ عَـلى الْحَصْرِ
هُمُ مَنَعُوا الإِسْلامَ مِـنْ كُلِّ صَائِـلٍ
هُمُ قَصَمُوا الأَعْدَاءَ بِالْبِيضِ وَالسُّمْرِ
هُمُ خَرَّبُوا دَارَ الصَّلِيبِ وَمَزَّقُـوا
لُحُومَ الْعِـدَا لِلْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالْقَفْـرِ
وَأَحْيَوْا رُسُومَ الـدِّيـنِ بَعْـدَ انْـدِرَاسِهَا
وَغَـارُوا عَـلى الدِّينِ الْقَوِيمِ مِنَ الْكُفْرِ
فَفَكُّوا ثُغُوراً طَالَمَا لَعِبَتْ بِهَا
يَدُ الشِّرْكِ في الأَسْرَارِ قَصْداً وفي الْجَهْرِ
وَأَبْـدَلَ بَعْـدَ الْعُسْرِ يُسْراً وَأَصْبَحَتْ
دُمَى[1] الْكُفْرِ في حَصْرٍ وَعُسْرٍ وفي خُسْرِ
فَمَنْ مَاتَ مِنَّا بِالشَّهَادَةِ فَائِزٌ
وَمَنْ مَـاتَ مِنْهُمْ كُـبَّ في لَهَبِ الْجَمْرِ

---

١ دمى الكفر : صلبانهم ، ومعابيدهم .

رَعَى اللّٰهُ أَيَّامَ الْبَشَائِرِ إِنَّهَا
مَوَاسِمُ لِلإِسْلامِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
فَيَا سَعْدَ شَخْصٍ كَانَ لِلْفَتْحِ حَاضِراً
لَقَدْ حَازَ حَظًّا فِي السَّعَادَةِ ذَا وَفْرِ
وَنِعْمَ فَتىً مَا زَالَ فِيهِ مُرَابِطاً
يُنَزَّهُ عَنْ زَيدٍ – هُنَاكَ – وَعَنْ عَمْرٍ.
فَتىً مُحْسِنٌ لِلْقَاصِدِينَ بِفَضْلِهِ
لِذَا «حَسَناً»[2] ، سَمَّاهُ ذُو الْمُلْكِ وَالأَمْرِ
بِهِ بَلَغَ الإِسْلامُ غَايَةَ سُؤْلِهِ
وَأَصْبَحَ أَهْلُ الْكُفْرِ فِي الْحَشْرِ وَالْعُسْرِ
هُمَامٌ حَوَى الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ يَافِعاً
شُجَاعٌ كَمِيٌّ طَاعِنٌ الصَّدْرِ وَالنَّحْرِ
رَحِيمٌ بِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ مُلاطِفٌ
رَؤُوفٌ عطُوفٌ فِي النَّوَائِبِ ذُو صَبْرِ
رُحِمْنَا بِهِ فَالأَرْضُ تَزْهُو بِذِكْرِهِ
كَمَا رُحِمَتْ فِي الْجَدْبِ مِنْ صَيِّبِ الْقَطْرِ
رَسَائِلَ شَوْقٍ نَحْوَهُ قَدْ بَعَثْتُهَا
تُهَنِّيهِ بِالْفَتْحِ الْعَزِيزِ وَبِالظَّفْرِ

---

٢ حسنا : هو الخليفة «أوزن حسن» المتقدم الذكر مراراً في تعاليقنا على المقامات التي نحن بصدد تحقيقها (التحفة المرضية) .

رَكَائِبَ آمَـالٍ لَـدَيْهِ أَحُطُّهَـا
فَتَغْنَمُ مَطْلُوباً وَتَغْرِفُ مِنْ بَحْرِ
عَلَيْهِ سَلامُ اللهِ مَا قَالَ قَائِلٌ
سَلامٌ عَلى الْجُنْدِ الْمُؤَيَّدِ بِالنَّصْرِ[1]

وقال أبو عبد الله محمد حفيد المهدي الجزائري (وقد نظمها سنة ١١١٦ هـ (١٧٠٥ - ١٧٠٤ م)[2] :

- ل -

جِئْنَاكَ يَا شَيْخَ الْعُـلى نَتوسَّلُ
وَنَـرُومُ غَيْثاً مِنْ جَنَابِكَ يَهْطِـلُ
بِمُشَفـعٍ حَقًّا عَلَيْكَ قَبُولُـهُ
وَقَضَاهُ حَاجَـةِ مَنْ بِـهِ يُتَوسَّلُ
هُوَ أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ أَفْضَلُ سَيِّدٍ
بالْجَاهِ مِنْهُ إلى الرِّضى يُتَوصَّلُ
خَيْرُ الْبرِيَّـةِ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَـ
ـلَيْنِ أَفْضَلُ مَنْ نَدَاهُ يُؤَمَّلُ
كَهْفُ الْخَلائِـقِ يَوْمَ يَفْزَعُ أَنْبِيَا
ءُ اللهِ فِيــهِ وَدَمْعُهُـمْ مُسْتَرْسِلُ

---

١ (الجامعي، عبد الرحمن، شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ١٣).
٢ على وزن البحر الكامل، الصحيح العروض والضرب.

وَالرَّبُّ جَلَّ جَلالُـهُ بِاللُّطْفِ يَلْـ
ـحَظُهُ وَيَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَيَقْبَلُ

وَبِحُرْمَـةِ الصِّدِّيقِ مَـنْ لِنَبِيِّنَا
أَبْدَى لِصُحْبَتِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

وَبِرُتْبَـةِ الْفَارُوقِ أَفْضَلِ مَنْ غَدَا
بِالْحَقِّ مِنْ شِبْهِ الضَّلالَةِ يَفْصِلُ

وَبِثَـالِـثِ الْخُلَفَـاءِ عُثْمَانَ الَّذِي
فِي دِينِـهِ وَحَيَائِهِ لا يُعْدَلُ

وَبِنَجْلِ عَمِّ الْمُصْطَفَى وَمَنِ انْتَضَا
هُ اللهُ سَيْفاً كَيْـفَ حَـارَبَ يَقْتُـلُ

وَبِسَيِّدِ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةَ يَا لَـهُ
أَسَداً لِصَوْلَتِـهِ الْقُلُوبُ تَزَلْـزَلُ

وَبِصِنْوِهِ الْعَبَّاسِ مَنْ بِدُعَـائِهِ
يُسْقَى الأَنَامُ بِصَيِّبٍ يَتَسَلْسَلُ

وَإِذَا امْرُءٌ وَافَى بِسِبْطِي أَحْمَـدٍ
حَتْماً يُنَفِّذُ مَا يَقُولُ وَيَسْـأَلُ

بِهِمَـا أَتَيْنَـا وَالْكَرِيمُ طِبَاعُـهُ
مَهْمَـا أَتَاهُ عَزِيزُ قَـوْمٍ يَفْضُلُ

أَحْـرَى بِـرَيْحَانَي رَسُـولِ اللهِ فَـالأَرْوا
حُ إِنْ طُلِبَتْ لِذَيْنِكَ تُبْذَلُ

فِي رَدِّ دَارِكَ لِلَّذِينَ تَمَسَّكُوا
بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِـهِ وَتَـوَكَّلُـوا
رَحْمَاكَ يَا عَـلَمَ الْهُـدَى فَالصَّفْحُ مِـنْ
أَهْلِ الْحَقِيقَـةِ فِي الْجِنَايَـةِ أَجْمَـلُ
نَرْجُـو رِضَاكَ فَرَبُّنَا سُبْحَانَـهُ
مَهْمَا رَضِيتَ بِفَتْحِهِ يَتَفَضَّلُ
إِنَّا تَـوَسَّلْنَـا إِلَيْكَ بِسَادَةٍ
أَقْـدَامُهُمْ فَـوْقَ الْحَيَاةِ تُبَجَّـلُ
فَبِحَقِّهِمْ إِلَّا قَضَيْتَ حُقُوقَنَـا
وَفَتَحْتَ مِـنْ بَابِ الْعِدَا مَا يُقْفَلُ
وَرَجَعْتَ لِلإِسْلَامِ رَجْعَةَ مُشْفِقٍ
لِلدِّينِ تَنْصُرُ وَالْكَوَافِرَ تَخْذُلُ
حَتَّى نَـرَى (وَهْرَانَ) دَارَ إِقَامَـةٍ
لِصَلَاتِنَـا بَعْـدَ الأَذَانِ تُكَمَّلُ
وَنَرَى بِهَـا الْقُرْآنَ يَفْشُو دَرْسُهُ
وَالْعِلْمَ حَـلَّ بِهَا وَنِعْمَ الْمَنْزِلُ
وَيَؤُوبُ عُبَّـادُ الصَّلِيبِ بِحَسْرَةٍ
وَلِـدَارِ كُفْرِهِمُ الشَّنِيعِ تَـزَلْزُلُ
وَحِصَارُنَـا إِيَّاهُـمْ مُتَعَسِّفٌ
وَعَلَيْهِمْ مِنْـهُ الْبَلَاءُ مُوَكَّـلُ

وَالْخَيْلُ تَمْـرَحُ في جَـوَانِـبِ أَرْضِهِـمْ
طَـوْراً وَطَوْراً بِالأَسَارَى تُقْبِلُ
حَتَّى إذا طَالَ الْبَلاءُ عَلَيْهِمُ
وَلَدَيْهِمُ بِالْحَصْرِ داءٌ مُعْضِلُ
خَرَجُوا تَخَالُهُمُ السَّرَابَ إلى الْوَغَـى
مُتَيَقِّنِينَ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَفْشَلُـوا
وَتَأَهَّبَتْ فُرْسَانُنَـا لِقِتَالِهِـمْ
وَالْخَيْلُ تَرْفُلُ بِالسُّرُوجِ وَتَصْهَلُ
ثُمَّ امْتَطَوْا لِظُهُورِهَـا وَتَقَلَّدُوا
بِكَوَاكِـبِ الأَسْيَافِ مِمَّا يُحْمَلُ
مِنْ كُلِّ هِنْدِيٍّ كَأَنَّ وُقُوعَـهُ
نَجْمٌ أَغَـارَ عَلَى الأَبَالِسِ مُشْعَلُ
أَوْ أَسْمَرٍ لِلْخِطِّ[1] يُنْسَبُ صُنْعُهُ
عَنْ نَحْرِهِـمْ في الطَّعْـنِ لا يَتَحَـوَّلُ
بَاعُوا النُّفُوسَ بِجَنَّةٍ مِنْ رَبِّهِمْ
أَكْرِمْ بِهِ بَيْعاً وَرِبْحاً يَحْصُلُ
وَتَصَادَقَتْ حَمَلاتُهُـم فَكَأَنَّهُمْ
عِقْبَانُ جَوٍّ بِالطَّرَائِدِ أَقْبَلُـوا
مِنْ بَيْنِ ذِي قَتْلٍ يُشَحَّطُ في الـدِّمَـا
بَطْشاً وَذِي أَسْرٍ بِهِ يَتَعَجَّـلُ

١ الخط - بكسر أوله - موضع باليمامة تصنع به الرماح وتنسب إليه .

وَتَعَلَّقَتْ أَبْطَالُنَا بِحُمَاتِهِمْ
تُبْدِي لَهُمْ حَرْباً أَمَرَّ وَأَهْوَلُ[1]
وَالْمَشْرَفِيَّةُ لِلرِّقَابِ قَوَاطِعٌ
وَمِنَ الْبَنَادِقِ فِي الصُّدُورِ تَوَغُّلُ
وَلأَهْلِ حِزْبِ اللهِ تَمَّتْ صَوْلَةٌ
وَبِعِزِّهِمْ رَبُّ السَّمَا مُتَكَفِّلُ
حَتَّى إذا مَا نُفِّذَ الْمَقْدُورِ فِي
حِزْبِ الشَّقَاءِ عَلَى الْهَزِيمَةِ عَوَّلُوا
وَلَّوْا عَلى الأَدْبَارِ يَحطِمُ بَعْضُهُمْ
بَعْضاً كَأَنَّهُمُ الْقَطِيعُ الْمُهْمَلُ
وَالسَّيْفُ يَأْخُذُهُمْ وَيَعْمَلُ فِيهِمُ
عَمَلاً لأَعْنَاقِ الأَخَابِثِ يَشْكُلُ[2]
وَتَهَافَتَتْ أَبْطَالُنَا بِعَزِيمَةٍ
نَحْوَ الْمَدِينَةِ وَاسْتَبَانَ الْمَدْخَلُ
وَلَجُوا عَلَيْهَا كَالصُّقُورِ نَجَابَةً
وَالْكَافِرُونَ بِكُفْرِهِمْ قَدْ أُبْسِلُوا[3]

---

١ في الشطر الثاني إقواء .

٢ يشكل ... اما من شكلت الكلب إذا قيدته، وأما من اشكل ماء دجلة إذا امتزج واختلط بياضه بحمرته، وهو المراد هنا .

٣ ابسلوا ... اسلموا أنفسهم للهلاك والعذاب .

فَتَمَلَّكُوهَا عَنْوَةً وَزَهَتْ بِهِـمْ
فَـرَحاً وَعَادَ لَهَا الزَّمَانُ الأَوَّلُ

هَذَا بِفَضْلِ اللهِ نَـرْجُـو عَـاجِلاً
واللهُ يَقْضِي مَا يَشَاءُ وَيَفْعَلُ

وَإِلَيْكَ يَا شَيْخَ الْعُلى وَجَّهْتُهَا[1]
عَذْرَاءَ فِي ثَوْبِ الْمَحَاسِنِ تَرْفُلُ

جَـاءَتْ عَلى قَـدَرٍ وإِنَّ الْفِكْرَ أَعـو
زَهَا عَلى نَهْجِ الإِجَادَةِ مُشْغَلُ

وَأَجَلُّ مَقْصِدِهَا الْقَبُولُ فَإِنَّـهُ
حلْيٌ بِجَوْهَرِهِ النَّظِيمِ تَجَمُّـلُ

ضَاهَتْ شَقِيقَتَهَا[2] وَمَطْلَـعَ حُسْنِهَـا
الْحَقُّ يَعْلُو وَالأَبَاطِلُ تَسْفُلُ

وقال أبو عبد الله محمد المعروف بابن علي بن أبي عبد الله سيدي المهدي الجزائري[3] :

– م –

عُيُونٌ دَهَتْنِي أَمْ سُيُوفٌ صَوَارِمُ
وَسُمْرٌ رَمَتْنِي أَمْ قُدُودٌ نَوَاعِمُ[4]

---

١ الضمير يعود على القصيدة .
٢ شقيقتها: اختها من القصائد التي سبقتها في هذا الغرض .
٣ توفي في حدود ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م ، (- تعريف الخلف، ج: ٢ ص: ٤٧١ . - شرح أرجوزة الحلفاوي، ص: ١٠٥) .
٤ على وزن البحر الطويل. مقبوض العروض والضرب .

وَتلْكَ بُرُوقٌ في الْحَنَادِسِ[1] أَوْمَضَتْ
فَعَمَّ سَنَاهَا أَمْ ثُغُورٌ بَـوَاسِمُ
فَكَمْ لَيْلَـةٍ وَافَـتْ فَمزَّقَـتِ الدُّجَى
شُمُوسٌ أَكَنَّتْهَا الْخُدُورُ الْعَواصِمُ
سَدَلْـنَ ظلالاً فَوْقَ صُبْحٍ مَخَافَةً
فَنَمَّ شَذَا كَالْمِسْكِ فِيهِنَّ لازِمُ
وَأَوْدَعَ قَلْبِي - يَوْمَ وَدَّعَ - جَمْـرَةً
كَلامٌ كَنَظْمِ الدُّرِّ فِيهِنَّ كَالِمُ
وَلِي نَزْعَةٌ قَيْسِيَّةٌ عَرَبِيَّـةٌ
فَهَا أَنَـا مِنْهَـا الدَّهْرَ نَشْوانُ نَـاعِمُ
دَعَانِي لَهَا دَاعِي الصِّبَا فَتَكَلَّفَتْ
إجَابَتَـهُ مِنِّي الْقُوَى وَالْعَـزَائِمُ
فَكَمْ رَشْقَةٍ عَنْ مِثْلِهَـا السَّهْمُ قَاصِيٌ
وَطَعْنٌ بِقَلْـبِي لَـمْ تُفِـدْهُ اللَّهَـاذِمُ[2]
لِيَقْضِي عَـلَيَّ الْحُسْنُ مَـا كَانَ قَاضِياً
سَوَايَ عَـلى مَـا جَرَّهُ الطَّرْفُ نَـادِمُ
وَحَيٌّ عَلى هَضْبِ اللَّوَاءِ مُنَظَّمٌ
أَنَافَ عَلَى الشَّطْرَنْجِ مِنْهُ التَّـلاؤُمُ

---

١ الحنادس: جمع حندس - بكسر أوله - وهو الليل الشديد الظلمة .
٢ اللهاذم: جمع لهذم كجعفر، وهو القاطع من الاسنة .

إذا هَبَّتِ الأَرْواحُ مِنْهُ تَرَوَّحَتْ
لَهَا الرُّوحُ أَوْ مَـرَّتْ عَلَيْهَـا النَّـوَاسِمُ
كَأَنَّ بِهَا الْخِلْجَانَ شَكْلُ سَجَنْجَلٍ(١)
تُـرَصِّعُهَـا زُهْـرٌ إذا اللَّيْـلُ عَـاتِمُ
وَرَاقَ بِهَـا وَرْدُ الْغَـزَالَـةِ إذْ حَكَى
سَبَائِكَ تِبْرٍ مَوْجُهَا الْمُتَلاطِمُ
تَـذَكَّرْتُـهُ وَاللَّيْلُ مَـدَّ رِوَاقَـهُ
فَأَصْلَى فُؤَادِي حِينَ ذِكْـرَاهُ جَـاحِمُ
فَأَيْقَظْتُ عَيْنَ الْحَزْمِ مِنْ سَنَةِ الْكَرَى
وَشُدَّتْ عَلَى نَحْرِي إِلَيْهِ الْحَيَازِمُ(٢)
وَلَبَّيْتُ أَمْـرَ الشَّوْقِ بِالسَّمْعِ رَاضِيـاً
كَمَا حَكَمَتْ تِلْـكَ الشَّجَايَا اللَّوَازِمُ
تَخَيَّرْتُـهُ مِـنْ نَسْلِ أَعْـوَجَ قَيِّمـاً
عَلَى الصَّلْدِ لا تَكْبُو لَدَيْهِ الصَّلادِمُ(٣)
سَرَيْتُ بِـهِ أَفْـلَى الْفَـلا مُتَبَخْتِـراً
يُمَازِجُنَا مِنْهُ الصَّدِّيقُ الْمُنَادِمُ
يَصُولُ بِحُسْنِ السَّيْرِ عَنْ كُلِّ مَهْمَهٍ(٤)
مَجَاهِلُهُ تَعْنُو لَـهُ وَالْمَعَـالِمُ

---

١ السجنجل: المرآة .

٢ الحيازم: جمع حيزوم هو وسط الصدر وشد الحيازم كناية عن قوة الصبر .

٣ الصلادم: جمع صلدم – بكسر أوله – وهو الشيء الصلب، والشديد الحافر . والأسد .

٤ المهمه والمهمهة: المفازة والأرض القفراء، يجمع على مهامه .

إلى أنْ هَدَتْني نَفْحَةٌ عَنْبَرِيَّــةٌ
إلى الْحَيِّ حَيْثُ الْغَانِجَـاتُ الْكَرائِمُ
فَنَاجَيْتُ فِكْرِي هَــلْ أُهَيْلُ مَـوَدَّتِي
عَلى الْعَهْـدِ مَا شَابَ الْوِدَادُ مُـزَاحِمُ
وَهَلْ ذَلِـكَ الْحُسْنُ الْبَدِيـعُ مُحَجَّبٌ
مَصُونٌ بِأَنْـوَاعِ الْمَحَامِدِ قَائِمُ
فَأُبْتُ وَحَسْبِي لَمْحَةُ الدَّارِ أَنَّهَا
تُحَافِظُ عَنْ رَسْمِ الْهُدَى وَتُسَالِمُ
وَقَـدْ نَصَبَ الصُّبْحُ الأَغَـرُّ خِبَاءَهُ
فَكَرَّتْ عَلى الظَّلْمَاءِ مِنْهُ هَزَائِمُ

كَمَا لاحَ صُبْحُ الْحَقِّ يَـوْماً بِـدَوْلَةٍ
تَلاشَتْ بِهَا لَمَّا رَأَتْهَا الْمَظَالِمُ
إلَيْهِ تَنَاهَى الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ وَالْعُلى
وَعَنْهُ إلى الأَقْطَـارِ تُـرْوَى الْمَكَارِمُ
أَبَى اللهُ إلّا أَنْ يُشِعَّ هِلالَـهُ
وَلَيْس لِمَا يُبْدِيهِ ذُو الْعَرْشِ كَاتِـمُ
وَصَيَّرَهُ في الأَرْضِ حِصْناً مُشَيَّــداً
أَعَارِبُهـا تَهْذِي بِـهِ وَالأَعَاجِمُ
لَـهُ قَدَمٌ في مَرْكَزِ الْعِزِّ ثَابِتٌ
وَرَأْيٌ سَدِيدٌ لَمْ تَرِعْهُ الْعَظَائِمُ

رَفِيعُ الْبِنَا فِي الْمَجْدِ شَهْمٌ مُحَنَّكٌ
خَبِيرٌ بِأَفْرَادِ السِّيَاسَةِ عَـالِمْ
إلى الْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ يَهْـدِي وَيَهْتَدِي
وَيُصْفِـحُ عَمَّنْ أَوْبَقَتْهُ الْجَرَائِمُ
تَـزَوَّدَ تَقْوَى اللهِ جَـلَّ جَلالُـهُ
وَزَادُ التُّقَى كَنْزٌ لِمَـنْ هُوَ عَـادِمُ
فَيَا مَنْ رَمَتْهُ الْحَادِثَاتُ بِأَسْهُمٍ
وَصَالَ عَلَيْهِ الْمُشْتَفِى وَالْمُصَادِمُ
وَأَسْلَمَهُ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ وَذَنْبُـهُ
كَمَالُ الْحِجَى يَقْظَانُ أَوْفَى وَفَـاهِمُ
عَلَيْكَ بِهَذَا الْمُجْتَبَى مِنْ سُلالَةٍ
نَمَاهَا[1] إلى دَوْحِ الْمَفَاخِرِ هَاشِمُ
لِتَعْلَمَ كَيْفَ الْجُودُ وَالْفَضْلُ لا الَّذِي
تَكَلَّفَـهُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ حَاتِمُ
تَعَوَّدَ بَسْطَ الْبَذْلِ كَهْلاً وَيَافِعاً
يُوَالِيهِ مُذْ شُدَّتْ عَلَيْهِ التَّمَائِـمُ
سَطَا سَيْفُهُ بِالْكُفْرِ أَفْظَـعَ سَطْوَةٍ
لَقَدْ أَحْجَمَتْ عَنْهَـا الأُسُودُ الضَّرَاغِمُ
غَـدَا ذَلِكَ الْجَمْعُ الْخَبِيثُ مُكَسَّراً
وَجَمْعُ الْهُدَى فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ سَالِمُ

---

١ نماها : نسبها .

وَهَلْ طَاوَعَتْ (وَهْرَانُ) قَبْلُ مُمَلَّكاً
سِوَاهُ فَأَضْحَى أَنْفُهَا وَهْوَ رَاغِمُ
فَكَمْ سَامَهَا مَنْ لا يُنَاهِضُهَا وَكَمْ
حَوَالَيْ حِمَاهَا حَامَ بِالزُّورِ حَائِمُ
هِيَ الْبِكْرُ كَانَتْ لَمْ يُفَضَّ خِتَامُهَا
وَلَمْ يَعْلُهَا فَحْلٌ لِذِي الْكُفْرِ قَاصِمُ
تَمَلَّكَهَا حِزْبُ الشَّقَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
زَمَاناً لِحِزْبِ الْحَقِ عَنْهَا مُخَاصِمُ
بِهَا يُسْمَعُ النَّاقُوسُ مِنْ نَحْوِ فَرْسَخٍ
وَمِنَ لُغَةِ الْكُفَّارِ فِيهَا تَرَاجِمُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ صَيْحَةٌ مِنْ خُيُولِهَا
يَنُوحُ لَهَا الإِسْلامُ وَالشِّرْكُ بَاسِمُ
زَهَا وَاعْتَلى التَّثْلِيثُ فِيهَا وَنُكِّسَتْ
لِمَا دَهَمَ التَّوْحِيدُ مِنْهُ الْعَمَائِمُ
وَكُلُّ رَئِيسٍ يُرْتَجَى لِخُطُوبِهَا
تَشَاغَلَ فِي لَذَّاتِهِ وَهْوَ نَائِمُ
وَرُبَّ أَمِيرٍ أَزْمَعَ السَّيْرَ نَحْوَهَا
فَيَرْجِعُ لَمَّا كَاثَرَتْهُ الدَّرَاهِمُ
رَضُوا بِالرُّشَى فِي الدِّينِ حِينَ تَخَلَّفُوا
وَقَدْ رَسَخَتْ فِي الأَرْضِ تِلْكَ الأَرَاقِمُ

تُنَادِي الرَّعَايَا لَمْ يُجِيبُوا مُلُوكُهَــا
وَتَصْرَخُ لَوْ لَبَّى لِـذَا الصَّوْتِ رَاحِـمُ
وَمَا أَمْهَلَ الرَّحْمَنُ إلّا لِحِكْمَةٍ
لَهَا قَـلَمُ التَّصْرِيفِ في اللَّوْحِ رَاقِـمُ
فَقَيَّضَ لِلْفَتْحِ الْمُبِينِ مُهَنَّداً
رَقِيقَ الشَّبَا(١) صُلْبَ الصَّفِيحَـةِ صَارِمُ
إمَامُ سَقَى الْكُفَّارَ كَأْسَ مَنِيَّـةٍ
لَهُمْ شُبْهٌ بِالنَّمْلِ وَالسَّيْفُ حَاطِمُ
لَقَدْ صَالَ فِيهِمْ صَوْلَةً هَاشِمِيَّةً
فَأَعْنَاهُمُ(٢) في الْحَرْبِ حَيْرَانُ وَاجِـمُ
وَمَـزَّقَهُمْ في الأَرْضِ كُلَّ مُمَزَّقٍ
فَرَبْعُهُمُ بَعْدَ الْعِمَارَةِ طَاسِمُ
وَعَـادَ لِوَهْرَانَ السَّنِيَّةِ فَخْرُهَــا
وَآبَ إِلَيْهَا عَهْدُهَـا الْمُتَقَادِمُ
لِيَهْنَأْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَتْحِهَا
فَقَدْ سَجَعَتْ تُثْنِي عَلَيْهِ الْحَمَائِمُ
هَدِيَّتُـهُ الْغَرَّاءُ نَحْوَكُمْ يَمَّمَتْ
تَفُوقُ عَـلى مَا قَدْ حَوَتْـهُ اللَّطَـائِمُ(٣)

---

١ الشبا: قدر ما يقطع به من السيف .
٢ فاعتاهم: جبارهم وعتيهم .
٣ اللطائم: جمع لطيمة، وهي أوعية المسك، وقد تطلق على المسك نفسه .

فَمَا جَادَ فِكْرٌ ابْنِ الْحُسَيْنِ[١] بِمِثْلِهَا
وَمَا حَاكَهَا – فِيمَا عَلِمْتُ – كُشَاجِمُ[٢]
وَلَوْ حَازَ شِعْرُ الْبُحْتُرِيُّ[٣] انْسِجَامَهَا
لَجَادَ عَنِ الطَّائِيِّ[٤] وَهُوَ مُرَاغِمُ
فَدُونَكَهَا عَذْرَاءَ رَقَّ نَسِيمُهَا
وَفِي مَدْحِهَا عُلْيَاكَ ذُو الْعَقْلِ وَاهِمُ
كَأَنَّ مَعَانِيهَا الأَزَاهِرُ فُتِّحَتْ
وَأَلْفَاظُهَا تِلْكَ الْعِذَابُ كَمَائِمُ
لَهَا بِاسْمِكَ الْمَكْنُونِ عِنْدَكَ رُتْبَةٌ
وَمَا رَأْيِي بِالأَسْمَاءِ قَطُّ جَوَازِمُ
فَأَنْتَ الْهُمَامُ الْفَخْرُ وَالسَّيِّدُ الَّذِي
لِدَاءِ وُشَاةِ الزُّورِ وَالسَّعْيِ حَاسِمُ
وَإِنِّي وَإِنْ أَحْجَمْتُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
عَلَى خَوْضِ هَذَا الْبَحْرِ وَالْغَيْرُ عَائِمُ

---

١ ابن الحسن، هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي المعروف بـ «المتنبي» ولد سنة ٣٠٣ هـ - ٩١٦ م بالكوفة وتوفى قتيلاً سنة ٣٥٤ هـ - ٩٦٥ م .

٢ كشاجم: هو أبو التفتح محمد بن الحسين بن شاهق الملقب بـ « كشاجم » فالكاف تدل على كتاب والشين على شاعر والألف على أديب والجيم على جواد والميم على منجم. وهو هندي الأصل. توفي سنة ٣٥٠ هـ - ٩٦١ م .

٣ البحتري، هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى البحتري نسبة إلى بحتري عبود بن عدي. كان البحتري من التلاميذ النجباء لأبي تمام الطائي، ولد سنة ٢٠٦ هـ - ٨١٨ م وتوفي سنة ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م .

٤ الطائي، هو حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام، ولد سنة ١٨٠ هـ - ٧٩٦ م، وتوفي سنة ٢٢٨ هـ - ٨٤٣ م . وليس هو حاتم الطائي الجواد كما يتبادر لبعض الأذهان .

فَمَا هِيَ إلَا هَيْفَةُ المُلْكِ قَلَّمَا
عَلى مِثْلِهَا في النَّاسِ يَقْدِمُ قَادِمُ
وَعَهْدِي قَوَافِي الشِّعْرِ عَنِّي أَذُودُهَا
زَمَاناً وَفِكْرِي مَوْجُهُ مُتَلاطِمُ
يَصُوغُ حُلى الأَوْصَافِ حُسْنَ صِيَاغَةٍ
لَهَا سِمَةٌ مِنْ حُسْنِهِ وَعَلائِمُ
وَمِنْكَ تَحَلَّى أَيُّهَا المَلِكُ الرَّضِي
بَهَاءً فَزَانَتْهُ حِلاهُ الوَسَائِمُ
فَدُمْ لِلنَّدَى وَالبَأْسِ تُرْجَى وَتُتَّقَى[1]
وَسَيْفُ المَعَالِي في يَمِينِكَ صَارِمُ
وَلَوْلاكَ مَا كَانَ التِفَاتٌ لِفِقْرَةٍ
وَلا سَامَ نَظْمُ الشِّعْرِ كَالدُّرِّ سَائِمُ
فَلا زِلْتَ مَحْفُوظَ الجَنَابِ مُؤَيَّداً
وَلا بَرِحَتْ تَثْنِي عَلَيْكَ العَوَالِمُ
وَأَحْمَدُ مَنْ وَلَّاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ
لَهُ الحَمْدُ إذْ وَلَّاكَ وَالشُّكْرُ دَائِمُ
وَأَزْكَى صَلاةٍ بَعْدَهُ وَتَحِيَّةٍ
عَلى المُصْطَفَى مَنْ هُوَ لِلرُّسْلِ خَاتِمُ

---

١ ترجى وتتقى: هذان الفعلان ليسا جواباً لـ (دم) وإلا كانا محذوفي الأخير، وإنما هما جملة فعلية متعلقة بمحذوف خبر، وتقدير الكلام: فأنت ترجى وأنت بك يتقى .

قال أبو العباس أحمد بن عبد الله القاضي المعروف بـ (ابن أبي المحلى)[1] :

– م –

وَمَنْ مُبْلِغٍ – أيضاً – مُلُوكَ الأَقَالِمِ
وَكُلَّ رَئِيسٍ مِنْ رُؤُوسِ العَمَائِمِ
وَكُلَّ هُمَامٍ مَائِلٍ في حَمَائِلٍ
عَلَى مَتْنِ جَارٍ سَابِقٍ في العَزَائِمِ
وَكُلَّ زَعِيمٍ مُولَعٍ عَنْ جُدُودِهِ[2]
بِصَيْدِ الضَوَّارِي مِنْ فُحُولِ الضَّرَاغِمِ
وَسُلْطَانَهَا التُّرْكِيَّ في دَارِ مُلْكِهِ
وَبَيْتٍ عَلاهُ في دُهَاةِ الطَّمَاطِمِ
وَجُنْدُ بَنِي عُثْمَانَ في كُلِّ قَائِدٍ
جُيُوشٌ كَمَوْجِ البَحْرِ عِنْدَ التَّلاطُمِ
يُرِيدُونَ مِنْ وَهْرَانَ مَا سَبَقَ القَضَا
بِتَنْفِيذِهِ لِلْوَقْتِ في جَفْرٍ[3] عَالِمِ
يَخُوضُونَ لُجّاً في سَفَائِنِ رَايِسٍ[4]
مُرَادٍ لِدِينِ اللهِ عِزِّ الأَعَاجِمِ

---

١ عبد الرحمن الجامعي. المصدر السابق. ص: ٩ . والقصيدة من بحر الطويل، المقبوض العروض والضرب .
٢ أي وارث لصيد الضواري وفحول الضراغم عن جد وأب .
٣ الجفر : الكتاب الذي يتنبأ فيه بالمستقبل، ومنه جفر الشيعة المنسوب للامام جعفر الصادق .
٤ رايس: قائد البحّارة .

وَحِرْزِ بَنَاتِ الْعُرْبِ مِنْ كُلِّ فَاتِكٍ
بِأَبْكَارِهَا كَالحُورِ في قَصْرِ ظَالِمِ
فَمَا لِبَني عُثْمَانَ في سِنَةِ الْكَرَى
وَوَهْرَانُ تَزْهُو نَخْوَةً بِالْمَرَاغِمِ
وَيَا مَعْشَرَ الأَتْرَاكِ مَا بَالُ سَعْيِكُمْ
وَكُلُّكُمُ أَعْمَالُهُ بِالْخَوَاتِمِ
أَلَسْتُمْ أَخَذْتُمْ دَارَ مُلْكِكُمُ[1] الَّتي
مِنَ اشْرَاطِهَا وَهَذِهِ في العَلائِمِ
وَقَدْ ظَفِرَ الْمَرْحُومُ جَدُّكُمُ السَّمِي
قُرُونَ[2] الثُّرَيَّا عَنْوَةً وَالنَّعَائِمِ
وَدَانَتْ لَهُ الْبُلْدَانُ حَتَّى عِرَاقُهَا
إلى يَمَنٍ وَلَمْ يخَفْ لَوْمَ لائِمِ
وَفي مَغْرِبِ الْبَدْرَيْنِ نَشْرُ بُنُودِهِ
وَأَعْجَزَكُمْ وَهْرَانُ مِنْ مُسْتَغَانِمِ
بَني الأَسَدِ الْهَصَّارِ مَا الذُّلُّ شَأْنُكُمْ
وَلا حَظُّكُمْ مِنْ دَاهِمٍ مُتَفَاقِمِ
عَلَيْكُمْ سَلامي مَا اسْتَنَارَتْ بِهَدْيِهِ
قَرَائِحُ مُغْرٍ بِالْقَنَا وَالصَّوَارِمِ[3]

---

١ دار ملككم: يريد بها مدينة القسطنطينية التي أفتكتها الأتراك من أيدي الرومان.
٢ قرون: على حذف حرف الجر، أي بقرون الثريا.
٣ المزاري، بن عودة. طلوع سعد السعود. ص: ٢٠٤. مخطوط خاص.

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن[1] محرضاً الداي حسن[2] :

– هـ –

نَادَتْكَ وَهْرَانٌ فَلَبِّ نِدَاهَا
وَانْزِلْ بِهَا لا تَقْصِدَنَّ سِوَاهَا[3]
وَاحْلُلْ بِهَاتِيكَ الأَبَاطِحِ وَالرُّبَا
وَاسْتَصْرِخَنَّ دَفِينَهَـا الأَوَّاهَـا[4]
وَاسْتَدْعِ طَائِفَةَ العَسَاكِرِ نَحْوَهَا
يَغْزُونَهَا وَلْيَنْزِلُـوا بِفِنَاهَـا
مُسْتَصْحِبِينَ لِـوَاءَكَ المَنْصُورَ إِذْ
يَلْقَاهُمُ الفَتْحُ المُبِينُ وَجَـاهَـا
صَرَخَتْ بِدَعْوَتِـكَ العَلِيَّـةِ فَاسْتَجِبْ
لِنِـدَائِهَـا وَلْتُكْمِلَـنَّ مُنَـاهَـا
حَاشَاكَ أَنْ تَفْنَى حَشَاشَتُهَا وَقَدْ
قَصَرَتْ عَلَيْكَ نِدَاءَهَا وَرَجَاهَا
قَدْ طَالَمَا عَبِثَتْ بِهَا أَيْـدِي العِـدَا
حَتَّى اسْتَبَاحُوا أَرْضَهَا وَحِمَاهَا

---

١ توفي سنة ١١٠١ هـ – ١٦٩٠ م ، (تعريف الخلف، ج: ٢ ص: ٤٧١) .

٢ أي: الداي بابا حسن ١٠٩٢ – ١٠٩٤ هـ – ١٦٨١ – ١٦٨٣ م
(الجامعي، عبد الرحمن. شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ١١) .

٣ على وزن البحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٤ الاواها: كثير التأوه – خوفاً من الله – والمراد بالاواه هنا سيدي محمد بن عمر الهواري دفين وهران والمتوفي سنة ٨٤٣ هـ – ١٤٣٩ م .

وَتَصَرَّفُوا فِي الْمُسْلِمِينَ بِمَا غَدَا
أُعْجُوبَـةً لِمَنِ اغْتَدَى يَرْعَـاهَـا
أَضْحَى الصَّلِيبُ مُـؤَيَّـداً وَالدِّينُ قَـدْ
دَرَسَتْ مَعَالِمُهُ فَلَسْتَ تَـرَاهَا
جَعَلُوا بِهَـا النَّاقُوسَ فِي أَوْقَـاتِهِـمْ
بَـدَلَ الأَذَانِ وَغَيَّرُوا مَعْنَاهَـا
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ حَوْلَهَـا لا يُفْتَـدَى
كَمْ مِنْ فَقِيرٍ حَلَّ فِي مَثْوَاهَا
كَمْ مِنْ نِسَا مَعْ صِبْيَةٍ أَسْرَى[1] بِهَا
أَسْرَى بِهِمْ مَنْ لَيْسَ يَدْرِي اللهَ
حَالَ الصَّبِيُّ لِدِينِهِمْ وَمِنَ النِّسَا
نَالُوا الْمُحَرَّمَ هَـلْ فَتًى يَغْشَاهَـا
وَمَنِ الَّذِي أَحْيَا مَعَالِمَ سُنَّةٍ
وَأَشَادَ أَرْكَانا لَهَا وَبَنَاهَـا ؟
ذَاكَ الأَمِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الرَّضِي
حَسَنٌ[2] بِـهِ قُطْرُ الْجَزَائِرِ تَـاهَـا
أَنْتَ الأَمِيرُ الْمُرْتَجَى لِكَرِيهَـةٍ
يَوْمَ النِّزَالِ فَأَنْتَ قُطْبُ رَحَاهَا

---

١ أسرى: جمع أسير . وأسرى ... فعل رباعي من سرى بمعنى مشى ليلا .
٢ حسن: هو الحاج حسن (ميزوموِرط) تولى من سنة ١٠٩٤ هـ - ١٦٨٢ م إلى سنة ١١٠٠ هـ - ١٦٨٩ م.

جَرِّدْ ظُبَاكَ لِمَحْوِ آثَارِ الْعِدَا
حَتَّى تَرَى الإِسْلَامَ فِي مَغْنَاهَا
وَادْعُ الْغُزَاةَ لِغَزْوِهَا مُسْتَنْجِداً
وَانْهَضْ إِلَيْهَا وَانْزِلَنْ مَرْسَاهَا
عَرِّجْ عَلَى أَطْلَالِهَا مَعْ فِتْيَةٍ
سَحَراً بِعَزْمٍ لَا مُنِحْتَ نَوَاهَا
مِنْ بَعْدِ تَوْهِينٍ لِنَاصِرِ دِينِهِمْ
أَبْنَاءِ عَامِرٍ [1] سَاءَهُمْ مَرْآهَا
وَانْظُرْ بِرَأْيِكَ فِيهِمْ مُسْتَرْشِداً
أَهْلَ النُّهَى فَبِرَأْيِهِمْ تُعْطَاهَا
وَاسْتَأْصِلِ الآثَارَ حَتَّى لَا يُرَى
مِنْ عَامِرٍ مَنْ يُرْتَجَى نَجْوَاهَا
إِذْ ذَاكَ تَظْفَرُ بِالْمُنَى وَتَنَالُ مَا
تَهْوَى وَتُصْبِحُ نَازِلاً بِذُرَاهَا
قُومُوا لَهَا يَا مَعْشَرَ الإِسْلَامِ قَدْ
آنَ الْقِيَامُ لَهَا وَحَانَ لِقَاهَا
خُوضُوا إِلَيْهَا بَحْرَهَا يُصْبِحْ لَكُمْ
رَهْواً وَجُوبُوا نَحْوَهَا بَيْدَاهَا
فَالآنَ آنَ الْفَتْحِ إِذْ ظَهَرَتْ بِهَا
آثَارُ تُنْبِي أَنَّهُ وَافَاهَا

---

١ تقدم الكلام عن بني عامر في تعاليقنا على المقامة التاسعة من (التحفة المرضية) .

فاسْلَمْ سَلِمْتَ مَـدَى الزَّمَان وَدُمْتَ في
أَوْجِ الْمَعَالي رَاقِيـاً أَعْلاهَا
وَعَلَيْكَ يَا فَخْرَ الزَّمَان تَحِيَّةٌ
أَذْكَى مِنَ الْمِسْكِ الْفَتِيقِ شَذَاهَـا
وَعلى رَفِيقِكَ صِهْرِنَـا شَعْبَان[٢] مَـنْ
يَهْوَاكَ طَبْعاً لَيْسَ يَطْلُبُ جَـاهَـا
وَعَلى أَبِي زَيَّانَ كَاتِبِكَ الَّذِي
حَاكَى الأَوَائِـلَ في الْقَرِيضِ وَضَاهَا
لا زِلْتَ مَنْصُورَ اللِّوَاءِ مُؤَيَّـداً
تَحْمِي - بِعَوْنِ اللهِ - سُنَّةَ طَـاهَـا
صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللهُ الَّـذِي
أَحيى الْقُلُوبَ بِبَعْثِهِ وَشَفَاهَـا

انتهى

---

٢ شعبان: قتل شهيداً سنة ١٠٩٨ هـ - ١٦٨٧ م عندما غزا مدينة وهران وبعدما تكسر في يده سيفان قتله أحد من مرتزقة بني عامر، يقال له أبو نصابية وقد قطع الاسبان رأس الباي شعبان ونصبوه على باب وهران ثم بعثوا به إلى الجزائر فدفن هناك. أما جثته فدفنت في مدينة وهران. (المزاري (بن عودة)، طلوع سعد السعود. ص: ١٠٦ . مخطوط خاص) .

الملحق الثاني

« مدينة وهران وتأسسها »

مقدمة

ليست هذه الدراسة الوجيزة فريدة من نوعها، أو جاءت بما لم تأت به الأوائل. وإنما المهم فيها جمع ما تفرق في مختلف المظانّ والمصادر، وتنسيقه حسبما يقتضيه الترتيب المنطقي والنظام الجامعي. ولعل الشيء الذي تمتاز به هذه الدراسة كونها اتخذت سبيل التحليل العلمي، والتعليل المستنبط من آراء المتقدمين في ميدان التاريخ والجغرافية. وقد سلكت – أيضاً – مذهب الحياد الفكري في دراسة هذه الآراء وتقديم ما يستحق التقديم على البعض الآخر، دون أن أنزع إلى عاطفة حزبية، أو أنقاد إلى تقليد أعمى. وهذه الطريقة هي التي تقتضيها البحوث العلمية والدراسات التاريخية الحديثة، وتتطلبها نزاهة الانتقاد البناء من كل باحث يتصدى لدراسة التاريخ وعرض حوادثه. وقد دفع بنا إلى اختيار هذه الدراسة المختصة بـ «تأسيس مدينة وهران» غرضان اثنان.

---

١ هو تحقيق مخطوط يتعلق بفتح مدينة وهران على يد محمد بكداش سنة ١١١٩ هـ - ١٧٠٨ م. واسم المخطوط: «التحفة المرضية، في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية».

أولهما: اتصالها بموضوع رسالتنا التي قدمناها لنيل «شهادة الدراسات العليا» في التاريخ الحديث، تحت جناح كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الجزائر .

ثانيهما: حيوية موضوعها وطرافة منهاجها بالنسبة إلى ما كتب عن مدينة وهران بلغة الأم - زيادة على اكتشاف بعض الحقائق التي أغفلها مؤرخو الافرنج، ولم تكن لأبناء الملة في الحسبان. وقد حاولنا - بقدر الامكان - أن نكون موضوعيين في دراستنا هذه، فلا استطراد يعترض المقصود، ولا حشو يحول دون فهم المراد .

وقد أجملنا هذه الدراسة في العناصر التالية: أ - تحقيق اسم المدينة قبل أن يؤسسها المسلمون. ب - مدلول لفظة «وهران». ج - ضبط حروفها. د - أسباب تسمية المدينة بها. هـ - مؤسسها. و - أسباب تأسيسها. ز - ذكر أسماء الدول التي حكمتها منذ تأسيس المسلمين لها حتى الآن .

ولعلنا قد أرضينا ضميرنا بما حققناه في هذه الدراسة المتواضعة. وفتحنا باباً طالما كان موصداً وطالما طرقناه .

والله يهدي إلى سواء السبيل !

مدينة وهران

موقعها :

تتربع هذه المدينة على سفح الشاطىء الشمالي من غرب افريقيا الشمالية، عند مدخل مضيق جبل طارق، في نهاية خليج يقع بين رأس «أبوجا» (Cap Abuja) شرقاً، ورأس «فالكون» (Cap Falcon) غربا. وهي المدينة الوحيدة التي يوجد ميناها بين مينا «آرزيو» ومينا «المرسى الكبير»، وتبلغ مسافة هذا الخليج ثمانية آلاف وخمسين من المترات، أما عمقه فيقدر بأحد عشر ألفاً من المترات أيضاً[1] .

تاريخ تأسيسها

تضاربت آراء المؤرخين ومذاهب الجغرافيين في تحديد تاريخ تأسيس مدينة وهران وفي أول من أسسها من البشر. وفي استطاعتنا – بعد البحث العلمي والتنقيب الجدي – أن نستخرج من هذه المذاهب وتلك الآراء اتجاهين اثنين .

---

(1) Henri Léon Fey. Histoire d'Oran. P. 29-30.

أولهما: اتجاه جل المؤرخين والجغرافيين من علماء الافرنج، **وثانيهما**: اتجاه جميع المؤرخين والجغرافيين من علماء المسلمين .

أ - الاتجاه الأول

ذهب أصحاب هذا الاتجاه[١] إلى الجزم بأن مدينة وهران قد أسست منذ زمان قديم جداً. وربما يعود زمان تأسيسها إلى ما قبل بدء التاريخ. وقد سكنها أمم وأجيال متتابعة منذ أقدم العصور. ولعلها أقفرت زمانا ما. ثم ما لبثت أن عادت إلى ما كانت عليه، وهكذا دواليك. وقد دعموا اتجاههم هذا بدليلين اثنين: **أحدهما**: عقلي مفترض **والآخر**: نقلي ملموس.

الدليل العقلي: يتمخض هذا الدليل عن عدة أسباب طبيعية لموقع المدينة .

أولها: ان الرياح التي تهب على الناحية الغربية من القطر الجزائري - شمالا وجنوبا - يستغرق هبوبها مائتي يوم سنوياً. وهذه الرياح لا تنفك تتعاور كل شواطىء تلك الناحية، ما عدا شاطئين اثنين في الخليج الوهراني فان أكف الرياح لم تهيج أمواجهما، تلكما شاطىء المرسى الكبير وشاطىء وهران .

ثانيها: خلو هذين الشاطئين من الصخور والاجراف التي حف بها ما عداهما من شواطىء تلك الناحية .

---

١ هم المؤرخون والجغرافيون من علماء الافرنج .

ثالثها: ان شاطىء وهران يتصل بعدة سهول خصبة، وفيه من الماء العذب ما يكفي من يلتجيء إليه، لا سيا ينبوع «رأس العين» الذي يتسع لارواء خمسين ألفا نسمة[1] .

فبهذه الأسباب قد أصبح هذان الشاطئان صالحين لارساء السفن التجارية، لحمايتها من عواصف الأرياح، وخلوها من عوائق الصخور والاجراف، هنا وهناك. واختير شاطىء وهران – دون شاطىء المرسى الكبير – أن يكون مركز تجارة، ومحط تعمير، لسبب انفراده بالسهول الخصبة، والعيون العذبة .

الدليل النقلي: قام ثلاثة من المؤرخين الباحثين[1] – أوائل القرن العشرين للميلاد – بجولة في مدينة وهران وضواحيها، قصد البحث والتنقيب عن مخلفات الأجيال القديمة التي سكنت هذه الضواحي وتلك المدينة منذ أقدم العصور. وبعد ما قاموا بعمل جدّي تبين لهم أن وهران كانت مسكونة منذ أوائل العصر الحجري، واستدلوا على ذلك بما عثروا عليه من مخلفات ذلك العصر فما بعده :

أ – فتشوا في الطبقات الداخلية من مغارات وهران وكهوفها فعثروا على أدوات يعود صنعها إلى ذلك العصر، كما عثروا على بعض الهياكل العظامية للحيوانات المستأنسة يعود أصلها إلى ذلك العصر أيضاً. وتبين

---

(1) Paul Pallary. Les Origines de la ville d'Oran. Sousse. Imprimerie Française, 1904. P. 2.

(1) DOUMERGUE, CARRIERE et TOMMASINI.

لهم - بعد الامعان في دراسة الآثار - أن صناعة الأواني الحجرية قد بلغت ذروتها لدى سكان كهوف وهران وضواحيها إبان العصر الحجري، كما تبيّن لهم - أيضاً - أن صناعة سكان الكهوف لهذه الأواني كانت بالغة في الدقة والاتقان، بينما أصبح صنعها عكس ذلك، عندما خرجوا من كهوفهم وسكنوا سطح الأرض .

ب - عثورهم على شقفة من اناء جميل يمت صنعه إلى اليونان .

ج - عثورهم على حجر الصوان الذي لا وجود له هناك. وهذا مما يدلنا على أن البحارة الأجانب كانت لهم علاقة تجارية مع أهل مدينة وهران وضواحيها .

ولم يعثر هؤلاء المؤرخون والباحثون على آثار القرطاجنيين هناك. وقد عثروا على شيء قليل من آثار الرومان كبعض العملة، وثلاثة خطوط فقط. والسبب في ذلك أن معظم آثار هؤلاء وجميع آثار أولئك قد اندثرت أنقاضها تحت بنيان العرب وأسوار الاسبان الضخمة ولعلّ غزو الفندال قد وصل إليها، فكان من أسباب خرابها .

ولم يخامر هؤلاء شك في استيطان القرطاجنيين والرومان مدينة وهران لأن الرومان لا يؤسسون مدنهم إلا فوق الأرض الزراعية، ووهران أرض زراعة. لذا أسسوها فوق أنقاض القرطاجنيين. أما البرابرة الذين كانوا يعايشون الرومان - هناك - وبقوا بعد ذهابهم، فان لهم بعض الصناعة الخزفية، بيد أنها يشوبها بعض التقليد لصناعة الرومان. وأعظم البرابرة يقطنون ضواحي مدينة وهران، بدليل وجود بعض الانقاض دون انقطاع

على مقربة من المدينة عند ملتقى نهري « شعبة الحران » و « شعبة الحمام ». فهي ليست من آثار الرومان، وإنما من آثار البرابرة الذين عايشوا الرومان وبقوا بعد ذهابهم[١] .

د – انّ « بتوليمي » (Ptolemee) الجغرافي الاسكندري قد رسم لنا وصفاً دقيقاً لمكان يقع بين مينا ارزيو ، ومينا المرسى الكبير. وأسمى هذا المكان بـ « كويزا » (Qouiza) ، أو « كيزا » (Quiza) وهذا الوصف لا ينطبق إلا على مدينة وهران الحالية. ويستحيل أن ينطبق على ما سواها[١]. ولا يلتفت إلى رأي من جعل « كويزا » بمقاطعة « مادور » (Madaure) في الجنوب الشرقي من مدينة قالمة[٢] وبعد سوق هذه الأدلة العقلية والنقلية، تبين لنا أن مدينة وهران ليست ابنة عصر معين من عصور التاريخ، أو مسكن جيل خاص من أجيال البشر. بل هي مكان صالح لاستقرار أي جيل كان منذ خلق الله الأرض ومن عليها. أما تحديد تاريخ أول عصر لتعميرها، وضبط أول جيل قد حل بأرضها، فهذا شيء من مخبآت التاريخ التي ما زالت تحت ستار أسرار الكون .

اسباب التعمير لمدينة وهران

يمكن لنا أن نختصر هذه الأسباب في سببين اثنين سبب طبيعي

---

١ Paul Pallary. Les Origines de la ville d'Oran. P. 5-6.

٢ Henri Léon Fey. Histoire d'Oran. P. 30.

٣ م. س. ص: ٣١ .

بالنسبة إلى المكان، وسبب غريزي بالنسبة إلى ساكن المكان. فالسبب الطبيعي يعود إلى الموقع الجغرافي لهذا المكان، من حيث اعتدال طقسه، وعذب مائه، وخصب أرضه، وأمن حوضه من عواصف الرياح، وخلوّ شاطئه من الصخور والاجراف العائقة لارساء سفن التجارة والصيد، ووفر الأسماك الطريئة بهذا الحوض. قال أبو اسماعيل المزري – نقلا عن كتاب (دليل الحيران وأنيس السهران، في أخبار مدينة وهران) –: «اعلم أن وهران ... هي مدينة من مدن المغرب الأوسط، بساحل البحر الرومي عظيمة، ذات مساحة وفخامة جسيمة، وبساتين وأشجار، ومياه عذبة، وأطيار وحبوب عديدة وفواكه وخضر جديدة ...[1]».

وقال ابن حوقل: «ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح، وما أظن له مثلا في جميع نواحي البربر – سوى مرسى موسى – فقد كنفته الجبال، وله مدخل أمن، وعليها سور، وماؤها من خارجها جار عليها في واد عليه بساتين وأجنة كثيرة، فيها من جميع الفواكه، وفي حاضرتها دهقنة وحذق، وفيهم حمية مع الغريب، وهي فرضة الأندلس إليها ترد السلاع، ومنها يحملون الغلال ...[2]».

أما السبب الغريزي فهو ميل جميع الجنس البشري بالطبع إلى الاستقرار في كل مكان اتصف بمثل ما اتصفت به مدينة وهران، من توفر أسباب المعاش فيها وصلاح موقعها لتمركز التجار فيها مدى الأجيال. ولهذا نجد

---

١ كتاب سعد السعود، في أخبار وهران ومخزنها الأسود. (مخطوط خاص).

٢ كتاب صورة الأرض. الطبعة الثانية. ليدن: مطبعة بريل، ١٩٣٨ م.

معظم شواطىء القطر الجزائري آهلة بالسكان منذ أقدم العصور. وسنزيد ذلك توضيحاً عند كلامنا عن الاتجاه الثاني لتأسيس مدينة وهران .

ب - الاتجاه الثاني

لا خلاف بين أصحاب هذا الاتجاه[1] في تأسيس مدينة وهران في القرن الثالث الهجري، على أيدي المسلمين. وإنما الخلاف بينهم في تحديد السنة التي أسست هذه المدينة خلالها، وفي الخليفة الذي أمر بتأسيسها وفيمن باشر تأسيسها وبناءها من الذين كانوا في المغرب الأوسط حلفاء للأمراء الأمويين بالأندلس .

تحديد تاريخ تأسيسها: اتفقت أقوال جميع المؤرخين الذين تمكنا من الاطلاع على مؤلفاتهم في هذا الموضوع، على أن مدينة وهران قد أسست سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م) ما عدا قولين ذكرهما أبو راس المعسكري، ومفادهما أن مدينة وهران أسست سنة ٢٩١ هـ (٩٠٣ - ٩٠٤ م) أو سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٤ - ٩٠٥ م). ولم يذكر أبو راس صاحبي هذين القولين[2] .

ونحن نرجح ما ذهب إليه جلّ المؤرخين، لسببين اثنين: أحدهما كون قائل هذين القولين مجهولا، ثانيهما لم يحكهما أحد من المؤرخين

---

١ أصحاب هذا الاتجاه: هم المؤرخون والجغرافيون من علماء المسلمين. أمّا المؤرخون والجغرافيون من الافرنج فكلهم مقلدون لما جاء به المسلمون، في هذا التأسيس الأخير. فلم يأتوا بشيء جديد من عندهم .

٢ أبو راس، محمد. عجائب الاسفار، ولطائف الأخبار ١٢٢٠ . المكتبة الوطنية. الجزائر (العاصمة) ورقة : ٥٦ . مخ .

- فيما علمنا - سوى أبي راس المعسكري، بعدما ذهب - هو أيضاً - مذهب جلّ المؤرخين .

الخليفة الذي أمر بتأسيسها: اضطربت أقوال أبي راس المعسكري في تعيين هذا الخليفة، فقال في كتابه «عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار» -: ان الخليفة الذي أمر ببنائها هو عبد الرحمن بن الحكم، ابن هشام، بن عبد الرحمن الداخل، الأموي. وقال - في كتابه عجائب الأخبار، في لطائف الاسفار[1] -: «أنها أسست بأمر من محمد بن عبد الرحمن، بن الحكم، بن هشام، بن عبد الرحمن الداخل، الأموي. وحكى له المزري بن عودة - في كتابه: «طلوع سعد السعود ...» - قولا ثالثاً وجده في كتاب «الخبر المعرب» لأبي راس أيضاً، ومضمونه أن الذي أمر بتأسيسها وبنائها هو أبو محمد عبد الله، بن محمد بن عبد الرحمن، ابن الحكم، بن هشام، بن عبد الرحمن الداخل، الأموي. وارتضى المزري بن عودة في كتابه «سعد السعود ...» ومحمد بن يوسف في كتابه «دليل الحيران وأنيس السهران ...» القول الثالث والأخير من أقوال أبي راس. ونحن - كذلك - ننضم إلى رأي المزري وابن يوسف، ونجزم بأن مدينة وهران قد أسست على عهد أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، بن هشام، بن عبد الرحمن الداخل الأموي. والدليل على ذلك أن هذا الخليفة كان جالساً على عرشه يوم أسست مدينة وهران، وقد ولي الخلافة بعد وفاة أخيه المنذر بن محمد سنة ٢٧٥ هـ

---

١ هو مختصر كتابه «عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار» المتقدم الذكر .

(٨٨٨ م). وتوفي سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م)[1] ، أي: كانت وفاته بعد عشر سنوات منذ تأسيس هذه المدينة. أما عبد الرحمن بن الحكم فقد توفي آخر صفر من سنة ٢٣٨ هـ (٨٥٢ م)، وأما ابنه محمد بن عبد الرحمن فقد كانت وفاته آخر صفر – أيضاً – سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٦ م) ؛ .

فلا يمكن – بحال – أن يأمر أحدهما بتأسيس مدينة وهران في سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م)[2] . إذ كل منهما كان في قبره ابّان تأسيسها .

اسمها

قبل أن نشرع في تحقيق لفظة «وهران» ينبغي لنا أن نعود أدراجنا إلى بعض الأسماء التي اعتنقتها هذه المدينة قبل اعتناقها للاسم الحالي . وكل منّا يعلم أن أسماء الأماكن والبلدان متولدة عن لغات الأمم والشعوب التي حلّت بها وكانت السبب في تعميرها، وبما أن مدينة وهران قد تداولتها أمم مختلفة في جنسها ولسانها، فما من بد أن تعتنق عدة أسماء حسب لغات الشعوب التي أسّستها واتخذتها سكنا .

وقد تقدم لنا أن التاريخ امتنع أن يكشف لنا عن تحديد تاريخ الأجيال والأجناس التي مرت بهذه المدينة، وأن أقصى ما وصلنا إليه أن الرومان هم آخر جنس سكن هذه المدينة قبل أن يحلّ العرب بها ويعيدوا تأسيسها.

---

١ الضبي، أحمد. بغية الملتمس، في تاريخ رجال الأندلس. مجريط: مطبعة روخس ١٨٨٤ م . ص: ١٦ – ١٧ .

٢ – أبو الفداء، اسماعيل. كتاب المختصر، في أخبار البشر. بيروت: مطبعة صادر . ج: ٣ ص: ٣٧ . – الضبي، أحمد. بغية الملتمس، ... ص: ١٦ – ١٧ .

وقد وصلنا – أيضاً – إلى شيء ذي أهمية كبرى، وذلك أن هذه المدينة قد اعتنقت ثلاثة أسماء متتابعة على عهد الرومان .

الاسم الأول: « كويزا » (Kouiza) ، وذلك ما أنبأنا به « بوتوليمى » (Potolemee) الجغرافي الاسكندري الشهير (١) .

الاسم الثاني: « كيزا كسينيتانا » (Quiza Xenitana) وهذا ما أخبرنا به « قدّيس هيبّون » (l'Evêque d'Hippon) في رسالته إلى البابا « سيليستين » (Le pape Celestin) (٢) .

الاسم الثالث: « كيدا » (Quida) ، وهو الذي كان يسميها به القديس « هونوراتيس » (l'Evêque Honoratus) (٣) .

الاسم الرابع: وبعد ذهاب الرومان بقيت مدينة وهران يرتادها قبائل البربر، وهي – لا شك – أنقاض وأطلال، وكان البربر يسميها « افريى » أي الكهوف .

لفظة « وهران »

ضبط حروفها: اتفق أغلب المؤرخين والرحالين – من العرب والمسلمين – على أنّ « وهران » بفتح الواو، وسكون الهاء، وفتح الراء بعدها ألف ساكنة،

---

(1) Henri Léon Fey. Histoire d'Oran. Oran, Typographie Adolphe Perrier. Editeur, 1858. P. 30-31.

٢ م. س. ص: ٣٢ .

٣ م. س. ص: ٣٣ .

ثم نون في الأخير، وقد نبه بعضهم أن كسر الواو من أولها غلط[١] . والظاهر أنهم اعتمدوا في ضبط حروفها على نطق سكانها آنذاك .

مدلولها وأسباب تسمية المدينة بها

رأي بعض الافرنج

ذهب بعض المؤرخين من الافرنج[٢] إلى أن لفظة «وهران» معناها: المكان الصعب المنال (Lieu d'accés difficile) ، ولهذا السبب سميت المدينة ب «وهران». وقالوا: ان لفظة «وهران» عربية صميمة، وهي مشتقة من لفظة «وعر». وقال آخر[٣] منهم: ان لفظة «وهران» مأخوذة من لفظة «هوّارة» التي كانت تسكن مدينة «وهران». وهذان القولان – في نظرنا – كلاهما باطل، فدليل بطلان القول الأول بعد اشتقاق لفظة «وهران» من لفظة «وعر» لفظاً ومعنى، فاللفظ ظاهر. والمعنى أن كلمة «الوهران» تدل – في اللغة العربية – على الرجل الخائف[٤]، وكلمة «وعر» عكس ذلك. وأما دليل بطلان القول الثاني – زيادة على بعد الاشتقاق

---

١ - الزياني، محمد بن يوسف. دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. مكتبة الشيخ البدوي (مفتي سيدي بلعباس). ج: ١ ، مخ .

- المزري، بن عودة. طلوع سعد السعود. في أخبار وهران ومخزنها الأسود. خاص. مخ .

٢ A- Henri-Léon Fey. Histoire d'Oran, avant, pendant et aprés la domination espagnole Page 37.

B- Léepes. Oran, ville et port avant l'Occupation française (1831) P. 2.

٣ نقل هذا القول بكاره، بلهاشمي عن أحد المستشرقين ولم يذكر اسمه. انظر كتابه: تاريخ الجزائر القديم والحاضر ... ج: ١ ، ص: ١٧٠ . مكتبة المؤلف . مخ .

٤ البستاني، الشيخ عبد الله . البستان في اللغة . بيروت: المطبعة الاميركانية، ١٩٣٠ م، ص: ١٦٦٩ .

بين اللفظتين - فإن مدينة «وهران» بنيت وسميت بهذا الاسم قبل أن تسكنها «هوارة» بأمد بعيد .

رأي بعض المسلمين

اختلف بعض المؤرخين من علماء المسلمين - في مدلول لفظة «وهران» وأسباب تسمية المدينة بها - على سبعة أقوال، حسب الروايات والأخبار .

القول الأول: ان لفظة «وهران» - في لغة زناتة - تدل على الحيوان المشهور بالتحيل والروغان، وهو الثعلب. وسبب تسمية المدينة به أن رجال مغراوة[١] لما شرعوا في حفر أساسها وجدوا غاراً فيه ثعلب، فقالوا: هذه مدينة «وهران»، وبقي هذا الاسم عنواناً لهذه المدينة منذ ذلك الحين حتى الآن. وهذا القول هو أشهر الأقوال السبعة الآتي ذكرها .

القول الثاني: ان خزر المغراوي الذي اختط المدينة كان يلقب بـ «وهران»، فسميت به .

القول الثالث: ان الرجل الذي كان يبنى فيها اسمه «وهران»، فسميت به[٢] .

---

١ هذا القول يؤيّد مذهب من قال بتأسيس مدينة وهران على أيدي رجال مغراوة . وسيأتي تفصيل ذلك في صلب صفحات البحث، عند الكلام عن مؤسس المدينة .

٢ هذا القول والذي قبله قد يكون لهما نصيب من الصحة، لأن كلمة «وهران» في اللغة العربية قد تكون علما للاشخاص. قال ابن منظور : «وهران اسم رجل وهو أبو بطن» (لسان العرب القاهرة: طبعة مصورة عن طبعة بولاق . ج: ٧ ، ص: ١٥٦ .

القول الرابع: ان لفظة «وهران» مأخوذة من التوهر، وهو التعب والهلاك ومغراوة الذين كانوا هناك في تعب وهلاك من جراء الحروب التي كانت بينهم وبين بني يفرن وعمال الشيعة، من صنهاجة وغيرهم وكذا مع ازديجة وعجيسة، فسميت المدينة بما كانوا يقاسونه من تعب وهلاك .

القول الخامس: ان لفظة «وهران» مركبة تركيباً مزجياً من كلمتين اثنتين أولاهما «وه»، ومعناها الضعف، وثانيتهما «ران»، ومعناها الغلق فمدينة «وهران» ضعيفة الران أي: الغلق الذي يكون على قلوب الناس لأن خزر الذي اختطها كان سُنّياً، وكانت عقيدته سليمة متينة، فلذلك ضعف رانه، وسميت المدينة بمقتضى هذا المعنى .

القول السادس: ان لفظة «وهران» مأخوذة من كلمتين مركبتين تركيباً مزجياً، لغتها عامية. فالكلمة الأولى «واه» بمعنى: نعم. والكلمة الثانية «رانا» بمعنى: ها نحن. فحذفت الألف التي بعد الواو من «واه» والألف التي بعد النون من «رانا»، فأصبحت الكلمتان – بعد الحذف والمزج – «وهران» ثم سميت بها المدينة. وسبب هذه التسمية أن بني يفرن غزوا هذه المدينة أثر بنائها فلم يهتدوا إلى موقعها، لكونها كانت محفوفة بالأشجار الكثيفة، والاغياض الملتفة، وبينما هم كذلك إذ وجدوا رجلا بقربها خرج منها لقضاء بعض مآربه، فقبضوا عليه، وطلبوا منه أن يدلهم عليها فأبى وامتنع، فشددوا عليه، فجعل عصاه صوبها، فقالوا له: أهي صوب عصاك ؟ فقال: «واه» أي: نعم. ثم سمعوا آخر هناك ينادي «رانا» أي: ها نحن. فقصدوا المدينة على أثر هذا الصوت، فعثروا عليها

وأخذوها بعدما سبوا أهلها ثم قالوا: هذه غنيمة «واه رانا»، فسميت بهذا اللفظ المدينة بعدما أجرى عليه الحذف والمزج المذكور أعلاه.

القول السابع: ان لفظة «وهران» مقلوبة عن كلمتي «نار هو» وهما كلمتان مركبتان مزجياً، كل كلمة منهما تدل على معنى مستقل. فالكلمة الأولى «نار» بمعنى: ظهر. والكلمة الثانية «هو» بمعنى: الضمير المنفصل الذي يعد على خزر المغراوي. ومعناهما معاً: ظهر أمر خزر. وقد سميت هذه المدينة بهذا الاسم مراعاة للمعنى الأول قبل القلب[1].

وفي نظرنا أن الأقوال الأربعة الأخيرة ما هي إلا فلسفة لفظية لا طائل تحتها. أما الأقوال الثلاثة الأولى فلها نصيب من الصحة، ولا سيما القول الأول منها كما قدمنا[2]. ورغم ذلك كله، فانّ ما ذهب إليه المؤرخون المسلمون في تعليل تسمية هذه المدينة بـ «وهران» أقرب إلى الصحة مما ذهب إليه بعض المؤرخين من الافرنج. والسبب في ذلك أن الافرنج قد اعتمدوا على التخمين والحدس، بخلاف المسلمين الذين كان أكثر اعتمادهم على النقل المتواتر. وان كان يشوبه شيء من الغرابة في بعض الأحيان.

---

١ ابن زرقة، مصطفى بن عبد الله. الرحلة القمرية، في الأخبار المحمدية. مكتبة المهدي البو عبدلي. بطيوة (عمالة وهران). ج: ١، مخ.

– الزياني، محمد بن يوسف. دليل الحيران، وأنيس السهران، في أخبار مدينة وهران. مكتبة الشيخ البدوي (مفتي بسيدي بلعباس). ج: ١. مخ.

– بكاره، بلهاشمي. تاريخ الجزائر القديم والحاضر. وكفاح ثورته الكبرى على الاستعمار الفرنسي في أخبار أواخر القرن الرابع عشر. مكتبة بكاره، بلهاشمي. معسكر (عمالة وهران). القسم الأول من الجزء الأول. ص: ١٧٠. مخ.

٢ قد أشرنا إلى شهرة القول الأول في صلب صفحة هذا البحث وأما الثاني والثالث فقد نبهنا عن امكان صحتهما في حاشية الصفحة أيضاً.

مؤسسها

انقسم المؤرخون المسلمون – فيمن أسس مدينة وهران – إلى قسمين اثنين :

القسم الأول :

قد عزا أصحاب هذا القسم تأسيسها إلى محمد بن أبي عون ومحمد ابن عبدون[1] ، وجماعة من بحارة الأندلس الذين كانوا ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع قبيلتي « نفزة » و « مسقن »[2] . وقد بنوا هذه المدينة سنة ٢٩٠ هـ – ٩٠٣ م – كما تقدم لنا تاريخ التأسيس والبناء. ونذكر من أصحاب هذا القسم: ياقوت الحموي[3] ، عبد الله البكري[4] ، محمد ابن خلكان[5] ، محمد فريد وجدي[6] ، عبد الرحمن بن خلدون[7] . صاحب كتاب الاستبصار[8] . محمد بن يوسف القيرواني[9] . الرشاطي[10] ،

١ قد كان هذان الرجلان يرأسان الجماعة .

٢ ويقال لها – أيضاً – « مسرفين » وهم قبيلة من ازديجة أو ازداجة .

٣ معجم البلدان. ج: ٤ ، ص: ٩٤٣ .

٤ المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب. ص: ٧٠ .

٥ وفيات الأعيان. ج: ٤ ، ص: ١٩ .

٦ دائرة المعارف. ج: ١٠ ، ص: ٨٧٧ .

١ كتاب العبر. ج: ٦ ، ص: ٢٩٣ .

٨ الاستبصار ، في عجائب الامصار. المكتبة الوطنية. الجزائر. ص: ٧٥ . مخ .

٩ عن طلوع سعد السعود ، في أخبار وهران ومخزنها الأسود. خاص . مخ .

١٠ م. س.

والصفدي[1] وغيرهم. وقد انضم لأصحاب هذا القسم - أيضاً - جلّ المؤرخين من الافرنج، ان لم نقل كلهم .

القسم الثاني :

ان أصحاب هذا القسم قد عزوا تأسيسها إلى خزر بن حفص بن صولات، بن وزمار، بن صقلاب، بن مغراو المغراوي. نزولا عند رغبة أمراء الأمويين الذين كانوا بالأندلس، وقد كانت قبيلة مغراوة حليفة لهم بالمغرب الأوسط. ونذكر من أصحاب هذا القسم: محمد أبا راس[2] . أحمد الشقراني[3] ، محمد بن يوسف الزياني[4] ، المزري بن عودة[5] ، مصطفى بن زرفة[6] ، وعبد القادر المشرفي[7] ، وغيرهم .

سبب ولاء مغراوة لبني أمية

ان هذا الولاء سببه إسلام وزمار بن صقلاب، بن مغراو المغراوي على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح عندما غزا افريقية الشمالية. ثم ذهب وزمار هذا إلى المدينة المنورة، ليجدد إسلامه على يد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فجدد إسلامه، وعقد له

---

١ عن طلوع سعد السعود. ص: ١١ .
٢ عجائب الاسفار . ولطائف الأخبار . ١٢٢٠ . المكتبة الوطنية. الجزائر. ص: ٢٥ . مخ .
٣ القول الأوسط، في أخبار من حل بالمغرب الأوسط خاص. مخ.
٤ دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. مكتبة الشيخ البدوي. سيدي بلعباس ج: ١ . مخ
٥ طلوع سعد السعود، في أخبار وهران ومخزنها الأسود . خاص . مخ .
٦ الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية . مكتبة المهدي البو عبدلي . ج: ١ . مخ .
٧ بهجة الناظر، في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب بني عامر. خاص مخ

البيعة على قومه مغراوة. ثم عاد أدراجه ليخبر قبيلته. ومنذ ذلك الحين أصبحت مغراوة حليفة لبني أمية، بيد أن ابن خلدون قد قال: «لا أدري سبب هذا الولاء»[١]. وعندنا جواز رواية الولاء، لأن قول الحافظ حجة على من ليس بحافظ.

أسباب تأسيسها

يمكن لنا أن نجمل أسباب هذا التأسيس في ثلاثة أغراض رئيسية: غرض أوحت به الطبيعة، بالنسبة إلى موقعها، غرض اقتصادي بالنسبة إلى من يريد أن يسكنها وغرض سياسي بالنسبة إلى من أمر بتأسيسها.

أ - **الغرض الذي أوحت به الطبيعة**: ان الطبيعة وضعت الشاطىء الوهراني في مأمن من عواصف الرياح الذاهبة بالسفن التجارية، وجردته - أيضاً - من الصخور والاجراف التي تعوق تلك السفن عن الارساء، كما وصلته بعدة سهول واسعة خصبة وزودته بماء عذب نمير. قال البكري: «ومدينة وهران حصينة ذات مياه سائحة وأرحاء ماء، وبساتين ...»[٢]. وقال صاحب الاستبصار: «... وهذه المدينة كثيرة البساتين والثمار، ولها ماء سائح، وأنهار كثيرة، وأرحاء وعيون، وهي من غرر البلاد ...»[٣]. وقال ابن حوقل: «... ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من

---

١ البكري، عبد الله. المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب. الجزائر: مطبعة الحكومة، ١٨٥٧ م. ص: ٧٠.

٢ م. س. ن. ص.

٣ م. س. ص.

كل ريح. وما أظن له مثلا في جميع نواحي البربر - سوى مرسى موسى - فقد اكتنفته الجبال وله مدخل أمن ...»[1]. وقال الادريسي: «... وشرب أهلها من واد يجري إليها من البر، وعليه بساتين وجنات. وبها فواكه ممكنة. وأهلها في خصب، والعسل بها موجود ...»[2]. ولعل هذه الميزات التي حظي بها هذا الشاطىء الجميل هي التي دفعت بمن أسّس مدينة وهران أن يؤسسها هناك. سواء كان هذا التأسيس قبل الإسلام أو بعده.

ب - الغرض الاقتصادي:

لا ارتياب في أن الغرض الرئيسي لتأسيس هذه المدينة في موقعها الحالي هو غرض تجاري بالدرجة الأولى. فقد أصبحت هذه المدينة - منذ يوم تأسيسها - مركزاً هاماً بالنسبة إلى السلع الواردة عليها من خارج القطر الجزائري، لتوزيعها على مدنه وقراه وصحرائه، كما أصبحت - أيضاً - نقطة انطلاق للسلع الصادرة من هناك إلى خارج القطر. قال ابن حوقل: «... وهي (وهران) فرضة[3] الأندلس، إليها ترد السلع، ومنها يحملون الغلال ...»[4]. وقال أبو الفداء: «... وذكر من رآها (أي: وهران) أن عندها فرضة تلمسان ...»[5]. وقال الادريسي:

---

١ بن حوقل، أبو القاسم النصيبي. صورة الأرض. ليدن: مطبعة بريل ١٩٣٨ م. القسم الأول. ص: ٧٧

٢ الادريسي، الشريف. وصف افريقية الشمالية والصحراوية (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق، في اختراق الآفاق). تحقيق وتصحيح هنري بيريس. الجزائر: مطبعة دار الكتب. ١٩٥٧ م. ص: ٥٧.

٣ فرضة: محط السفن.

٤ م. س. ن. ص.

٥ أبو الفداء، اسماعيل. تقويم البلدان. باريز: مطبعة دار الطباعة، ١٨٤٠ ل. ص: ١٢٤.

«... وبها (أي: وهران) أسواق مقدرة وصنائع كثيرة، وتجارة نافقة، وهي تقابل مدينة «المرية» من ساحل بر الأندلس، وسعة البحر بينهما مجريان، ومنها أكثر ميرة ساحل الأندلس ... ومراكب الأندلس إليها مختلفة ... »[1]. وهكذا استمرت هذه المدينة - إلى الآن - محط تجارة رائجة، ومستودعاً لمختلف السلع والبضائع ومرفأ للسفن البحرية، ومقصداً للقوافل البرية. وفي استطاعتنا أن نفوه - بدون تحفظ - بأن مدينة وهران كانت ولا زالت عاصمة الاقتصاد بالقطر الجزائري. وهذا هو الغرض الأساسي في تأسيسها قبل الإسلام وبعده .

ج - الغرض السياسي :

كانت - قبيل تأسيس مدينة وهران - ثلاثة مذاهب سياسية تتعاور شعوب المغرب الأوسط (القطر الجزائري) بواسطة عمال هناك لأصحاب هذه المذاهب، الذين يبتغي كل منهم أن يبث سياسته في هذه الشعوب، ليضمهم إلى امارته، وكانت قبائل مغراوة البربرية تمت إلى الأمويين بالولاء والحلف - كما تقدم لنا تفصيل ذلك - فاستعان بهم أمراء بني أمية في الأندلس على تأسيس هذه المدينة كي تكون لهم بمثابة حجر عثرة في طريق من عداهم من أمراء الشيعة بافريقية، والادارسة بالمغرب الأقصى، وتقطع نياط اتصال كل منهما بشعوب المغرب الأوسط، فلبت رجال مغراوة طلب حلفائها الأمويين واستعانت ببعض القبائل التي كانت مجاورة لها بضواحي الساحل الوهراني. وما عتّم أن تم بناء مدينة وهران - لهذا

---

١ م. س. ن. ص .

الغرض السياسي - على أيدي رجال مغراوة وبعض القبائل المجاورين لهم، وقد شاركهم في هذا البناء جماعة من بحارة الأندلس الذين يرأسهم رجلان منهم وهما: محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون .

واستوطن الجميع المدينة مدة سبع سنوات وفي سنة ٢٩٧ هـ - ٩١٠ م- تمكنت دعوة الشيعة من بعض قبائل البربر فأوعز إليهم دواس بن صولات اللهيصي عامل «تاهرت» بحصار مدينة وهران، فحاصروها مطالبين بثأر كان بينهم وبين بني مسقن، فامتنع من كان فيها من الأندلسيين وقبائل ازديجة أن يسلموا بني مسقن لخصومهم، فجرّ ذلك إلى اشتعال نار الحرب بين الفريقين وفرّ محمد بن أبي عون الأندلسي وانضم لدواس، وهرب بنو مسقن ليلا من وهران، مخذولين، وتم النصر لأعوان الشيعة فدخلوا البلاد وأعملوا السيف في رقاب من تبقى من أنصار بني أمية. ثم حطموا المدينة وأضرموها ناراً. وذلك في ذي الحجة من سنة ٢٩٨ هـ - ٩١١ م -. ثم عاد أهل وهران إليها في شهر شعبان من نفس السنة، وجددوا بناءها تحت امارة دواس الذي أمّر عليهم محمد بن أبي عون الأندلسي المتشيع، وعادت المدينة أحسن مما كانت عليه[1] .

---

١ - البكري، عبد الله. م. س. ن. ص . - أبو راس، محمد. م. س. ن. ص .
- المزري، بن عودة. م. س. د - صاحب الاستبصار. م. س. ن. ص .

الدول التي حكمت وهران

حكم مدينة وهران – منذ أن أسسها المسلمون حتى الآن – عشرة دول: دولة الأمويين بالأندلس، دولة الشيعيين[١]، دولة المرابطين[٢]. دولة الموحدين، دولة الزيانيين[٣]، دولة المرينيين[٤]، دولة الزيانيين للمرة الثانية، دولة الاسبانيين، دولة الأتراك، دولة الفرنسيين، ودولة الجزائريين. ولم تباشر من هذه الدول الحكم في هذه المدينة بنفسها سوى الدول الأربع الأخيرة. وأما الدول الست الأولى، فقد كانت تحكمها بواسطة عمالها وحلفائها، الذين راحوا يمثلونها في المغرب الأوسط عن طواعية منهم، وانقياد لأمرائهم.

محمد بن عبد الكريم

١ ويقال لهم – أيضاً – العبيديون.
٢ ويقال لهم – أيضاً – الملثمون.
٣ ويقال لهم – أيضاً – بنو عبد الواد.
٤ ويقال لهم – أيضاً – بنو حمامة.

فهرس المصادر والمراجع

أ - باللغة العربية

ابن بكار، بلهاشمي - تاريخ الجزائر القديم والحاضر، وكفاح ثورته الكبرى على الاستعمار الفرنسي في أواخر القرن الرابع عشر. مكتبة ابن بكار الهاشمي. معسكر (عمالة وهران). ج : ١ . مخ .

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي - كتاب صورة الأرض. ليدن: مطبعة بريل ١٩٣٨ م القسم الأول .

ابن خلدون، عبد الرحمن - كتاب العبر - بيروت: دار الكتاب ١٩٥٩ م.ج:١ .

ابن خلكان، محمد - وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: مطبعة السعادة. ج : ٤ .

أبو راس، محمد - عجائب الأخبار، في لطائف الاسفار. خاص . مخ .

أبو راس، محمد - عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار. ١٢٢٠ . المكتبة الوطنية. الجزائر . مخ .

أبو الفداء، اسماعيل - تقويم البلدان. باريز: دار الطباعة ١٨٤٠ م .

أبو الفداء، اسماعيل - كتاب المختصر في أخبار السير. بيروت ج : ٣ .

الادريسي، الشريف - نزهة المشتاق، في اختراق الآفاق (وصف افريقية الشمالية والصحراوية). تصحيح هنري بيراس. الجزائر: مطبعة دار الكتب، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

البستاني، عبد الله - البستان. بيروت: المطبعة الاميركانية ١٩٣٠ م. ج : ٢ .

البستاني، عبد الله - فاكهة البستان. بيروت: المطبعة الميركانية ١٩٣٠ م .

البكري، عبد الله أبو عبيد - كتاب المغرب. في ذكر بلاد افريقية والمغرب .
الجزائر : مطبعة الحكومة ١٨٧٥ م .

البوعبدلي. المهدي - رحلة ابن زرقة. مكتبة البو عبدلي المهدي. بطيوة (عمالة وهران) ج : ١ . مخ .

الزياني، محمد بن يوسف - دليل الحيران، وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. مكتبة الشيخ البدوي. سيدي بلعباس (عمالة وهران) مخ .

الشقراني، أحمد - القول الاوسط، في أخبار بعض من حل بالمغرب الاوسط .
خاص . مخ .

المزري، بن عودة - طلوع سعد السعود. في أخبار وهران ومخزنها الأسود . خاص. مخ

مجهول المؤلف - الاستبصار في عجائب الأمصار. ١٥٦٠ المكتبة الوطنية الجزائر - العاصمة - مخ .

الورثلاني، الحسين - نزهة الانظار، في فضل علم التاريخ والأخبار. تحقيق محمد بن شنب - الجزائر : مطبعة بيير فونتانا الشرقية، ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .

ياقوت الحموي - معجم البلدان. بيروت: مطبعة دار صادر، ٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م . ج : ٤ .

ب - باللغة الأجنبية

Général G. Faure — Biguet. Histoire de l'Afrique Septentrionale Sous la Domination Musulmane. Paris-Imprimerie Militaire

Henri-Léon Fey. Histoire d'Oran, avant, pendant et aprés la Domination Espagnole. Oran Typographie Adolphe Perrier, Editeur, Boulevard Oudinot, 9 - 1858

Jean-Léon L'Africain. Description de l'Afrique traduite de l'Italien par A. Epaulard (1er volume) Paris (VIe) - Librairie d'Amérique et d'Orient 1956

LESPES. Oran, ville et Port avant l'Occupation Française - Alger.-Imp. la Typo-Litho et Jules Carbonel réunies

LEON Galibert. L'Algerie Ancienne et Moderne Paris - Librairie Furne Jouvet et Cie, Editeurs - 1884

M.T.H. Houtsma, A.J. Wensinck E. Lévi - Provençal, H.A.R. Gibb et W. Heffening Encyclopédie Islamique. Leiden E.J. Brill 1936 Tome III

Paul Pallary. Les Origines de la ville d'Oran (Bulletin de la Société Archéologique de Sousse) Sousse-Imprimerie Française, Boulevard Pichon - 1904

René Basset. Fastes chronologiques de la ville d'Oran pendant la période Arabe Oran - Paul Perrier, Imprimeur - 1892

الملحق الثالث

«عبد الرحمن الثعالبي وضريحه»

مقدمة

هذه دراسة موجزة قصدنا بها القاء بعض الضوء على شخصيّة الثعالبي - أيام أن كان في قيد الحياة - وأيضاً على ضريحه المزار بعد الممات .

وقد تصدى - قبلنا - كثير من العلماء والمؤرخين لترجمة هذه الشخصية العلمية، بيد أنهم لم يوفوها حقّها، فقد أفرطوا في الايجاز المخلّ، ولم يراعوا الترتيب المنطقي، من حيث الزمان والمكان لمراحل حياة الثعالبي التي قطعها تدريجياً أيام أن كان حياً .

ولعل ذلك راجع إلى سببين اثنين - حسبما نظن - !

أولهما: كون الرجل لم تخصّص له دراسة تحليل وتعليل. يُستقصى فيها جميع الجوانب الضرورية من حياته المباركة. وإنما ذكر بايجاز مفرط ضمن بعض مؤلفات التاريخ الخاصة بالقطر الجزائري، أو كتب التراجم العـامة .

ثانيهما: الاعتماد على شهرته التي أغنت سواد الناس عن طلب المزيد من معرفة شخصيته، ولا سيما في الأوساط المغربية التي نال لديها سمعة طيبة أفضت بهم أن يضيفوا مدينة الجزائر إلى اسمه، فقد قالوا: «جزائر سيدي عبد الرحمن»، وربما أطلقوا هذا التركيب المزجي على القطر الجزائري

بأجمعه. ولعل ذلك عائد - أيضاً - إلى اعتماد الناس على ما قيده الثعالبي عن حياته ضمن بعض مؤلفاته، بل قد أفرد كتاباً خاصاً يتعلق بمراحل حياته العلمية. من حيث الافادة والاستفادة، والأخذ والعطاء .

أما ضريحه: فقد أهمل جميع علماء المسلمين الكلام عنه، ما عدا بعض المتأخرين منهم. إذ أشاروا إليه في سطور قليلة لا تسمن ولا تغني من جوع. ولولا بعض المؤرخين من الافرنج الذين اهتموا ببنيان هذا الضريح، ولولا - أيضاً - بعض النقوش والخطوط التي ما زالت رهن جدران هذا المزار والتي أعانتنا على هذه الدراسة، ما عرفنا عنه شيئاً .

وهذا ما دفع بنا إلى الحديث عن هذا الضريح المبارك وصاحبه المرحوم. أما صاحبه فقد تناولنا الحديث عنه من حيث تحديد النسب والمولد والنشأة - بما في ذلك رحلته التي استغرقت زهاء عشرين سنة قضّاها كلها في اغتراف العلوم واكتساب المعارف. ثم عاد إلى الجزائر العاصمة حيث اشتغل بالفتوى والتدريس إلى أن لقي ربه وهو عنه راض. ثم ذكرنا معظم شيوخه الذين تلقى عنهم دروسه في كل بلدة قد حلّ بها أثناء رحلته التي خصصها لتعلمه وتثقيف نفسه. ولم نغفل ذكر بعض التلامذة الذين تتلمذوا له في الجزائر عند أوبته من رحلته العلمية. واستطعنا أن نسرد بعض مؤلفاته في شتى الفنون وقد نبهنا إلى ما هو مطبوع منها. ثم ختمنا ترجمته بذكر بنيه وبناته من صلبه وعمّه وابن عمه . وأما ضريحه فقد حصرنا الكلام عنه في نقطتين :

أولاهما: طراز بنيانه وتاريخ تشييده .

ثانيتهما: بيان أنواع الكتابة الموجودة ضمن زخرفة ذلك البنيان، وتحديد أشكال خطوطها. وقد انطلقنا من هاتين النقطتين إلى سرد بعض الأدلة العقلية والنقلية لتاريخ بنيان الضريح وطرازه الفني، ثم قسمنا خطوط هذه الكتابة إلى خمسة أنواع، خط كوفي، خط فارسي، خط شرقي، خط أندلسي، وخط مغربي .

ولم نتلكأ عن تفهم مضمون كل خط، ووصف مكانه الذي نقش فيه. ثم كتبناه حرفياً على صفحات دراستنا، ونبهنا إلى شكله الذي أخذناه بواسطة التصوير الفوتوغرافي .

ولعلنا قد وفقنا – في هذه الدراسة المستعجلة – إلى ابراز بعض الحقائق التاريخية، التي تكون لنا بمثابة نقطة انطلاق إلى دراسات أخرى، رائدها النزاهة العلمية والانصاف النزيه. والله ولي التوفيق فيما كان وسيكون !

ترجمة

عبد الرحمن الثعالبي[1]

نسبه: هو أبو زيد عبد الرحمن، بن محمد، بن مخلوف بن طلحة ابن عمر، بن نوفل، بن عامر[2]، بن منصور، بن محمد، بن سباع، ابن مكي بن ثعلبة، بن موسى، بن سعيد، بن مفضل[3] بن عبد البر، ابن قيس بن هلال، بن عامر، بن حسان[4]، بن محمد، بن جعفر، ابن أبي طالب[5] .

مولده ونشأته: ولد الثعالبي سنة ٧٨٥ هـ (١٣٨٤ م)[6] بواد «يسّر» على بعد ٨٦ كلم بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر. ونشأ - هناك بين

---

١ الثعالبي: نسبه إلى الثعالبة رؤساء متيجة. وقد اندثر ملكهم على يد السلطان أبي حمّو الثاني سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م). انظر كتاب العبر، ج ٨ . ص ٦٥ ، القاهرة. مطبعة بولاق ١٣٨ هـ .

٢ في اللوحة التي بجنب قبر صاحب الترجمة: «عمار» .

٣ في اللوحة: «معضل» .

٤ في اللوحة: «حسن» .

٥ أبو راس، أحمد. عجائب الاسفار، ولطائف الأخبار . ١٢٢٠ . المكتبة الوطنية. ورقة ٢٥ ، مخ .

٦ ذكر الثعالبي - عن نفسه - أنه في عام ٨٤١ كان ابن ٥٥ أو ٥٦ سنة. (الحفناوي، محمد. تعريف الخلف برجال السلف. الجزائر مطبعة بيير فونتانة الشرقية، ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م. ج: ١ ، ص: ٦٦).

أحضان أبويه – نشأة علم وصلاح وأخلاق مرضية، وقد تلقى مبادىء قراءته وتعلمه بالجزائر العاصمة وضواحيها. وقد كان حاضراً يوم غزا الاسبان «تدلّس»، في دولة بني عبد الواد، وأخوتهم من بني مرين. ودخلها بعسكره ضحوة يوم الاثنين ١٢ من ذي الحجة سنة ٨٠٠ هـ – ١٣٩٨ م – وكان عمره حوالي خمس عشرة سنة[١] .

رحلته لطلب العلم: نزح الثعالبي من مسقط رأسه صحبة والده محمد ابن مخلوف في أواخر القرن الثامن الهجري وأواخر القرن الرابع عشر الميلادي، طالباً المزيد من العلوم والعرفان باحثاً عن مظانها في مناكب الأرض ، وقصد تلمسان ، حيث اجتمع ببعض علمائــه الفطاحــل وأخذ عنهم ما تيسر له أخذه، وقد سمع وروى هناك عن عالم الدنيا محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني. المعروف بالحفيد. وكان الثعالبي – إذ ذاك – يناهز البلوغ ثم يمّم شطر بجاية،

---

١ – الجيلالي، عبد الرحمن. تاريخ الجزائر العام. الطبعة الثانية. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م . ج: ٢ ، ص: ٢٨٠ .

– نور الدين، عبد القادر. صفحات من تاريخ مدينة الجزائر. قسنطينة: مطبعة البعث. ١٩٦٥ م . ص: ٦٧ .

– الحفناوي، محمد. م. س. ن. ص .

– الثعالبي، عبد الرحمن. العلوم الفاخرة، في النظر في أمور الآخرة. القاهرة: المطبعة الحامدية، ١٣١٧ هـ ، ج: ١ ، ص: ١ – ٢ .

Georges MARCAIS. Melong d'Histoire et d'Archéologie de l'occident Musulman. Alger. Imp. Offsiell. 1957. T. I. P. 196.

و – علي بن الحاج موسى. أنباء أبناء الزمان، في النضح برشفة من يم ترجمة الشيخ سيدي عبد الرحمن. مكتبة عبد الرحمن الجلالي. الجزائر. ص: ١ . مخ .

فدخلها - صحبة والده أيضاً - سنة ٨٠٢ هـ - ١٣٩٩ م، فمكث بها زهاء سنة، ثم توفي والده، ودفن هناك، وعلى أثر وفاة الوالد عاد إلى الجزائر قصد الزيارة لأقاربه. ثم رجع إلى بجاية - أيضاً - حيث قضى ما يقرب من سبع سنوات تلقى خلالها دروساً شتى في مختلف الفنون عن زمرة من فطاحل العلماء[1]. وفي سنة ٨٠٩ هـ - ١٤٠٦ م - انتقل إلى تونس حيث مكث حوالي ثمان سنوات انتفع خلالها بمعظم علمائها وأجازوه فيما هو هو أهل أن يجاز فيه. وفي سنة ٨١٧ هـ - ١٤١٤ م - توجه إلى القاهرة، حيث أفاد واستفاد وأجازه بعض علمائها[2] ولم يلبث هناك طويلا، بل يمّم شطر «برصة» حيث استقبل استقبالاً كريماً. ومن هناك توجه صوب الحرمين الشريفين حيث أدى فريضة الحجّ، واغتنم الفرصة، فأخذ عن بعض علماء الحجاز وأجازوه في فنون شتى. ثم عاد إلى مصر، وفي سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) رجع إلى تونس، فوجد بعض شيوخه قد توفي، ومكث هناك حوالي سنة ملازماً خلالها حلقات جامع الزيتونة. وفي أواخر سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) عاد أدراجه إلى بلده المحبوب بعدما غاب عنه حوالي عشرين سنة قضّاها كلها في اكتناز المعارف واغتراف العلوم، أنى كانت وحيث بانت .

---

١ الثعالبي، عبد الرحمن. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج: ٤ ، ص: ١١٩ .

ب - علي بن الحاج ماسي. أنباء أبناء الزمان. ص: ٣ .

٢ قد عقدنا - في هذا البحث - عنواناً خاصاً لمشائخه .

وهكذا استقر بمدينة الجزائر، حيث راح يشتغل بعبادة ربّه، وبث العلوم الشريفة بين أبناء ملته، وتحبير المؤلفات المفيدة، والمصنفات العديدة في شتى الفنون إلى أن ناداه أجله المحتوم صبيحة يوم الجمعة ٢٣ من شهر رمضان المعظم سنة ٨٧٥ هـ (١٥ مارس ١٤٧٩ م)[1] بعد أن قضّى تسعين خريفاً كانت كلها طوعاً لمرضاة الله، ووقفاً على مصالح العباد.

ثم نقلت جثته الكريمة من منزله[2] إلى مكان يقع على ربوة خارج «باب الواد» يعرف - آنذاك - بـ «جبّانة الطلبة». ودفن هناك، ومنذ ذلك الحين أصبح ضريحه مزاراً يتبرّك به، ولم يزل الزائرون يقصدونه ذكرانا وإناثا يومياً وطوال السنة إلى وقت غير معلوم.

وقد رثاه تلميذه المخلص الأديب، الشيخ أحمد بن عبد الله الجزائري. ثم الزواوي. بقصيدة من بحر الطويل، فقال في مطلعها :

«لقد بان أهل العلم عنـا وأقفرت	منازلهم انا إلى الله نـرجـع
كما بان عنا شهمنا العالم الـذي	سناه بأنوار الحقيقـة يستطـع
أبو زيد المشهور بالعلم والتقى	له الفضل فينـا والمقام المرفـع
هو العالم الموصوف بالنفع للورى	بـه عنهم خطب الحوادث يرفع

١ كادت جميع المصادر التي ترجمت للثعالبي ان تتفق على هذا التاريخ، ولا يلتفت إلى ما وجد منقوشاً في لوحة بجنب قبر الثعالبي: أنه توفي سنة ٨٧٣ هـ وقد حذا حذو هذه اللوحة بعض المؤرخين الأجانب، منهم «البيرت دوفولكس» (Albert de VOULX) في كتابه: (Edifices religieux)

٢ يوجد هذا المنزل بنهج قريب من المسجد الأعظم. ولما احتلّت فرنسا الجزائر أخذ هذا النهج اسم «نهج الشارت» (Rue de la Charte) رقم (٢) وذلك سنة ١٨٥٤ م بعدما كان يحمل رقمي: (٥٤) و (٦٠). وقد هدم هذا المنزل وادخلت مساحته ضمن فندق الكتابة العامة للحكومة: «دار العمالة» القديمة.

لقد جزعت نفسي لفقدي أحبتي وحق لها من مثل ذلـك تجزع
ألم بنا ما لا نطيق دفاعه وليس لأمر قدر الله مرجع

إلى أن يقول :

أعزى أبا عبد الإلـه محمداً[1] ومن بجميل الصبر نرجو سيجمع
ونحن وان كنا جميعاً نحبه فقلبك أشجى للفراق وأوجع
أصبنا به فالله يعظم أجرنا ويلهمنا الصبر الجميل ويوسع»

رحم الله الثعالبي وصبّ شآبيب الرضوان على مثواه !

شيوخه

قبل أن نشرع في سرد شيوخه النصحاء، ينبغي لنا أن نقسّمهم إلى فيئات حسب الأماكن والبلدان التي حلّ بها الثعالبي وتتلمذ فيها لعلمائها، حتى يتسنّى للقراء أن يميزوا بين هؤلاء العلماء، من حيث المكان والزمان .

شيوخه ببجاية :

١ - أبو الحسن علي بن عثمان المانجلاتي الزواوي[2] . أخذ عنه بمسجد عين البربر .

٢ - أبو الربيع سليمان بن الحسن[3] .

٣ - أبو الحسن علي بن محمد الياليلتي .

---

١ هو نجل سيدي عبد الرحمن المعروف بمحمد الكبير .

٢ قال الثعالبي: وعليه كانت عمدة قراءتي (نور الدين، عبد القادر. صفحات في تاريخ مدينة الجزائر ص: ١٦٧ ، نقلا عن كتاب الجامع للثعالبي) .

٣ قال الثعالبي: وعليه كانت عمدة تجويدي (م. س. ص: ١٦٨) .

٤ – علي بن موسى .
٥ – أبو العبّاس أحمد النقاوسي .
٦ – أبو القاسم محمد المشدالي وغيرهم ...

شيوخه بتونس :

١ – أبو مهدي عيسى الغبريني .
٢ – أبو القاسم بن أحمد البرزلي القيرواني[1] .
٣ – أبو عبد الله محمد بن خلف الأُبي الوشتاني[2] .
٤ – أبو يوسف يعقوب الزغبي .
٥ – أبو عبد الله القلشاني .
٦ – ابن مرزوق الحفيد[3] . وهذان الأخيران أخذ عنهما بعد عودته إلى تونس من المشرق للمرة الثانية .

شيوخه بمصر :

١ – البلالي[4] .
٢ – أبو عبد الله البساطي .

---

١ قال الثعالبي: وأخذت البخاري الا يسيراً عن البرزلي. (م. س. ص: ١٦٨) .
٢ قال الثعالبي: وأكثر عمدتي على الابي. (م. س. ١٦٨) .
٣ قال الثعالبي: ثم قدم تونس شيخنا ابن مرزوق عام ٨١٩ هـ، فأقام بها نحو سنة، فأخذت عنه كثيراً، وسمعت عليه الموطأ. (م. س. ن. ص.) .
٤ قال الثعالبي: ثم رحلت إلى المشرق ودخلت مصر، فسمعت البخاري على البلالي وكثيراً من اختصار «الاحياء» له (م. س. ن. ص) .

٣ – ولي الدين العراقي(*) .

٤ – المعمر أبو عبد الواحد بن اسماعيل الغرياني .

٥ – أبو القسم الحافظ العبدوسي .

٦ – أبو محمد عبد الله بن مسعود بن علي القرشي الشهير بـ «ابن القرشية» .

تلامذته

لقد كان للثعالبي تلامذة كثيرون، نذكر منهم بعض من عثرنا عليه في كتب التراجم الموثوق بها :

١ – عيسى بن سلامة البسكري .

٢ – محمد بن مرزوق الكفيف .

٣ – محمد السنوسي الإمام .

٤ – علي بن محمد التالوتي أخو الإمام السنوسي لأمه .

٥ – محمد بن عبد الكريم المغيلي .

٦ – أحمد زروق الفاسي .

٧ – أحمد بن عبد الله الجزائر الزواوي .

مؤلفاته

يعدّ الثعالبي أخصب نتاجاً من علماء قطره ومتصوفيه. وذلك راجع

---

* قال الثعالبي: وحضرت كثيراً عند شيخ المحدثين بها (بمصر) ولي الدين العراقي، وأخذت عنه علوماً جمة، معظمها علم الحديث (م. س. ن. ص) .

- فيما نظن - إلى اعتزاله عن سواد الناس، وملازمته لمهنة التدريس في شتى الفنون المتداولة بين علماء ذلك العصر. وقد نيفت مؤلفاته على التسعين، أكثرها ما تزال مخطوطة، وجلّها يوجد بأرض السودان[1] ، نذكر منا ما يلي:

١ - الجواهر الحسان، في تفسير القرآن[1] .

٢ - تحفة الاخوان، في اعراب آي القرآن .

٣ - الذهب الابريز، في غريب القرآن العزيز .

٤ - العلوم الفاخرة، في النظر في أمور الآخرة[2] .

٥ - كتاب المرائي[3] .

٦ - روضة الأنوار، ونزهة الاخيار .

٦ - رياض الصالحين .

٨ - الأنوار، في معجزات المختار .

٩ - الجامع الفرعي .

١٠ - شرح على مختصر خليل بن اسحاق المالكي .

١١ - شرح على ابن هرون .

١٢ - شرح على غرر ابن عرفة .

١٣ - شرح عيون مسائل المدونة .

---

١ ا - مقدمة «العلوم الفاخرة، في النظر في أمور الآخرة» ص: ١ .
- الجيلالي، عبد الرحمن. تاريخ الجزائر العام. ج: ٢ ، ص ٢٨٢ .

٢ طبع بمطبعة الثعالبية بالجزائر العاصمة سنة ١٣٢٧ هـ في أربعة أجزاء .

٣ طبع بالمطبعة الحامدية المصرية سنة ١٣١٧ هـ ، في جزأين .

٤ طبع عدة طبعات بالمطبعة الثعالبية بعاصمة الجزائر .

١٤ – جامع الأمهات، في أحكام العبادات .

١٥ – الجامع الكبير .

١٦ – ارشاد السالك . .

١٧ – الأربعون حديثاً في الوعظ والرقائق .

١٨ – الدرّ الفائق .

١٩ – شرح المختار من الجوامع، في محاذات الدرر اللوامع[١] .

٢٠ – الفهرسة . .

٢١ – مختصر الفهرسة .

٢٢ – الرحلة .

٢٣ – جامع الفوائد .

٢٤ – كتاب النصائح .

٢٥ – العقد النفيس .

٢٦ – كتاب الارشاد، في صالح العباد .

٢٧ – جامع الخيرات .

٢٨ – التقاط الدرر .

٢٩ – المختار من الجوامع .

٣٠ – جامع الهمم، في أخبار الأمم .

٣١ – نور الأنوار، ومصباح الظلام .

٣٢ – الأنوار المضيئة، في الجمع بين الشريعة والحقيقة .

٣٣ -- كتاب النصائح. وغير ذلك .

---

١ طبع بالمطبعة الثعالبية سنة ١٣٢٤ هـ بالجزائر العاصمة .

وللثعالبي قصائد وقطع من الشعر متفرقة هنا وهناك، فمنها قوله – يحذّر من الدار الفانية، ويدعو إلى الدار الباقية – :

وإن امرؤ أدنى بسبعين حجّـة جدير بأن يسعى معدًا جهـازه
وأن لا تهز القلب منـه حوادث ولكن يرى للباقيـات اهتزازه
وأن يسمع المصغي إليـه لصدره أزيزاً كصوت القدر يبدي ابتزازه
فما بعد هذا العمر ينتظر الـذي يعمره في الـدهر إلا اغتـراره
وليس بدار الذل يرضى أخو حجى ولكن يرى أن بالعزيز اعتزازه

أولاده

أنجب الثعالبي ثمانية أولاد، كلهم من بطن أم واحدة اسمها «مريم»[1]، واسم قابلتها – عند وضع جميع أولادها – «تلاتيماش» ولا نشك في بربرية هذا الاسم، بيد أننا نجهل – حتى الآن – تاريخ وفاة كل منهما. وهؤلاء الأولاد فنهم الذكور، ومنهم الاناث فالذكور أربعة، وهم:

١ – محمد الصغير، وقد توفي شهيداً بالطاعون في أوائل سنة ٨٤٦هـ (١٤٤٢م).

٢ – محمد الملقب بـ «ابن الصالحيت»، وقد توفي سنة ٨٥١ هـ (١٤٤٧م).

---

١ قال علي بن الحاج موسى: «ولم أقف على اسم أبيها صهر الشيخ (سيدي عبد الرحمن) وإنما وقفت على تاريخ وفاته بالجزائر من غير وجود تصريح باسمه بأوائل ربيع الثاني عام ٨٤١ هـ، وأنه دفن بمقبرة آل صهر الشيخ المذكور الآتي ذكرها (مقبرة الطلبة).
(انباه أبناء الزمان، في النصح برشفة من يمّ ترجمة الشيخ سيدي عبدالرحمن. مكتبة عبدالرحمن الجيلالي. الجزائر. ص: ٢. مخ).

٣ - محمد الكبير، وقد كان في قيد الحياة يوم وفاة أبيه الشيخ عبد الرحمن، بدليل أن أبا العباس أحمد بن عبد الله الزواوي قد أشار إليه وصرّح باسمه في مرثيته لأبيه، إذ يقول :

أعزّى أبا عبد الاله محمدا ومن بجميل الصبر نرجو سيرجع
فإنّا وان كنا جميعاً نحبّه فقلبك أشجى للفراق وأوجع

٤ - يحيى وبه كان يكنى الشيخ عبد الرحمن تكنية رسمية، بيد أنه اشتهرت تكنيته بـ «أبي زيد»، وهي تكنية اصطلاحية عند علماء النسب الذين تقرر لديهم بأن كل من اسمه عبد الرحمن يكنى بـ «أبي زيد». وكان الثعالبي يكنى - أيضاً - بأبي محمد، تكنية بأحد أولاده الثلاثة المتقدمي الذكر. ولم نعلم تاريخ وفاة يحيى هذا، أهي قبل وفاة أبيه، أم بعدها ؟ وكلهم دفنوا بـ «مقبرة الطلبة» حيث دفن أبوهم وأجدادهم. ولم يترك أحدهم وارثاً، ما عدا أبا عبد الله محمداً الكبير، فقد ترك بنتاً اسمها «كلّا» (بفتح الكاف واللام المشددة) وبموتها انقطع نسل الشيخ عبد الرحمن الثعالبي من صلبه .

أما الاناث فهن أربع أيضاً، وهن :

١ - فاطمة، ٢ - رقية، ٣ - محجوبة. وقد توفين كلهن في سنة واحدة وهي سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٧ م)، وفي نفس السنة توفي جدهن لأمهن مريم، وكلهن توفين صغيرات. ٤ - السيدة عائشة، وتاريخ وفاتها مجهول وقد حقق الشيخ علي بن الحاج موسى بأنها كانت في قيد الحياة سنة ٨٥١ هـ

(١٤٤٧ م)، وهي السنة التي توفي فيها أخوها محمد الملقب بـ «ابن الصالحيت». وكلهن دفنّ بـ «مقبرة الطلبة» حيث مدفن أبيهن وأخوتهن وأجدادهن، وكان للشيخ الثعالبي عمّ اسمه عمر بن مخلوف الذي خلف ابناً اسمه عامر بن عمر بن مخلوف[1]. وإلى هنا تنتهي ترجمة الثعالبي بايجاز غير مخل، على أمل العودة إليه في دراسة ضافية التحليل والتعليل «ولكل أجل كتاب».

---

١ علي بن الحاج موسى. م. س. ص: ٣ .

ضريح
عبد الرحمن الثعالبي

لقد أمسى ضريح الثعالبي يتمتع باحترام تام لدى الخاص والعام من سواد الناس، مثلما كان يتمتع به صاحبه ابّان حياته المباركة .

وقد دفع بهم هذا الاحترام إلى الاعتناء بهذا الضريح اعتناء أدى بهم إلى تشييد بنيان حوله، وزخرفة جدرانه، حتى يصبح حجا يومياً، ومزاراً مباركاً يتوسل به عند نزول الملمات .

وقد أوجب علينا عملنا أن نتحدث عن هذا البنيان وهذه الزخرفة من حيث نقطتان اثنتان تقتضيهما دراستنا المتمّمة لرسالتنا . **أولاهما**: تاريخ البنيان وطراز هندسته . **ثانيتهما**: أنواع الكتابة الموجودة ضمن الزخرفة، وشكل حروفها .

وقد أهمل جميع المسلمين الذين اشتغلوا بترجمتهم للثعالبي هاتين النقطتين، ولم يشيروا إليهما بأدنى اشارة. والسبب في ذلك واضح جداً، ذلك أن علماءنا لم يتخصصوا في الفن المعماري وهندسته، حتى يعتنوا بأشكاله ويتذوقوا طرازه، فيدسرهم ذلك إلى الكتابة فيه. أما الافرنج فانهم

- بعد بحثهم الدقيق - لم يتوصلوا إلى ضبط تاريخ البنيان الأول الذي أقيم حول هذا الضريح المزار. والسبب في ذلك «كنار على علم»، ذلك أن المؤرخين من الافرنج يعتمدون - غالباً - في تدوين تاريخ المسلمين على الوثائق الإسلامية التي جاء بها علماء الإسلام، لأن «أهل مكة أدرى بشعابها»، فاذا لم يجدوا الوثائق خمنوا أشياء واستنبطوها من مقارنتهم إياها بما يماثلها في الشكل والنوع، وان كانت تخالفه في الزمان والمكان.

وهذه الطريقة بالذات هي التي سار عليها بعض علماء التاريخ من الفرنسيين عندما تصدوا في دراساتهم لبنيان ضريح الشيخ الثعالبي، فقد توصل «جورج مارسي» (Georges Marçais) إلى نتيجة مضمونها أن بنيان هذا الضريح مغربيّ في هندسته، وأنه من طراز أبنية السّعديّين؛ من حيث شكل السقف ولون القرميد الأخضر، وهندسة اسطواناته واستدل على ذلك بدراسة قد قام بها لأبنية مساجد السّعيديّين بالمغرب الأقصى وقصورهم هناك، مثل قصر «البديع» بمراكش الذي زينه مولاي زيدان السعدي بقاعة تحتوي على اثنتي عشرة سارية، جاءت هندستها على طراز هندسة ساريات ضريح الشيخ الثعالبي. كما أنه قد قارن بين قبب تلك القصور والمساجد وبين قبة الثعالبي فوجد وجه الشبه بيّناً للغاية، فحكم بما حكم[1]. وهذا كله ما قبل تاريخ سنة ١٠٣٠ هـ - ١٦١١ م. أما بعد هذا التاريخ فان بنيان الضريح قد تغيرت هندسته وأصبح تركي النزعة. كما سيأتي تفصيل ذلك قريباً.

---

(1) Georges MARCAIS. Melonges d'Histoire et d'Archéolohie de l'Occident Musulman. T. 1, P. 196-201.

١ - تاريخ البنيان :

بعد البحث الدقيق في المظان التي تتعلق بموضوعنا، لم نتوصل إلى تحديد زمان البنيان الذي أقيم حول ضريح الثعالبي - رحمه الله - ونحن لا نرتاب في أن تاريخ هذا البنيان كان مرافقاً لزمان وفاة صاحبه، أو بعد أيام قلائل منذ سكونه في ضريحه على الأكثر. والسبب في ذلك أن صاحب هذا الضريح قد كان - لدى جميع الناس، لا سيما وجهاؤهم - محترماً، معظماً، مبجلاً، يلتمسون منه الدعاء الصالح، ويقتدون به في دينهم ودنياهم .

وقد بنوا له مسجداً قرب منزله زمان حياته وأسموه باسمه، فعرف منذ ذلك الحين إلى ما بعد الاحتلال، بـ «مسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي»[١]. فأحرى بهم - بعد موت عالمهم النصوح، ووليهم الصالح - أن يبنوا حول ضريحه المبارك مقاماً يكون لهم بمثابة تعبير صادق عن شعورهم الخالص واحساسهم الروحي نحو طاعة شيخهم الموقر حياً وميتاً .

ويبدو أن الضريح كان - في السنين الأولى - يتوسط المقام، وبعد تجديد بنيان المقام على عهد الأتراك زيد في مساحته من ناحية الشرق، فأصبح الضريح جانباً كما هو الآن في الوقت الحاضر. يجده الزائر عن يمينه عند دخوله المقام. وغموض تاريخ بنيان مقام الثعالبي قبل زمان الأتراك بالجزائر لا يشمل تاريخ تجديد هذا المقام على عهدهم هناك؛ بل توجد

---

(1) Albert Devoulx. Les Edifices Religieux de l'Ancien Alger. Alger. Alger. Typographie Bastide 1870. P. 36-39.

لدينا أدلة قاطعة تثبت لنا تحديد زمان التجديد لهذا البنيان حسب السنوات. فنها أدلة نقلتها لنا الكتب الموثوق بها، ومنها أدلة شاهدناها وعثرنا عليها بواسطة النقوش التي ما زالت عالقة بجدران بنيان المقام .

أدلة نقلتها لنا الكتب :

يحدثنا بعض المؤرخين الفرنسيين(١) أن أول تجديد لبنيان هذا المقام وقع سنة ١٠٢٠ هـ – ١٦١١ م. على عهد مصطفى باشا، أي: بعد ١٤٥ سنة من وفاة صاحب المقام، ثم وقع تجديد ثان على يد الوكيل عبد القادر سنة ١٠٣٧ هـ – ١٦٢٧ م. أي على عهد حسين باشا. ثم تجديد ثالث على يد الداي الحاج أحمد سنة ١١٠٨ هـ – ١٦٩٦ م. ثم تجديد رابع على يد الوكيل محمد بن الواضح سنة ١٣٤٢ هـ – ١٧٣٠ م. على عهد عبدي باشا ويبدو أنّ هذا التجديد خاص بداخل المقام، أو زيد في مساحته بعض الشيء، لأن التجديد الذي قبل هذا – وهو الأساسي – ما زالت كتابة تاريخه منقوشة فوق الباب الخارجي للمقام .

أدلة شاهدناها :

يوجد فوق الباب الخارجي للمقام نقش خطه كوفي يضم أربعة أبيات من منظوم الرجز، جاء في الشطر الأخير من البيت الأخير تاريخ تجديد بناء المقام على طريق حساب الجمل. ونص البيت الأخير ما يلي :

---

(1) A-Georges Marçais. Melanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident Musulman, T. 1, P. 196-201.

B- Klein Henri. Feuillets d'El-Djazair, Alger, choix, 1937. P. 157-158.

تاريخه يا سائلا بصدق ... في النظم قد جعلته «بشوق»

فكلمة «بشوق» تحتوي على تاريخ اتمام البناء. فالباء تعد بـ (٢) والشين بـ (١٠٠٠) والواو بـ (٦) والقاف بـ (١٠٠) فمجموع هذه الأرقام ١١٠٨ هـ ثم ختمت هذه الأبيات الأربعة بفقرة باللغة الدارجة كتابة ونطقاً، وهذا نصها: «عام ثمني وميا وألف».

وفي جوف المقام يوجد بالجدار الأيمن بجانب الساعة نقش خطه شرقي خالص، يحتوي - بعد الحمدلة والصلاة والتسليم - على ستة أبيات. نذكر منها الأربعة الأولى، لتعلقها بذكر تاريخ بناء المقام حسب الشهر والسنة، وذكر اسم الوكيل محمد بن الواضح الذي سعى في تجديد هذا البناء، وذكر حاكم وقته عبدي باشا. ونص الأبيات كما يلي:

كمل البنا [ء] بحمد رب فاتح ... بمحرم يسمو بحسن واضح

سنة اثنتين وأربعين تعقبت ... مائة وألفا أسرعت كالجامح

في مدة الاحظى الأمين المرتضى ... عبدي وقاه الله كل طوالح

ولقد سعى فيه الوكيل محمد ... الفاضل المشهور بابن الواضح

ويبدو لنا أن تجديد هذا البناء يعد الأخير من نوعه على عهد حكام الأتراك، الذين كانوا يهتمون كثيراً بأضرحة العلماء العاملين ومزارات الأولياء والصالحين من أبناء ملة الإسلام. والسبب في ذلك أنهم يميلون إلى الدين ورجاله بالقلب والقالب، لا سيما مذهب التصوف الذي أصبح راسخا في قلوب جل سلاطين الأتراك وولاتهم. ولا يعتد برأي جل الكتاب الأجانب وبعض كتاب المسلمين المتأخرين، من أن الدافع الأساسي على احترام

أضرحة الأولياء والصالحين والعلماء العاملين هو هدف سياسي بحت، يراد به ارضاء الجمهور المحكوم فيه. واطفاء جذوة ثورات الشعب على الأوضاع السياسية آنذاك .

وقبل أن ننهي الكلام عن النقطة الأولى لتاريخ بنيان الضريح، نود أن نذكر القراء بأن هندسة البنيان الحالي هندسة قد جاء بها الأتراك إلى الجزائر، ولم تكن قبل مجيئهم موجودة هناك. ويظهر ذلك جلياً في شكل القبة التي تخيم على قاعة الضريح، فهي تتألف من ثمان زوايا متحدة المسافة وفي داخل القاعة نلاحظ محرابا مزخرفاً بين ساريتين رخاميتين، كما نلاحظ أيضاً جدرانا مزينة بأرقى أنواع الزلّيج الملون المجلوب من آسيا الصغرى تتخلله عدة خطوط كتابية عربية الشكل بنوعيه الشرقي والفارسي. وسنبين أنواعه – إن شاء الله – في النقطة الثانية عند كلامنا عن زخرفة الكتابة الموجودة ضمن هذا البنيان .

وبناء القبة والمحراب وزخرفة القاعة على الطراز الشرقي يعد من عمل الداي الحاج أحمد بن الحاج مصلي وإلى زمانه يعود. أما ما قبل ذلك فلا قبة ولا محراب ولا زخرفة شرقية .

وتضم هذه القاعة ضريح سيدي عبد الرحمن المغطى بتابوت خشبي وعند قدميه يوجد قبر سيدي أبي جمعة بن حسين المكناسي، وعند شمال المحراب يوجد قبر السيدة روزة بنت محمد الخزناجي زوجة يحيى آغة. وعند منتهى الشمال الشرقي يوجد قبر الشيخ علي بن الحفاف. وتوجد قبور أخرى هناك، منها قبر لحسن باشا، وقبر لمصطفى باشا، وقبر لعمر باشا،

وقبر للحاج أحمد داي. وقد نقلنا بعضا من كتابة مشاهد هذه القبور بواسطة التصوير الفوتوغرافي، وسيجد القارىء عبارات هذه الكتابة عندما نتناول كلامنا عن النقطة الثانية من نوع الكتابة الموجودة ضمن زخرفة البنيان.

٢ - أنواع الكتابة :

يمكن لنا أن نحصر أنواع الكتابة التي جاءت ضمن زخرفة هذا البنيان في خمسة خطوط عربية رئيسية: خط كوفي، خط فارسي، خط شرقي، خط أندلسي، وخط مغربي.

١ - **الخط الكوفي**: يوجد نقش من هذا النوع - من منظوم الرجز - فوق الباب الخارجي لبنيان حرم سيدي عبد الرحهن، وهذا نصه : (شكل - ١ -) :

تمّ البنـا حقًّا بعـون اللهِ   على يـد أميرنـا ذي الجـاه
من فاق أرباب السخا والفضل   الحاج أحمد بن الحـاج مصلى
أرشده الله إلى التوفيق   بحرمة الفاروق والصديق
تاريخه يا . سائلا بصدق   في النظم قد جعلته «بشوق»
«عام ثمني وميا وألف» .

٢ - **الخط الفارسي**: توجد كتابة من نوع هذا الخط في عدة أماكن ضمن زخرفة الجدران الأربعة لقاعة الضريح .

أ - خطوط على الجدار الجنوبي، وهذا نصها (شكل - ٢ -):

«الدنيا كلها غرور، كل نعيم دون الجنة فان» .

(شكل – ٣ –): «لا زاد خير من التقوى، لا شرف أعلى من الإسلام»

ب – خطوط على الجدار الشرقي وهذا نصها (شكل – ٤ –):

«لا تحزن على كل مفقود، وذاكر المعبود موجود. من يكن في خدمة الله يجعل الله الاشياء في خدمته».

(شكل – ٥ –): «ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى». (أربع مرات عن يسار المحراب).

(شكل – ٥ –): «ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى». (ثلاث مرات عن يمين المحراب).

(شكل – ٦ –): «ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى، الفرج ... منازل البركة، الصبر سلامة، الفرج ان ... العجلة ندامة الصبر سلامة، العج ... ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى يا فتى».

(شكل – ٧ –): «ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى، الصبر سلامة، العجلة ندامة، منازل البركة، منازل البركة».

٣ – **الخط الشرقي**: يكاد لا يخلو جدار من الجدران الأربعة لقاعة الضريح من هذا الخط، وكذلك معظم مشاهد القبور قد جاءت مكتوبة به.

أ – على الجدار الغربي للقاعة بعد بابها الأول عن يمين الزائر، وقبالة الباب الثاني لها يوجد هناك خط شرقي متكون من سطرين اثنين،

نص السطر الأول (شكل – ٨ –):

«لا إله إلا الله الملك المبين» .

ونصّ السطر الثاني (شكل – ٨ –):

«محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين» .

ب – وجاء على الجدار الجنوبي، تحت الخط الفارسي البيت الأول والثامن من بردة الشيخ محمد البوصيري ونصهما (شكل – ٢ –):

«أمن تذكر جيران بذي سلم — مزجت دمعا جرى من مقلة بدمِ
نعم سرى طيف من أهوى فأرقني — والحب يعترض اللذات بالالم»

ثم تحت هذين البيتين أربع كلمات مكررة مرتين ونصها (شكل - ٢ -)

«الله . محمد . أبو بكر . عمر . الله . محمد . أبو بكر . عمر» .

ثم يليه على نفس الجدار فوق الخط الفارسي نقش في سبعة سطور، السطر الأول يتضمن الحمدلة والصلاة والتسليم، والباقي نظم من بحر الكامل الصحيح العروض والضرب، والبيت الأخير مطموس لم نتمكن من قراءته أما الأبيات الخمسة، فهذا نصها (شكل – ٩ –):

كمل البناء بحمد رب فاتح — بمحرم يسمو بحسن واضح
«سنة اثنتين وأربعين تعقّبت — مائة وألفا أسرعت كالجامح
في مدة الاحظى الأمين المرتضى — عبدي وقاه الله كل طوالح
ولقد سعى فيه الوكيل محمد — الفاضل المشهور بابن الواضح
الله يعطينا وأياه الرضى — ويقبلنا من كل ذنب فاضح»

وتحت هذه الأبيات خط فارسي – وقد تقدم الكلام عنه – ثم تحت الخطّ الفارسي البيت الثالث عشر من قصيدة البردة، وهذا نصه (شكل – ٣ –) :

فان أمّارتي بالسوء ما اتعظــت من جهلها بنذير الشيب والهرم

ج – وجاء على الجدار الشرقي – فوق الخط الفارسي – ما نصه (شكل – ١٠ –) :

« لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

ثم تحته البيتان: الرابع والخامس من قصيدة البردة، هذا نصهما (شكل – ١٠ –) :

« ايحسب الصب أن الحب منكتم ما بين منسجم منــه ومضطرم
لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ولا آرقت لذكر البان والعلم[1] »

ثم يلي هذين البيتين – عن يمين المحراب – نصف البيت الثالث من قصيدة البردة أيضاً، وهذا نصه (شكل – ١١ –) :

وما لقلبك ان قلت استفق يهم

وتحته نقش على رخام، هذا نصّه (شكل – ١١ –) :

« ومما ينسب للخلفاء الراشدين الأربعة: أبي بكر وعمر، وعثمان، وعلي – رضي الله عنهم ! – :

---

١ في الجدار تقديم البيت الثاني على الأول وقد تصرفنا فيه نزولا عند رغبة أصل النص .

الموت بـاب وكل الناس داخله | يا ليت شعري بعد الباب ما الدار
الدار دار نعيم ان عملت بمـا | يرضي الإله وان خالفت فالنـار
همـا محلان مـا للمرء منزلـة | سواهما فاختر لنفسك الدار تختار
ما للعبيد سوى الفردوس منزلـة | وان هفوا هفـوة فالـرب غفّار[1]

كتب بتاريخ ٣٥ في قعدة سنة ١٢٨٢ وافق ١١ في ابريل سنة ١٨٦٦ » .

ثم يأتي – في نهاية يسار المحراب – البيتان: السادس والسابع من قصيدة البردة، وهذا نصهما (شكل – ٦ –) :

« فكيف تنكر حبا بعد مـا شهدت | به عليك عدول الدمـع والسقم
وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى | مثل البهار على خديك والعنم »

وفي أسفل يسار المحراب يوجد نقش على رخام. هذا نصه (شكل – ١٣ –) :

« سبحان الحي الذي لا يموت ! هذا قبر المرحومة الولية روزة بنت محمد بن الخزناجي، زوجة المرحوم المنعّم يحيى آغة، توفيت ليلة الخميس الذي هو في قعدة سنة ١٢٨٢ . الموافق لليوم الحادي عشر من أبريل سنة ١٨٦٦ » .

د – وفي أسفل الجدار اليساري يوجد نقش على رخام هذا نصه (شكل – ١٤ –) :

---

١ لعلّ الأبيات تنسب للامام علي وحده ؟.

« ما شاء الله كان ! الله حي، باق، أزلي » .

لا إله إلا الله ! من علامة سعادة الإنسان. اقباره في ضريح سيدي عبد الرحمن، يا خير بني عدنان، أنا في حماك وحمى القرآن .

من يتشفع بك يا خير الورى شرف فالله حافظه من كـل منتقم[1]

قد توفي وسار[2] إلى رحمة خفي الالطاف، عبده الراجي منه الأمن مما يخاف. العلامة الشيخ علي ابن الخطيب الفقيه السيد عبد الرحمن ابن العلامة الكبير الشيخ محمد بن الحفاف، مفتي المالكية هو وكذا جد المذكور بالجزائر رحمهم الله بتاريخ اليوم ٢١ من صفر الخير سنة ١٣٠٧ ».

٤ - **الخط الأندلسي**: بجنب التابوت قبالة الجدار الشرقي، يوجد نقش في ثمانية سطور بخط أندلسي، كتبه علي بن محمد بن جعدون الجزائري. وهذا نصه (شكل - ١٥ -) :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم هذا قبر الولي الصالح الأستاذ أبي جمعة بن حسين المكناسي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به، آمين ! ومما وجد مكتوب بخط يده المباركة على ظهر كتاب الجواهر الحسان، في تفسير القرآن، هذا النسب المذكور. وهذا الكتاب هو لتلميذه الشيخ الرباني أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، رحمه الله تعالى ورضي عنه، ونفعنا ببركاته، آمين ! » .

---

١ هذا بيت من قصيدة البردة للبوصيري، وفي رواية :

ولـن يضيق رسول الله جـاهـك بي إذا الكريم تجـلّى باسم منتـقـم

٢ في الأصل: « وصار » بالصاد المهملة .

٥ – **الخط المغربي**: بجنب التابوت تجاه المحراب يوجد نقش على رخام في عشرة سطور محفوظة في واجهة زجاجية، هذا نصه (شكل – ١٦ –):

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله.

الحمد لله! ومما وجد بخط الشيخ الإمام الولي الصالح أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه، ما نصه: الثعالبي عبد الرحمن، بن محمد، بن مخلوف، بن طلحة، بن عمر، بن نوفل، بن عمار، بن منصور، بن محمد، بن سباع، بن مكي، بن ثعلب، بن موسى، بن سعيد، بن معضل[1]، بن عبد البر، بن قيس، بن هلال، بن عامر، بن حسن، بن محمد، بن جعفر، بن أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذريته عبد العزيز، بن محمد، بن مخلوف الثعالبي، توفي الشيخ – رضي الله عنه – سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة[1]».

وبهذا النص تنتهي النصوص بأنواع خطوطها الخمسة، كما نقلناها بواسطة التصوير الفوتوغرافي. وقد اقتصرنا على ما هو مكتوب ومنقوش بقاعة الضريح وبأعلى بابها الخارجي، ولم نتعرض لما دون ذلك من بنيان

---

١ لعله «مفضل».

١ هذا التاريخ يخالف ما ذهبنا إليه: من أن الثعالبي توفي سنة ٨٧٥ هـ – ١٤٧٩ م. وهو الصحيح عند جلّ من ترجم للثعالبي من العلماء الثقات، كما تقدم لنا في ترجمة حياته.

حرم سيدي عبد الرحمن، سواء بالدرس، أو بالتصوير خوفاً من الاطالة المؤدية إلى الخروج عن الموضوع، الذي رسمناه لهذا البحث الصغير المتمم لرسالتنا. ولعل الله يتيح لنا الفرصة في المستقبل، فنتناول - بالدرس والتصوير - ما لم نتناوله في الوقت الحاضر .

محمد بن عبد الكريم

فهرس المصادر والمراجع

أ - باللغة العربية

أبو راس، محمد. عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار، ١٢٢٠ المكتبة الوطنية. الجزائر (العاصمة). مخ .

البغدادي، اسماعيل باشا. هدية العارفين اسماء المؤلفين، وآثار المصنفين. اسطنبول: مطبعة البهية ١٩٥١ م. ج: ١ .

الثعالبي، عبد الرحمن. جواهر الحسان، في تفسير القرآن. الجزائر: المطبعة الثعالبية ١٣٢٧ هـ. ج: ٤ .

الثعالبي، عبد الرحمن. العلوم الفاخرة، في النظر في أمور الآخرة. القاهرة: المطبعة الحامدية المصرية ١٣١٧ هـ. ج: ١-٢ .

الجلالي، عبد الرحمن. تاريخ الجزائر العام. بيروت: مطابع بيبلوس الحديثة. ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٥ م. ج: ٢ .

الحفناوي، محمد. تعريف الخلف برجال السلف. الجزائر: مطبعة بيير فونتانة. ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م. ج: ١ .

الزركلي، خير الدين. الاعلام. طبعة ثانية. القاهرة: مطبعة كوستاتوماس، بدون تاريخ . ج: ٤ .

السخاوي، عبد الرحمن. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. بيروت: منشورات مكتبة الحياة . ج: ٤ .

علي بن الحاج موسى. أنباء أبناء الزمان، في النضح برشفة من يمّ، ترجمة الشيخ سيدي عبد الرحمن. مكتبة عبد الرحمن الجلالي. الجزائر. مخ .

الكتاني. محمد الحسني الادريسي. فهرس الفهارس والاثبات. ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. فاس: المطبعة الجديدة ١٣٤٧ هـ. ج: ٢ .

مخلوف. محمد. شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية. القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٥٢ هـ .

نور الدين. عبد القادر. صفحات في تاريخ مدينة الجزائر. الجزائر - قسنطينة مطبعة البعث ١٩٦٥ م .

ب – باللغة الأجنبية

Albert Devoulx. Les Edifices Religieux de l'Ancien Alger. ALGER: Typographie Bastide 1870

Georges Marçais. Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident Musulman (Tom 1) Alger - Imprimerie officielle du gouvernement Général de l'Algérie 1957

Hyacinthe Béraud. La Mosquée de Sidi Abder-Rahman - ALGER. J. GERVAIS-Courtelemont et Cie Editeurs - 1892

KLEIN Henri. Feuillets d'El Djazair ALGER, chaix, 1937

الفهارس الخاصة بكتاب
التحفة المرضية

١ - الاعلام والكنى
٢ - الالقاب
٣ - الانساب
٤ - القوافي
٥ - آي الذكر الحكيم
٦ - الاحاديث النبوية
٧ - الامكنة والبلدان

١ - فهرس الأعلام والكنى

الاسم	الصفحة	السطر
- أ -		
ابراهيم بن سنان	١١٨	٥
ابراهيم القنيلي	١٦١	٣
ابن آقليل (احمد)	١٤٦	٧
ابن آقوجيل (محمد)	١٤٨ - ٢٠٤	١٦-١٦
ابن أبي الخصال (محمد)	١٥٠	١١
ابن عبد الله محمد = ابن آقوجيل		
أبو الحسن نور الدين علي	١١٤	١١
أبو حفص عمر التونسي	١٤٩	٤
أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي	٢٣٥	١٢
أبو زيد عبد الرحمن الجامعي	١٨٤	١٥
أبو زيد عبد الرحمن الشريف	١٤٨	٤
أبو زيد أبو عبد الله محمد القرومي	٢٢٩	٧
أبو العباس أحمد بن ساسي البوني	١٢٧ - ١٧٤	٨
أبو عبد الله محمد البونصي	١٥٤	١٠
أبوعبد الله محمد البوني	١٧٤	٦
أبو عبد الله التونسي	١٤٩	٥
أبو عبد الله محمد الثغيري	٢٣٣	٣
أبو عبد الله محمد الحلفاوي	٢٤٩	٥

الاسم	الصفحة	السطر
أبو عبد الله محمد القالي	١٧٠ - ١٧٣	١-١٥
أبو عبد الله محمد المستغانمي	١٨٠	٩
أبو عبد الله محمد المغربي	١٥٢ - ٢٥٩	١٠-١٤
أبو عبد الله محمد بن علي بكداش	١٩٧ - ١٩٩	٢-١
أبو عبد الله محمد بن يوسف (الجزائري)	١٧٧	٦-٧
أبو علي حسين	١٤٦	٨
أبو الفتوح الأمير حسن	١٤٠ - ١٤٤	٥-٩
أبو الوفاء مصطفى البوني	١٤٥	١١
أحمد = ابن آقليل		
أحمد = أبو العباس البوني		
أحمد البدوي	١١٥	١٠
- ب -		
بوران	٢٣٣	١
- ج -		
	٢٠٩	١١
- ح -		
حاتم (الطائي)	١٨١	١
حسن الأمير = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسن كفيلة = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسن أوزن = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسن خليفتك = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسن صهره = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسين = أبو علي (حسين)		
- ش -		
شعبان (باي)	٢٥٦	٢

الاسم	الصفحة	السطر
– ع –		
عبد الرحمن = أبو زيد ...		
علي = نور الدين أبو الحسن		
عمر = أبو حفص عمر التونسي		
– ف –		
الفرزدق	٢٠٧	١١
– م –		
المجنون (مجنون ليلى)	١١٤	٣
محمد بكداش = أبو عبد الله بن علي ...		
محمد بن سعيد	١٣٧	٤
محمد بن علي = أبو عبد الله « بكداش »		
محمد خوجة = محمد بكداش		
محمد عبد الرحمن = أبو زيد الجامعي		
محمد الغالي	١٧٦	٥
محمود (الحاج)	١٤٠	١٢
مسعود (سيدي)	١٥٢	٧
مصطفى (باي)	٢٥٣	١
– ن –		
نور الدين علي أبو الحسن	١١٤	١١
– و –		
والي دادا	١٤١	١٠
– ي –		
يحيى بن احمد بن أبي راشد	١٥٢	٤
يزد شير	٢٣٣	١

٢ - فهرس الالقاب[1]
حسب الحروف الهجائية

- أ -

أوزن ٢١٢ - ٢٥٢ .

- ب -

باي ١٢٨ - ٢٥٣ .

بكداش ١١٢ - ١٢٤ - ١٣٣ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٩٩ - ٢١٠ - ٢٣٧ .

- ت -

تفتر دار ١٢٧ .

- ح -

الحاج ١٤٠ .

- خ -

خوجة ١٧١ .

- د -

الداي ١٩٧ - ٢٢٩ .

الدونلي ١٧١ .

- س -

سانجاق دار ١١٩ .

- ش -

الشريف ١٢٤ - ١٤١ - ١٤٣

الشواش ١٢٤ .

- ض -

ضاي ١٩٧ .

- ف -

فايق ٢٥٣ .

الواثق بالله ١٤٦ .

- ي -

يزدشير ٢٣٣ .

يومشق ٢٠١ .

٣ - فهرس الانساب
حسب الحروف الهجائية

- ب -

البدوي ١١٥ .

البكداشي ١١٣ .

البكداشية ١١٣

البونصي ١٥٤ .

البوني ١٢٧ - ١٧٤ .

- ت -

التونسي ١٤٩ .

- ث -

الثعالبي ٢٣٥ .

الثغيري ٢٣٣ .

- ج -

الجامعي ١٨٤ .

الجزائري ١١١ - ١٧٧ - ١٨٤ .

الجيلاني ١٧٦ .

- ح -

الحسني ١٤٣ .

الحلفاوي ٢٤٩ - ٢٥٩ .

- ز -

الزمخشري ١٤٦ .

- غ -

المغربي ١٥٢ - ٢٥٩ .

- ف -

الفاسي ١٨٤ .

- ق -

القالي ١٧٠ - ١٧٣ .

القرومي ١٤٩ .

القرشي ١١٤ .

القنيلي ١٦١ .

- ك -

الكرخي ١٧٦ .

- م -

المستغانيمي ١٨٠ .

- ن -

النكداني ١١٤ - ١٤٣ .

- هـ -

الهاشمي ٢٣٧ .

٧ - فهرس الامكنة والبلدان
حسب الحروف الهجائية

اسم البلد أو المكان: الصفحة:

- أ -

اطرابلس ١٣٧ .
أعرض ١٣٧ .
أم القرى ٢٣٦ .

- ب -

باب الجديد ١٣٨ .
برج الأحمر ٢٣٨ - ٢٥٦ .
برج الجديد ٢٣٨ - ٢٥٦ .
برج العيون ٢٥٥ .
برج اليهودي ٢٢٢ .
بونة ١١٦ .

- ت -

تونس ١٣٧ .

- ج -

الجزائر ١١١ - ١١٣ - ١١٦ - ١٢٤ - ١٢٩ - ١٣٣ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٩٩ - ٢١٠ - ٢٣٧ - ٢٦١ .

- ح -

حصن (برج) ابن زهوه ٢٢١ - ٢٥٥ .
حصن الجبل ٢١٦ .
حصن العيون ٢١٢ .
حصن المرسى ٢٤٥ .

اسم البلد أو المكان: الصفحة:

- د -

دلس ١٤٢ .

- ش -

الشام ٢٥٨ .
شنيل ١٩١ .

- ع -

العراق ٢٥٨ .

- ق -

القليعة ١٢٦ .

- غ -

غرناطة ١٩١ .

- ك -

كندة ١٣٥ .

- م -

مرسي ٢٥٧ .
المنشية ١٣٧ .

- و -

وهران ١٩٥ - ١٧٩ - ٢٠٢ - ٢٠٧ - ٢١٩ - ٢٢٥ - ٢٣٤ - ٢٤٩ - ٢٥٦ - ٢٦٠ - ٢٦٢ .
وادي الخميس ١٢٤ .

المحتوى

المحتوى

الموضوع: ص:

توطئة ٧

مقدمة ١١

أ - نسب المؤلف ١١

ب - ثقافته ١٣

عصره السياسي: ١٤

أ - هجومان فرنسيان على الجزائر ١٦

ب - اضطرابات داخلية وهجومان انجليزيان على الجزائر وبجاية . . . ١٧

ج - هجومان فرنسيان على الجزائر ١٩

د - محاربة الجزائريين لمدينة تونس ٢٠

هـ - غزو الجزائريين لمدينة تونس ٢١

و - هجوم فرنسا على الجزائر ٢٢

ز - محاربة بين الجزائريين والمغاربة ٢٣

ح - استيلاء الجزائريين على تونس وبعدها اضطرابات داخلية . . . ٢٤

ط - محاربة بين الجزائريين مع التونسيين والمغاربة ٢٦

ي - ابرام صلح بين الجزائريين وانجلترا وتونس ٢٧

ك - اضطرابات داخلية وتجدد الحرب مع تونس ٢٨

الموضوع: ص:

ل - فتح مدينة وهران عنوة ٣٠
التنظيم الاداري في الجزائر على عهد الأتراك: ٣٣
أ - الادارة المركزية ٣٣
ب - تقسيم الادارة ٣٥
ج - نظام الجيش ٣٦
د - ميزانية الدولة ٣٩
هـ - كيفية جمع الضرائب ٤١
و - طائفة الرياس ٤٢
ز - حكام أتراك الجزائر ابان عصر المؤلف ٤٣
عصره الثقافي: ٤٥
أ - مدلول الثقافة ٤٦
ب - مراكز الثقافة ٥٨
ج - النتاج الثقافي ٦١
د - رجال الثقافة ٦٨
دراسات تحليلية للكتاب: ٨١
أ - مؤلفه ٨١
ب - عنوانه ٨٣
ج - موضوعه ٨٣
د - هدفه ٨٤
هـ - منهج التأليف ٨٤
و - أسلوبه ٨٤
ز - قيمته التاريخية ٨٥
ح - قيمته الادبية ٨٥

الموضوع:	ص:

ط - محتواه ٨٦

مزايا الكتاب ٩٢

خاتمة المطاف ٩٧

الباعث والمنهاج ٩٩

مقدمة النشر ١٠٥

النسخ المعتمدة في تحقيق الكتاب ١٠٧

التحفة المرضية ١٠٩

مقدمة المؤلف ١١١

المقامة الأولى ١١٤

« الثانية ١١٩

« الثالثة ١٢٣

« الرابعة ١٢٧

« الخامسة ١٣٦

« السادسة ١٣٩

« السابعة ١٤٣

« الثامنة ١٥٢

« التاسعة ٢٠٣

« العاشرة ٢١٢

« الحادية عشر ٢١٦

« الثانية عشر ٢٢١

« الثالثة عشر ٢٢٥

« الرابعة عشر ٢٣٨

« الخامسة عشر ٢٤٥

« السادسة عشر ٢٦٢

الموضوع: ص:

مصادر ومراجع «التحفة المرضية» ٢٦٥
أ - المصادر والمراجع العربية ٢٦٧
ب - المصادر والمراجع الأجنبية ٢٧٢
ملاحق: ٢٧٥
الملحق الأول: بعض الأشعار التي قيلت في مدينة وهران ٢٧٧
الملحق الثاني: مدينة وهران وتأسيسها ٣٠٥
أ - مقدمة ٣٠٥
ب - موقعها: تاريخ تأسيسها ٣٠٧
ج - اسمها ٣١٥
د - رأي بعض الافرنج فيها ٣١٧
هـ - رأي بعض المسلمين فيها ٣١٨
و - مؤسسها ٣٢١
ز - سبب ولاء مغراوة لبني أمية ٣٢٢
ح - أسباب تأسيسها ٣٢٣
ط - الدول التي حكمت وهران ٣٢٧
مصادر ومراجع «الملحق الثاني»
أ - باللغة العربية ٣٢٨
ب - باللغة الأجنبية ٣٣٠
الملحق الثالث: عبد الرحمن الثعالبي وضريحه ٣٣١
أ - مقدمة ٣٣١
ب - ترجمة عبد الرحمن الثعالبي ٣٣٤

الموضوع: ص:

ج – رحلته لطلب العلم ٣٣٥
د – شيوخه ٣٣٨
هـ – تلامذته ٣٤٠
و – مؤلفاته ٣٤٠
ز – أولاده ٣٤٤
ج – ضريح عبد الرحمن الثعالبي ٣٤٦
ط – تاريخ البنيان ٣٤٨
ي – أنواع الكتابة (الموجودة على جدران الضريح) ٣٥٢
مصادر ومراجع «الملحق الثالث»
أ – باللغة العربية ٣٦٠
ب – باللغة الأجنبية ٣٦٢
المحتوى ٤٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد [illegible]

هذا [illegible] للشيخ [illegible]
البركة [illegible]
محمد بن ميمون الجزائري رحمه الله [illegible]

نحمد يا من جعل لدى رهانه
للقسم وفطر البلغاء فكان بدر العقيان في النثر
والنظم ونشكره على ما أولانا من النعم
وعلى ما كان منها فائتا بنعمه واستل [illegible]
عن عيني الخطا وتسبل على عيني الغطا
وتجعلني متبعا لنهج العلماء الذين [illegible]
كواكبهم لانتزاح الظلماء وسلم [illegible]

الصفحة الأولى من نسخة «ب»

وجمعت منه بحمد وسعد سنن • يحوي العروض لبلده كل مرام •

ثم وفقت لما فيه مشهورة • تمتص العراق بذكرها والشام •

في موضع فيه بلا سنة والفضل يهوي • وينفع العلم بها إلمام •

والصبح من صبغ النصال كأنما • ينشق عن زمن الشقيق كمام •

يا هنا أمنية لكاد متنا يد • حيث رفعة شأنه الأقلام •

والبيد ود واختطاط سابق • يحلو من الكلام نظام •

إني وإن خلعت حمله منزل • مني البلاط تحية وسلام •

• كمل بحمد الله •

• تعالى •



وكان الفراغ من نسخه من مسودة بخط مؤلفه في رابع جمادى الأخرى عام

احد وعشرين ومائتين والف من هجرة النبوية على صاحبها افضل صلاة وسلام

11217

الصفحة الأخيرة من نسخة «ب»

MOUHAMED BEN MAYMOUNI
AL - JAZAÏRI

ATTOUHFA EL'MARDIYA
FI EL'DAOULA EL'BAKDACHIYA
FI BILAD EL'DJAZAÏR
EL'MAHMIYA

http://albordj.blogspot.com

السعر في الجزائر : 46,50 د.ج